



مجلة مجمع العلمى العربى



محرم الحرام ١٤٠٣ هـ
تشرين الاول ١٩٨٢ م

تاريخ العلم عند العرب

الدكتور صلاح الجندب البقيني
رئيس المجمع

(١) النطاق والأصول

من أبرز الأسس التي نستند إليها في بناء مستقبلنا هو الأخذ بالعلم مع الاحتفاظ بالمقومات السليمة التي أتاحت لنا في الماضي الحياة الرفيعة والبقاء والازدهار والنماء ، واكسبتنا خصائصنا القومية المتميزة .

وقد اقتضت التطورات العظيمة التي حدثت في تقدم العلوم والتقنية في الغرب أن نعتمد في دراسة العلوم والتقنية على ما تم في الغرب ، وتبع هذا إعجاب عام بالمنجزات التي حققها الغرب في هذا الميدان ، وتصوّر البعض أن العلم مقترن بالغرب وحده ، وأعل مما أتاح لهذه التصورات مجال الانتشار ، هو أن العلم يختلف عن الآداب من حيث أن معرفته تتطلب دراسة دقيقة ومنظمة ، لأن كل خطوة فيه تبني على أخرى سابقة لها ؛ ثم إن التعابير المستعملة في الكتب العلمية فنية دقيقة يتطلب تفهمها ممارسة ومراناً خاصاً ، وكتب العام العربية لم تنشر وتدرس الا قليلا لاستعمالها مفردات خاصة ، ولأنها تعبر عن المعارف في العصر الذي كتبت فيه .

تعريف العلم ونطاقه :

ان كلمة العلم غير واضحة الحدود ، فهي قد تشمل المعرفة إطلاقاً ، وقد تحدّد بالمعرفة المنظمة أو المعرفة التي يعتمد توثيق حقائقها على أساليب

خاصة في البحث ، وهي في كل تعريف من هذه التعريفات قد تشمل مختلف فروع المعرفة ، بما في ذلك ما يتعلق بالطبيعة وما يتصل بها أو يتوقف عليها ، أو بما يتعلق بالسلوك وما يتصل به ، أو الذوق والفن وما يتميز به ، وهذا الغموض في التحديد كان ظاهراً في دراسات العرب الأقدمين ، كما أنه يظهر الآن في استعمالنا المعاصرة حيث نلاحظ أن العلم يطلق على الحقائق المنطوية على ما يتصل بمواد الطبيعة وتفاعلها من كيمياء وفيزياء وعلم طبقات الأرض والنبات والحيوان والرياضيات والهندسة ، كما ينطبق كذلك على الأدب والجمال .

والعرفة تبدأ بملاحظات مدركة وتعليلات متصورة واستنباطات مقدرة ونقطة الابتداء فيها هي استعمال الفرد حواسه للمشاهدة ، وعقله للإدراك والتعبير ، فهي تعتمد على خبرات الفرد المستمدة من محيطه ، أي أنها تعكس محيطه المادي وترفعه إلى القدر الذي يبلغه خياله وفكره من مستويات تتباين تبعاً لسعة الخيال وعمق التفكير .

غير أن قليلاً من الأفراد يعيش منفرداً معزولاً ، أما الغالبية العظمى فتعيش في مجتمعات يختلف حجمها ومدى استقرارها وخبراتها أفرادها ، وكلها تؤثر في تنمية وتوجيه خبرات الفرد ومعرفته ، وهذا التأثير يبدأ منذ المراحل الأولى من عمر الفرد فيما نسميه التربية البيئية والأولية ، ثم ينطور توجهها بعد البلوغ خاصة .

تشمل الحركة الفكرية في مراحلها الأولى جوانب من المعرفة متعددة ومتداخلة وممتدة على ميادين واسعة بصورة سطحية ، وبتزايد مادة المعرفة وتوسعها تتوضح معالم الاختصاص فيها ، ويوضع لكل ميدان اختصاص اسم يعبر عن السمة العامة لمادة ذلك العلم الذي قد يؤدي توسعه إلى إفراز علوم أخرى منه تبعاً لمدى سعته والمعلومات المتوفرة عنه ودقتها ، وبذلك تتزايد أسماء العلوم ،

وبرافق ذلك ظهور علماء في كل موضوع وتبرز كتب ، وقد يرافق ذلك محاولات لتعريف كل علم وتحديد نطاقه ، وكذلك أحكام في مزايا كل علم وفضائل دراسته أو عيوبه أو العلاقات بين مختلف العلوم .

إن العلم باعتباره معرفةً متداخلةً وقابل للتوسع ، وكل حقيقة تتصل بحقائق أخرى وبدرجات مختلفة ، فالكيمياء مثلاً تبحث في طبيعة المواد وتبدلاتها ، ولكنها تتصل بالفيزياء والرياضيات وبعدها من حقائق علوم أخرى كالحيوان والنبات وعلم طبقات الأرض ، وهذا ينطبق على العلوم كافة .

مبادئ تاريخ العلم ومتطلبات دراستها :

إن تاريخ العلم ، كالتاريخ الأخرى ، يدرس تطور العلم في الماضي وما مرّ به من أحوال وتبدلات باعتباره عملية عقلية من إنتاج الفكر البشري على الرغم من صلته الوثيقة بالطبيعة . والواقع أن المادة التي يعتمد عليها مستمدة مما دُوّن في الماضي ، غير أن تنظيم نطاقه حديث يرجع إلى أواخر القرن التاسع عشر ، وقد شارك عدد كبير من الباحثين والمفكرين في توضيح معالمه وتحديد نطاقه إلى أن أصبح يشمل :

١- دراسة حياة العلماء ، وخاصة الكبار البارزين منهم وما قدّمه كل منهم إلى العلم .

٢ - دراسة الأفكار والمعلومات العلمية المدونة من حيث المقدار والنوع ، سواء كانت فكرة واحدة ، أو علماً محدداً واحداً أو علوماً عدة .

٣ - تتبع تطور التفكير العلمي أو الأساليب التي استنبطت منها الحقائق والأشكال التي نظمت فيها ، والقواعد التي استخلصت منها ، وبعبارة أخرى تطور الطريقة العلمية التي هي جزء أساسي في كيان العلم وتقدير حقائقه . إذ من المعلوم أن العلم النظري نشأ في أحضان التفكير العام ، ومرّ بكثير من الخاط والتحييزات والتشويشات إلى أن استقرت الحقائق وتوضح

التحليل الدقيق القائم على ما نسميه الطريقة العلمية ، فأسلوب التفكير وطريقة اكتشاف الحقائق لها في دراسة العلم أهمية لا تقل عن الحقائق.

٤ — التطبيقات العملية في الحياة والتقنية .

٥ — اثار العلم في المجتمع وتنظيمه واساليب حياته المادية، وعلاقات افرادة . والمعتمد الأساس في دراسة تأريخ العلوم ، باعتباره عملية عقلية بشرية ، هو الوثائق المكتوبة التي تدون تلك العملية . ودراسة هذه الوثائق من حيث الثبوت من صحتها وضبط نصوص معلوماتها ، هو من صميم عمل المؤرخ ، والتدريب عليها لا يختلف عن التدريب على دراسة الوثائق التاريخية الأخرى . مع ملاحظة أن المفردات اللغوية التي يكثر استعمالها هي المفردات الخاصة بذلك العلم .

ومن الأمور الأساسية في دراسة تاريخ العلوم ، فهم المعلومات المدونة في الوثائق المكتوبة وفي الكتب ، ثم تقويمها وتقدير أهميتها في مسيرة تطور ذلك العلم ، وهذا يتطلب في الأقل معرفة عامة في حقائق العلم الذي يُدرّس ، وفي جملته التعابير التي يستعملها والحقائق التي يعرضها ، وتقدير سليم لأهمية هذه الحقائق في توضيح العلم وتأثيرها في مسيرته وتقدمه ، وهذا التقدير بدوره يتطلب فهماً سليماً واسعاً لتطور ذلك العلم أي أنه يتطلب ، بجانب الاختصاص عقلية تاريخية تصوغ احكامها تبعاً للأهمية التاريخية للحقائق ، أي أن يضع الباحث نصب عينيه احوال الماضي ولا يصدر احكامه مقتصرًا على التطورات المعاصرة ، وهي بذلك تتطلب معرفة شاملة بالتطورات التاريخية لذلك العلم .

والقسم الأساسي الثالث في دراسة تاريخ العلوم هو تقدير مكانتها في المجتمع ودورها في إنمائه وازدهاره ، أو في جموده وركوده ، إن هذا يتطلب فهماً لأحوال المجتمع ، وتقديراً للعوامل الفاعلة في نموه وازدهاره ، فهو لا يقتصر على مجرد معرفة الحقائق وانما يعتمد أيضاً على نظرة الى المجتمع شاملة وصائبة

أي على فلسفة سليمة تضع الجزئيات ضمن الصورة الشاملة للمجتمع في مسيرته ، وكل هذا يستلزم معرفة التطبيقات العملية للعلم ، أي التقنية وتطورها ودورها في المجتمع ، وحقائق العلم المكتشفة وأساليب البحث العلمي والمثل الأخلاقية التي يحض عليها العلم .

إن تيسير البحث وتنظيمه وتوضيحه ، يتطلب تحديد موضع كل علم في الصورة العامة للفكر وعلاقته بالعلوم الاخرى ، ومن هذا نشأت الحاجة إلى تصنيف العلوم عند دراستها ، وهذا عمل عقلي من إنتاج الإنسان يعتمد على مدى سعة المعرفة بالعلوم والاهتمام بها ، وعلى الجانب الذي ينظر اليه منها ، وعلى رأي المصنفين ، فقد يكون مقصوراً على تصنيفات رئيسية محدودة كتصنيفها العلوم صنفين هما علم الاديان ، وعلم الابدان ، او العلوم القديمة والمحدثة ، او العلوم العقلية والنقلية ، أو علوم الدين والطبيعة ، وقد يتسع التصنيف فيشمل أصنافاً جزئية دقيقة في شتى المعارف . والتصنيف مظهر للعناية بالاختصاص وهو يقوم على نظرة الى العلوم شاملة وإدراك للعلاقات بينها .

وكثير من حقائق العلم مطبقة في الحياة العملية ، ومستعملة في تيسير المعيشة والحضارة وفي جملة ذلك ميادين الصناعة والزراعة والبناء وغيرها . . . وكثيراً ما يمارس الناس هذا التطبيق بكثرة ونجاح من غير إدراك للجانب النظري من العلم ، وهذه الصلة بين الحقائق وتطبيقاتها ذات أهمية أساسية في دراسة العلم وتقدير دوره في الحياة .

غير أنه مهما كانت سعة الصلات بين العلم والطبيعة ومهما كان امتداد التطبيق فإن الدراسات العلمية تظل عمالية عقلية تتوقف على الجهد الفكري الذي يبذله العالم الباحث الذي تتوقف مكانته على مدى سعة ملاحظاته المدونة وعمقها .

المدونات المكتوبة اساس دراسة تاريخ العلم

تعتمد دراسة حقائق العلم وأفكاره ونظرياته اول ما تعتمد على المدونات المكتوبة ، فان لم تعتمد هذه المدونات يكن الكلام فيها حدساً وتخميناً معرضاً للزلل ، ومن المعلوم أن الكتابات الرئيسية القديمة ، واعني المسمارية والهبروغليفية والفينيقية والحميرية قد ظهرت منذ أزمنة قديمة في أقاليم الوطن العربي ، وظل استعمالها مقصوراً على هذه البلاد عصوراً قبل أن يمتد انتشارها الى أقاليم أوربا الغربية (اليونان وايطاليا)

تظهر الرُّقُم الطينية الكثيرة التي كانت الوسيلة الكبرى لتدوين المعارف والتي اكتشفت حديثاً ، مدى تعدد جوانب المعرفة التي كانت في العراق القديم ، اذ كانت تشمل الآداب والعقائد والمعاملات التجارية ، والقوانين والحسابات ، وكذلك العلوم وفي جملة ذلك الرياضيات والطب ومفرداتها ، وقد ضمت المكتبة الملحقه بقصر الملك الآشوري آشور بانيبال معظم هذه الرُّقُم ، جمع بعضها من مختلف المدن العراقية ، وكتب بعضها في عهد الملك المذكور وقد درست محتويات بعض رُقُم هذه المكتبة والرقم المكتشفة في أماكن أخرى ، ونشر عدد من هذه الدراسات في كتب ، أظهرت بالرغم من كونها غير مستوعبة ، مدى سعة معارف أهل العراق القدماء ، واهتمامهم بالعلم . ونشير من هذه الدراسات الى معجمي كامبل تومسن في النبات ، وفي الكيمياء الآشورية ، وأبحاث نيوجيباور في الرياضيات .

وظلت الرقم الأداة الرئيسة للتدوين في العراق حتى سنة ٣٠٠ ق . م حيث اكتشف آخر رقيم ، ثم انقطع استعمالها ، ولم يحل محلها ما له صفة الدوام حتى انتشار استعمال الكتابة .

وتوفرت في مصر أيضاً وسائل تدوين سجّلت معارف المصريين ، وكان المكتشف فيها موضوع دراسات واسعة وقيّمة ، وهي تظهر مدى التقدم في

عدد من المعارف ومنها ما يتعلق بالدين والأدب ، والطب والرياضيات . وما يزال الخلاف قائماً في أيهما سبق في ممارسة النشاط العلمي : العراق أم مصر ، ومن المؤكد أن النشاط في كل من الإقليمين قد بدأ في زمن مبكر جداً ، وأنه توفرت منه وثائق غير قليلة ، دُرِسَ الأقل منها ، وبقي الأكثر ينتظر الدراسة ، ويكشف ما فيها . ويظهر ما تمت دراسته اهتماماً بعدة ميادين علمية ، وتقدماً ملحوظاً في معرفة حقائقها وتفسيرها . والراجح أن هذا الازدهار نما في كل من الإقليمين نمواً مستقلاً وأن تبادل التأثير بينهما كان محدوداً في العهود الأولى خاصة .

وقد استمر استعمال أوراق البردي في التدوين بمصر ، وامتد استخدامه إلى عدد من الأقاليم المجاورة ، وظل مستعملاً حتى القرن الخامس الهجري ، أي بعد انتشار الورق . وقد أتاح هذا الاستمرار مجال تيسير تدوين المعارف بمصر ، وكان بعض ما دُوِّن باللغة المصرية القديمة .

أما المخلفات المكتوبة التي وصلت إلينا من أقاليم شبه جزيرة العرب فهي قليلة جداً وغير منتظمة التوزيع ، وأكثرها إن لم يكن كلها ، مما كتب على الحجارة ، وهي مقتضبة ، وكثير منها مبتورة ، ومواضيعها محدودة أغلبها شواهد قبور أو تخليد هدايا قدمها أفراد إلى المعابد ، أو أعمال الملوك ، فهي لا تقدم معلومات وافية عن الأفكار العلمية التي كانت متداولة عند الناس ولا تكفي وحدها لمعرفة مستوى الحياة الفكرية وتطورها في شبه جزيرة العرب قبل الاسلام .

التقنيات ادلة على تقدم العلم :

تظهر المخلفات الآثرية التي وصلت إلينا عن العراق ومصر وبلاد الشام واليمن ، التقدم الكبير الذي حدث في الزراعة والصناعة والعمران ، وهي مظهر للتقدم التقني الذي تم خلال عصور طويلة يصعب رسم خطوط مسيرته بدقة ، أو معرفة الاشخاص الذين عملوا في تقدمه ، او مدى انتشاره .

ولا بد أن مناطق شبه جزيرة العرب التي تشير المصادر الى انه تتوفر فيها المعادن أو المياه أو كانت مراكز للصناعة والتجارة وهي غير قليلة ، كانت التقنية فيها متقدمة أيضاً ، غير أن المكتشفات الأثرية القليلة في هذه المناطق ، فضلاً عن قلة المعلومات المتعلقة بتاريخ تطورها تجعل من الصعب رسم صورة دقيقة للجوانب العمرانية التي دخلتها التقنية ، أو مدى تقدم تلك التقنية .

ان التقنية هي تطبيق لمبادئ العلم وهي دليل على صحة حقائق العلم ، غير أنها تقتصر على الجانب التطبيقي ، وتتطلب من ممارسيه إتقانه، ومـن الطبيعي أن هذا الإتقان في العمل لا يستلزم معرفة النظريات والأفكار التي يقوم عليها التطبيق ، وفي نفس الوقت ان الانغمار في التطبيق لا يمنع من التفكير في القواعد والأفكار التي يقوم عليها هذا التطبيق ، ولما كانت دراستنا للعلم منحصرة في الافكار والآراء والمعلومات المتصلة بالعلم ، فاننا نكتفي بالإشارة الى التقنية واحتمال أثرها في بحث النظريات والأفكار العلمية .

لا ريب في أن قصر الاعتماد في دراسة تاريخ العلم على المدونات المكتوبة ، وعلى ما يمكن استنباطه من الأعمال والمنشآت التي يتطلب انجازها التقنية ، لا يكفي لتقديم صورة كاملة عن النشاط العلمي وتقدم العلوم في الأزمنة القديمة ؛ حيث ان كثيراً من المعرفة العلمية ، بما في ذلك حقائقها واستدلالاتها وعناية الناس بها وتداولهم لها ، كانت تنقل شفاهاً وعن طريق السماع ، وكان معظمها يُنسى بموت اصحابها ، ولا يتيح للباحثين المحدثين معرفتها . فعدم توفر المدونات المكتوبة عن العلم لا يكفي للجزم بعدم تقدمه في اي مجتمع ، فاذا وجدت ادلة غير مباشرة على وجود العلم في المجتمع ، فان الباحث الحديث مضطر الى الإشارة الى ما تدله الادلة على ذلك ، إذ أن اغفال الإشارة اليه قد يؤدي الى الحكم بالجهل على المجتمعات التي لم تخلف مدونات .

اهمية الكتب وحدودها :

ان الكتب هي اوج مظاهر التدوين ، والمعتمد الأساس في دراسة تاريخ العلوم ، وذلك لان الكتاب يتميز بانه يستوعب مادة كبيرة نسبياً من المعلومات والآراء ، لا تتوفر في المدونات الأخرى . غير ان كثرة الكتب وبقاءها لا يتوقف على كثرة العلماء وتعدد الراغبين في التدوين والقادرين عليه فحسب ، وانما يعتمد أيضاً على توفر وسائل للتدوين تكون في متناول العلماء ويمكن حفظها .

كانت ادوات التدوين الرئيسة المتوفرة في القديم هي الحجارة والطين ، والقماش والخشب ، والجلود واوراق البردي ؛ وكلها غالية الثمن ، صعبة المنال والحفظ ، مما ادى الى قلة عدد الكتب وإلى اعتماد تأليفها على اصحاب السلطة وذوي الثروة .

غير ان هذا تبدل عندما انتشر استعمال الورق بفضل العرب منذ اواسط المائة الثانية للهجرة ؛ فقد وفر الورق للكتابة مادة رخيصة الثمن ، يسيرة المتناول ، سهلة الحفظ ، وأدى ذلك الى تزايد عدد الكتب وتضخم حجمها ، وإلى انتشارها وبقاء كثير منها .

غير أن الميزات التي لا تنكر للكتب ينبغي الا تنسينا الثغرات التي فيها ، والأخطار التي تنجم عن قصر الاعتماد عليها في دراسة تاريخ العلم وتطوره ، ونذكر منها :

١- ان الكتب تسجل بعض النشاط العلمي ولا تستوعب كل المعرفة العلمية ، وهي تغفل مقداراً غير قليل من الحقائق المعروفة والمتداولة بين الناس والتي قد تدرس وتنقل شفاهاً .

٢- انها لا تسجل اسماء جميع العلماء الذين شاركوا في نشر العلم وتقدمه لانها قلّ ما تصف الطرق التي كشفت وثبتت فيها الحقائق .

- ٣- انها لا تصف الحماس والنشاط في البحث .
 - ٤- إن الكتب قد تثبت أحكاماً متأثرة برأي المؤلف أو بما هو سائد في عصره ، على الأوضاع السائدة في القديم ، وبذلك تشوه الصورة الحقيقية لواقع الاحوال السائدة في زمن معين ، وتغفل تطور هذه الأوضاع ، كما انها قد تبالغ في رفع مكانة افراد ، وتنقص من مكانة آخرين ، لأنها تحكم على الافراد بمقاييسها الخاصة .
 - ٥- ان الكتب تبرز أفكاراً معينة تنسجم مع أفكار المؤلف ومعاييرها ، وتغفل أفكاراً قد تكون أهم وأروع في أثرها من عصرها ، وفي دقتها وجِدَّتْها وأهميتها في الكشف عن الحقيقة ٥
- هذه الحقائق يجب أن توضع نصب أعين الباحثين في تأريخ العلم الذي يجب ان يكون من اهدافهم فيه إبراز مدى انتشار الحقائق العلمية في كل مجتمع ، ومدى الحماس في دراسة العلم ، ومدى الدقة والأمانة العلمية في الكشف عن الحقائق ، أي الخُلُق العلمي ، ومدى صحة هذه الحقائق واثرها في تزايد المعرفة ، أي الأصالة في المعرفة ، بالاضافة الى قيمتها تبعاً لمعايير وحقائق المعرفة الحالية .

(٢) إسهام أهل الجزيرة في نمو العلم عند العرب

لما كان الغرض من بحثنا دراسة احوال العلم وتطوره ابان العهود الأولى التي كانت للعرب السلطة العليا في دولتهم ، وكانت العربية هي اللغة العالمية الوحيدة للعلم ؛ لذلك يجدر ان نبدأ بالبحث اسهام العرب في بناء الصرح العالمي .

جزيرة العرب قبل الاسلام :

ان شبه جزيرة العرب ارض واسعة ، مناخها صحراوي قليل الأمطار ، غير انها مُنَوَّعة في طبيعة اراضيها ، وثرواتها ، ونشاطات أهلها ؛ ففيها سلاسل جبلية طويلة ، وهضاب واسعة ، ووديان كثيرة بعضها طويلة ، وفيها أيضاً مناطق مستوية تغطي بعضها كثبان الرمال ، الا ان فيها مساحات واسعة أرضها صلبة . وتتوفر في بعض مناطقها مياه باطنية تمتد الآبار والينابيع بما يكفي لزراعة النخيل والحبوب والخضر وبعض أشجار الفاكهة ؛ وفيها أيضاً مناجم غنية ببعض المعادن ، وخاصة الذهب والفضة . وهذه الأمور كانت من عوامل ازدهار الحياة الاقتصادية والعمرانية في عدد من مناطقها ، وخاصة في أطرافها الساحلية حيث ظهر منذ أقدم الأزمنة عدد من المدن التي كانت مركز نشاط تجاري ، وفيها عدد من الموانئ لصنع السفن ورسوها . ظلت شبه جزيرة العرب بمنأى عن أي حكم أجنبي مباشر ، فلم تحكمها أو تسيطر عليها دولة اجنبية تفرض عليها نظمها وحضارتها ؛ ولم تتعرض الا الى قليل جداً من الغزوات الأجنبية لم تتعد اطرافها ولم تفلح في ترسيخ حكمها مدة طويلة . ثم إن الأحوال الجغرافية لجزيرة العرب لم تكن تشجع الهجرات إليها ، فلم يهاجر إليها ليستوطنها من الدخلاء إلا أعداد قليلة نسبياً استقر معظمهم في مناطق اطرافها القريبة من الأقاليم الأعجمية التي تكثر فيها الموانئ للسفن المبحرة الى البلاد النائية .

اتصالاتها :

غير أن جزيرة العرب لم تكن منطقة مغلقة ، أو منعزلة عن العالم ، فان موقعها الجغرافي بين بلاد الهند والشرق الاقصى وافريقية من جهة وبلاد البحر المتوسط من جهة أخرى ، جعل كثيراً من التجارات تمر بها ، لأنها اقصر الطرق ، ودفع عدداً من اهلها الى ممارسة الملاحة وتسيير القوافل والتجارة ، ولا ريب في أن تجارتهم كانت اوسع مع الاقاليم المجاورة ، غير أنها لم تقتصر على هذه الأقاليم ، وانما امتدت الى مناطق أبعد ، والراجح أنهم وحدهم قاموا منذ ازمة قديمة بالملاحة في البحر العربي والمحيط الهندي ، ووصلت سفنهم الى بلاد افريقية الشرقية ، وإلى الهند وربما الى الصين ، يؤيد ذلك توفر الاشارات الى التجارة مع الهند ، وعدم وجود اية اشارة أو دليل على وصول السفن الهندية او الافريقية الى بلاد العرب ، وكذلك احتفاظهم حتى المئة الأولى قبل الميلاد بسر معرفة تبدل اتجاه حركة الرياح الموسمية التي كانت لها أهمية أساسية في سير السفن ، علماً بأن معرفة الإغريق لهذا التبدل لا يستلزم قيام السفن الإغريقية بالابحار الى الهند .

وامتد النشاط التجاري العربي في الغرب ، فشمّل البلاد الواقعة حول البحر المتوسط حيث وصلت سفن الفينيقيين الى سواحل اسبانية الشرقية ، وإقاموا مستوطنة قرطاجنة في تونس ، وتدل شواهد القبور المكتوبة بالمعينية التي وجدت في شمالي إفريقيا وجنوبي فرنسه وديلوس على أن تجار اليمن وصلوا الى هذه المناطق .

أما امتداد النشاط العربي التجاري في الهضبة الايرانية ، فيمكن استنتاجه من الاخبار التي تتردد عن وصول جيوش شمر يرعش الى اواسط آسية ، واذا كانت هذه الاخبار لا تسندها معلومات المصادر الاجنبية ، فانها قد تعكس امتداد التجارة اليمنية الى تلك الاقاليم ، ويلاحظ أن الجيوش العربية التي تقدمت في زمن الخليفة عثمان بن عفان لفتح خراسان ، لم تواجه صعوبة في اختيار مسالك الطرق التي تيسر لهم الوصول الى خراسان . ومن المحتمل أن

التجار العرب كانوا يعرفون هذه الطرق ، وأنهم كانوا أدلاء الجيوش العربية الى هذه الاقاليم النائية .

ولا ريب في أن عدداً من هؤلاء التجار العرب كانوا يقيمون دائماً في البلاد التي يتاجرون معها ، غير أن عدداً أكبر كانت اقامتهم مؤقتة وظلوا يحتفظون بمقامهم الدائم في موطنهم الاصلي في جزيرة العرب .

أتاحت التجارة للتجار الاطلاع على المنتجات والسلع الاجنبية ، وعلى أوضاع الحياة والنظم والمعاملات والقوانين السائدة في المجتمعات التي يتاجرون معها ، مما يساعد على اقتباس مفردات لغوية من أسماء السلع ومصطلحات النظم ، ومعرفة بالمعاملات ، فضلاً عن اثرها في زيادة الثروة وتمكين مركز التجار . غير أنه ينبغي تحاشي المبالغة في تقدير سعة اثر التجارة أو عمقها في نظم الحياة الاجتماعية ، أو في نشاط الحركة العقلية والفكرية .

وفي ميدان العقائد والدين عبد أهل الجزيرة عدداً من الآلهة التي كانت تعبد في الأقاليم المجاورة ، مثل الإله بعل ، وعثر ، واللات ، ومناة ، والعزى غير أن المعلومات المتوفرة حتى الآن عن اصول هذه الآلهة ، أقل من أن تكفي للبت في أصلها ، أهو من شبه جزيرة العرب ثم انتقل الى الأقاليم المجاورة ، ام هي دخلت الى جزيرة العرب من تلك الأقاليم .

وقد دخل جزيرة العرب بعض الأديان التي ظهرت وانتشرت في الأقاليم المجاورة ، وهي المسيحية واليهودية والمجوسية . وقد ذكر القرآن الكريم الدينين الأولين في عدد كبير من الآيات ، وذكر الأخيرة في آية واحدة ، الأمر الذي يدل على قلة انتشارها . والمعروف ان المسيحية ارسلت بعثات تبشيرية الى عدة مناطق من شبه جزيرة العرب . غير أن نشاط البعثات التبشيرية في شبه جزيرة العرب لا يعني أنه كان لهم دور اجتماعي أو ثقافي كبير في حياة العرب ، إذ أن المسيحية لم تنتشر الا بين عدد محدود من الناس ، ولم تكن عميقة في نفوس معنقيها ، خاصة وانها قامت على افكار فلسفية يصعب على غير المتبحرين فهمها بله التشعب بها ، فهي لم تثر نشاطاً فكرياً شعبياً عند الناس ،

ولا أثرت في تنمية مثل اجتماعية ذات تأثير فعال في نظم الحياة ، ولذلك تخلى عنهم معظم الداخلين اليها ، ودانوا بالاسلام وتمسكوا به . ولا ريب في أن البعثات التبشيرية عنت بامور الدين ، ولا يوجد دليل على اهتمامها بالدين . يتبين مما سبق أن جزيرة العرب لم تكن معزولة عن العالم ، وانما كانت لأهلها رحلات متعددة الى كثير من البلاد الأخرى ، وانها تعرضت لمؤثرات ثقافية أجنبية ، ولكن هذه المؤثرات لم تكن واسعة أو عميقة ، ولذلك حدثت تطوراتها السياسية والاجتماعية والثقافية بتأثير عوامل ومؤثرات داخلية قبل كل شيء آخر .

كانت شبه جزيرة العرب عند ظهور الإسلام مفككة سياسياً ، فلم تكن فيها دولة كبيرة تسيطر عليها أو على أجزاء واسعة منها ؛ وانما كان فيها عدد من الحكام يسيطر بعضهم على أقاليم جغرافية ، كالذي كان في اليمن واليمامة وعمان ، ويقتصر سلطان بعضهم على القبيلة التي ينتمي اليها ، كما اتخذت بعض المدن نظاماً خاصة بها ؛ وكان النظام القبلي سائداً في أرجائها .

لم يصل إلينا من جزيرة العرب إلا التزر اليسير من الوثائق المعاصرة ، وهذا لا يكفي لرسم صورة واضحة عن النشاط العلمي ومدى تقدمه فيها . غير أن قلة المعلومات المكتوبة التي وصلت إلينا ، لا تعد دليلاً على جهل العرب بالكتابة أو قلة انتشارها بينهم ، كما انها لا تعتبر مظهراً لجهلهم بحقائق العلم وصدوفهم عن المعرفة ؛ فاما الكتابة فإن مطالب الحياة كانت تقضي بتعلمها واستعمالها لتدوين وثائق البيوع والمكاتبات والتجارة وتأمين المراسلات بين المتباعدين في السكن ، عدا الاغراض الدنيوية والدينية .

القرآن الكريم ودلالاته على العلم عند العرب :

ان القرآن الكريم ، وهو كتاب الله المنزل الذي يقرؤه المسلمون ويحافظون على حرفيته ، هو الكتاب الواسع الوحيد الذي وصل إلينا محتفظاً بدقته وضبطه ؛ وهو نزل مُنَجَّمًا خلال مدة ثلاث وعشرين سنة يدعو الى الاسلام ويوضح نظمه

ويثبتها في نفوس المسلمين . وتطلبت الدعوة ان يخاطب القرآن الكريم الناس بما يفهمون ، ويشير الى كثير مما كانوا يعرفون ، ويذكر بعض ما كانوا يعتقدون ويتصرفون .

(١) الكتابة :

ومن الظواهر الواضحة في القرآن الكريم كثرة اشاراته الى الكتابة وادواتها وحفظ سجلاتها ، فقد ذكر من أدوات الكتابة : القلم (في سورة القلم ١ ، والعلق ٤ ، ونجمان ٢٧ ، وآل عمران ٤٤) والقرطاس . (الانعام ٧ ، ٩١) والرق (الطور ٢) والمداد (الكهف ٩ - ١٠) وذكر القرآن الكريم « الكتاب المسطور » (الكوثر ١٢ ، الأحزاب ٦ ، الاسراء ٥٨) والألواح (الاعراف ١٤٥) والسجل الذي يطوي الكتب (الأنبياء ٤) والصحف (المدثر ٥٢) والصحف الأولى (طه ١٣٣ ، الأعلى ٢) وصحف موسى و ابراهيم (الأعلى ١٣ ، النجم ٣٩) وأن القرآن الكريم في « صحف مكرّمة » (عبس ١٣) « و صحف مطهرة » (البينة ٢) .

وذكر القرآن الكتابة بصيغة فعل الامر في ٢٦ آية ، وبالمعنى الشائع في سبع آيات ، ووردت كلمة (كتاب) في ٢٩ آية والذين اوتوا الكتاب في ٣٢ آية ، وبمعنى الكتب المقدسة في الأديان السماوية في ٣٨ آية ؛ علماً بأنه ذكر التوراة والانجيل والزبور و صحف ابراهيم في آيات عدة ، ووردت كلمة (الكتاب) بمعنى القرآن الكريم في كثير من الآيات وأوجب القرآن الكريم كتابة بعض الوثائق كالدين (البقرة ٢٨٢) وعقد النكاح (البقرة ٢٣٥) ومكانة الرقيق عند تحريرهم (النور ٣٣) .

ومن الواضح أن كثرة تردد الكتابة في القرآن الكريم هي دليل على مدى انتشارها ومعرفتهم بها ، خاصة أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين (النحل ١٠٣ ، الشعراء ١٩٥ ، الزمر ٨) أي أنه استعمل المفردات اللغوية المعروفة لديهم . وقد أدرك الرسول (ص) أهمية الكتابة في الحياة ، فحضر

على نشرها ، ويروى أنه أمر بفك الأسارى المشركين في معركة بدر اذا علموا عدداً من المسلمين الكتابة ، واستعمل الرسول عدداً من المسلمين الذين يعرفون الكتابة لكتابة آيات القرآن الكريم المنزلة ولكتابة الرسائل التي يرسلها الى الملوك والرؤساء والافراد في داخل الجزيرة وخارجها .

ثم ازدادت الحاجة الى الكتابة والتدوين بعد توسع الدولة واستقرارها . وذلك لحفظ سجلات العطاء ومراسلات الخليفة والولاة ، وتنظيمات الجباية والخراج . واستخدم كل خليفة ووال كُتّاباً لهذا الغرض ، وأماكن خاصة لحفظ السجلات واستقرت نظم الدواوين ، وكانت المكاتب تُدَوّن بالعربية ، وقد وصلت اليها مقتطفات منها ، غير أن معاملات الجباية والخراج تدون في لغات أخرى هي الفارسية في العراق والاعريقية في الشام ومصر ، وظل ذلك متبعاً الى ان ولي عبدالملك بن مروان الخلافة فأمر بتعريب الدواوين أي كتابتها باللغة العربية وقد تم ذلك حوالي سنة ٧٥ في العراق والشام ، ثم في سنة ٩٠ في خراسان والتزم الكُتّاب بتسيير استعمال اللغة العربية في الدواوين فكان ذلك من عوامل زيادة متانة الوحدة الثقافية في الدولة . وساعد على نشر اللغة العربية في دواوين الدولة ومعاملاتها الادارية والمالية ودفع الى زيادة العناية بدراسة قواعد اللغة العربية ومفرداتها وكانت الكتابة منذ الازمنة السابقة للاسلام عنصراً أساسياً في كمال الرجال .

(٢) المعارف والمعلومات :

في القرآن الكريم كلمات تدلّ على مدى معرفة العرب ببعض العلوم وأثرها في حياتهم ، ففي ميدان الحساب مثلاً تردد ذكر الأعداد الآحادية والعشرات ، والمئات ، والألوف ، وبعض الكسور ، وبعض النعابير الدالة على التعدد كالبضع والمضاعفة والجمع والنقص والقسمة ، وفيه إشارات كثيرة الى الحساب ، ويوم الحساب ، والى الموازين ، وحفظ السجلات والكتب . ويظهر

تكرار هذه التعابير واستعمالها باشكالها الحقيقية والمجازية مدى انتشارها بين الناس .

وفي القرآن الكريم اشارات الى بعض المظاهر الفلكية وسير الشمس والقمر ، والحق أن بعض الفرائض الإسلامية ، كالصلاة والصوم والحج ، لا تتم بدقة بغير معرفة الظواهر الفلكية وسيرها ، لأنها تعتمد على الشهور القمرية التي يتطلب تنسيقها مع السنة الشمسية معرفة بالفلك .

إن إشارتي الى بعض الظواهر العلمية في القرآن ، لا يعني أنني استوعبتها ، وإنما قصدت من ذكرها الإشارة الى مصدر معتمد فيه مادة غنية تنتظر الباحثين لدراستها وإظهار دلالاتها على مدى التقدم العلمي وانتشار التفكير العلمي ، علماً بأن تكوين الدولة وتوسعها استلزم اتباع تنظيمات تتطلب استعمال حقائق العلم .

(٣) أساليب المعرفة وطرقها :

وفي القرآن الكريم حضٌ على استعمال العقل للتفكير ، وأثنى على ممارسيه ، وردّ في آيات كثيرة عدة تعابير لمختلف مظاهر المعرفة ودرجاتها ، ومن هذه التعابير « رأي » (٣٣٢ موضحاً) ، و « بصر » (١٤٩) ، و « نظر » (٩٩) ، و « عرف » (٢٤) .

وترددت فيه كلمة « العقل » (٤٨) مرة ، والفكر (١٩) ، و « اللب » بمعنى العقل (٦) . كما ذكر من أساليب الحوار « الجدل » (٢٩) و « الحجاج » (١٩) و « المشاققة » . ووردت كلمة « علم » ومشتقاتها في ٨٠٠ آية ، منها ما يتصل بذات الله (٥٨٦) ومنها ما يتصل بالبشر والناس (١٨٤) ، كما ذكر القرآن الكريم « الذين أوتوا العلم » في تسع آيات ، و « الراسخون في العلم » في آيتين ، وأشاد بالعلماء فقال « إنما يخشى الله من عباده العلماء » (فاطر ٢٨) وقال « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (المجادلة ١١) وذكر الحكمة في ست عشرة آية ، منها عشر قرنها بالكتاب ، وآية قرنها

بالمملك ، وأخرى أنه آتى لقمان الحكمة ، (لقمان ١٢) ، وقال تعالى « يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً » (البقرة ٢٦٩) ، وقد أوحى الى الرسول من الحكمة (الاسراء ٣٩) وطلب اليه « أدعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » (النحل ١٢٥) .

ووصف تعالى ذاته بأنه « عزيز حكيم » (٤٥) ، وعالم حكيم (٣٤) ، « وحكيم خبير » (٤) و « عليّ حكيم » (٢) كما وصف ذاته في آيات منفردة بأنه « ثواب حكيم » ، و « حكيم خبير » و « واسع حكيم » .

(٤) الإهتمام بالفرد والاخلاق :

وفي القرآن الكريم اهتمام بالفرد ، واصلاحه وتنميته ، لوضعه في مكانه الصحيح في المجتمع من حيث انه اللبنة الأولى التي يتكون منها المجتمع ، واعتد الفرد كياناً خاصاً ، فجعله مسؤولاً عن تصرفاته الدينية والاخلاقية والقانونية . وأوجب الإلتزام بقواعد اخلاقية أساسية منها الصدق والأمانة والصبر وحب الخير للمجتمع ، وهي مبادئ أساسية للبحث العلمي السليم .

مرحلية كميون علم ردي

(٥) الحرية :

ومن الأمور الأساسية التي فرضها الإسلام « الحرية » التي تتصل بالفرد وتصرفاته ، إن المسؤولية الفردية تنبع من الحرية التي يتمتع بها الفرد في ممارسة إرادته ، وانطلاقاً من الحرية تقوم الدعوة الإسلامية على الجدل والاقناع العقلي المستند الى احترام الفرد وتمتعه بالحرية : « وجادِ لَهُمُ بالتي هي أحسن » ، « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » .

والحرية في الاسلام واسعة ، لا يحدّها الا الاضرار بمصلحة الآخرين أو تهديد المجتمع وسلامته ، او المس بأسس العقيدة ، وهي تمتد الى ميادين واسعة كحرية التنقل والعمل والكسب بالطرق المشروعة ، وتشمل دراسة الآراء والافكار

والمعتقدات وبحثها وتمحيصها للأخذ منها بما يراه المرء صحيحاً او مقنعاً بقناعة ذاتية ، ومن غير فرض أو الزام ، ومن غير الرجوع الى سلطة تفرض ذلك سراً ، فليس في الاسلام طبقة اكليروس أو كهنوت يحتكرون المعرفة ويفرضونها على الناس ، ومن الطبيعي ان تكون مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم بنزول الوحي عليه وهو اعرف بالاسلام ومتطلباته ، اما الصحابة فبالرغم من مكانتهم العظيمة وما يحظون به من الاحترام ، كانوا كالشرح والمفتين والمجتهدين ، وليست لآرائهم صفة الالزام . والحرية مستلزم أساس للنهوض بالدراسات وإنماثها ، وتمحيص الحقائق وتنويعها .

(٦) اللغة العربية الفصحى :

ومن ابرز الظواهر التي تميز بها القرآن الكريم نزوله باللغة العربية ، وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك في عدد من الآيات في سورة يوسف ، ٢ والرعد ٣٧ ، وطه ١٣ ، وفصلت ٣ ، والزخرف ٣ ، والشورى ٧ ، والاحقاف ١٢ ، وأن لغته سليمة أصيلة « قرآناً عربياً غير ذي عوج » (الزمر ٢٨) ، ولسان عربي مبين (النحل ١٠٢ ، الشعراء ١٩٥) ، وعروبه الأصلية الواضحة هي من ادلة أصالته وعدم اقتباسه من الأعاجم « لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين » (النحل ١٠٣) والغرض الرئيس من نزوله بالعربية أن يتفهمه العرب « إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » (يوسف ٢ ، الزخرف ٤ ، فصلت ٣) وقد جاء فيه أنه « كتاب مبين » في أربعة عشر موضعاً وأنه « البلاغ المبين » في سبع آيات .

تظهر هذه الآيات أن القرآن الكريم نزل باللغة العربية التي كانت سائدة عند أهل الجزيرة ، وعامة عندهم ، فهي اداة تجمعهم وتشدهم الى بعضهم وتوحدتهم فكراً ، وهي اللغة التي نظم فيها الشعراء من مختلف المناطق ، وعبر فيها البلغاء الأمثال والحكم المختارة والأقوال المنتخبة التي رويت عن عاش خلال

المائة والخمسين السنة التي سبقت الاسلام .

والقرآن الكريم كتاب هداية ، وأكثر آياته تتعلق بالعقيدة الدينية والنظرة الكونية الشاملة ، بالإضافة الى اهتمامه بالتوجيه السلوكي والاخلاقي للانسان وبمبادئ تتصل بالنظم والعلاقات الاجتماعية والتطورات التاريخية وقد استوعبت مفردات اللغة العربية بوضوح التعبير عن كل ماتقدم ، بالإضافة الى المفردات المتعاقبة بمظاهر الكون والفلك ، كالشمس والقمر والنجوم والابراج والسنين والشهور والايام والساعات ، واعداد الحساب بما في ذلك الآحاد والعشرات والمئين والالوف وكسور الآحاد كالنصف والثلث والربع والخمس والسدس ، والعمليات الحسابية كالجمع والقسمة والمضاعفة والانقاص ، ومظاهر المناخ كالهواء والرياح والعواصف والامطار ، والمياه ، والانهار ، والبحار ، والنبات ونموه وبعض المحاصيل النباتية كالنخيل والاعناب والزيتون والرمان ، وبعض الحيوانات ، واسماء اعضائها .

فالقرآن الكريم يظهر بعض معرفة العرب في عدد من الجوانب العلمية ، ويظهر ايضاً كفاية اللغة العربية بالانهاض بأي تقدم علمي ، وذلك بكثرة مفرداتها ومرونتها وقابليتها للاشتقاق ، والواقع ان هذه السمة المميزة مكنتها من استيعاب التطورات الفكرية النالية ، وافادت كثيراً من الأمم في الشرق والغرب في مواجهة التطور العلمي فاستعارت الكلمات العربية للتعبير عن المصطلحات والافكار العلمية التي تبنتها فيما بعد .

اللغة العربية أداة التفكير العلمي ووعاء المعرفة :

إن سيادة اللغة الفصحى العامة لم تمنع وجود اختلافات في لغة القبائل أو المجتمعات أو الاوساط المختلفة ، سواء في نطق حروف الامالة أو تبديل حروف بعض الالفاظ أو استعمال كلمات تناسب البيئة المحلية الطبيعية أو الثقافية للمتكلمين . وهذا التباين الذي نسميه لهجات كان محايماً في مكانه ،

محدوداً في نطاقه، ضعيفاً في أثره. وظلت الفصحى سائدة في العرب، يعتزون بها، ويحرصون على استعمالها، فانتشرت حيثما اقاموا، وساعد القرآن الكريم على تثبيت مكانتها، لأنه نزل بها، فكان على المسلمين من عرب وغيرهم أن يستعملوها في قراءة القرآن الكريم وإداء الفرائض، ثم عمت بعد تعريب الدواوين، الاوساط الادارية، واصبحت تستعمل في سجلات المالية والخراج، وما لبثت أن أصبحت لغة العلم والتجارة والحياة، فاستعملها الاعاجم المتصلون بالعرب، وخاصة من أقام منهم في الامصار العربية.

قامت الدولة الاسلامية الجديدة على العرب، فممع أن شعارها إعلاء كلمة الله وسيادة الاسلام، إلا أن المكانة الخاصة المتميزة فيها كانت للعرب الذين ظهر الاسلام فيهم، ونزل القرآن الكريم بلغتهم، وكان منهم المسلمون الأولون الذين تشبعوا بأرائه وعقائده، ومنهم الخلفاء والقادة وكبار الاداريين وكذلك المقاتلة الذين انتصروا في المعارك وسعوا رقعة الدولة، وحموا حدودها، وثبتوا الأمن والاستقرار فيها، وظلت جزيرة العرب «معيناً» و «مادة» للاسلام، تمد المقاتلة بالرجال، فتعوض ما يفتقدون، وتزيد من قوتهم العسكرية. كان للاسلام وتكوين دولته أثر كبير في ازدهار الحركة الفكرية العربية، وتركز نشاط هذه الحركة في العهود الاولى في الامصار، وبصورة خاصة في المدينة والبصرة والكوفة وقام بالدرجة الأولى على العرب، واهتم بميادين المعرفة التي يعنى بها العرب، وهي الشعر والأدب وقراءة القرآن وتفسيره والفقه والحديث واللغة. وأسهم عدد من الموالى في الحركة الفكرية ضمن هذا النطاق وفي هذا الميدان. ولاريب في أن هذه الحركة تأثرت في نشاطها ومسارها بالاحوال السائدة في الامصار التي اقيمت في أقاليم ذات حضارة تختلف في كثير من سماتها عن ما كان سائداً في الصحراء، وتأثرت بأحوال الأقاليم

التي تشرف الامصار على إدارتها والأمن فيها ، مما كان يتطلب تعزيز الصلات الادارية والمالية والبشرية فيها ، إذ كانت الحاميات العربية التي تقيم في تلك الأقاليم تتخذ من المصر الذي يتبعه ذلك الأقليم .

كانت صلة أهل الامصار في الأزمنة الاولى وثيقة بشبه جزيرة العرب ، وارتباطات كل عربي من أهل الامصار قوية بمن ظلّ من عشيرته مقيماً في الجزيرة؛ ولكن على ممر الأيام ازدادت العلاقات بين المقيمين في المصر الواحد الذي انمى بالتدريج « شخصية » متميزة يعززها الاشتراك في مكان الإقامة وفي المصالح والعلاقات التي كثيراً ما اصطدمت بالامصار الأخرى رغم تشابه أصول وعشائر سكانها ، ورافق كل ذلك إضعاف العلاقة بين العرب المقيمين في الامصار وعشائرهم التي ظلت في الجزيرة . غير أن العلاقات رغم ضعفها ظلت قائمة بين القاطنين في الامصار والمقيمين في الجزيرة ، وظل أهل الأمصار يرون أن أصولهم من الجزيرة ، وخصائصهم تتجلى في المقيمين في الجزيرة ، أي أن كثيراً من مشاهير الثقافة كانت في الجزيرة ، وخاصة في اللغة والروابط القبلية والتاريخ .

دراسة لغة أهل الجزيرة : اللغة المعجمية واللغة العامة

ان إيمان العرب بتميز الخصائص الثقافية العربية ، وحرصهم على معرفة هذه الخصائص وتسجيلها ، وادراكهم احتفاظ الصحراء بها ، دفع عدداً من المعنيين منهم الى الاتصال بأهل الصحراء للحصول على المعلومات عنها. وسلك هؤلاء المعنيون سُبُلًا متعددة ، فمنهم من كان يتبع الأعراب الوافدين الى الامصار والاستماع اليهم أو مساءلتهم ، ومنهم من كان يرحل الى مواطن القبائل في الصحراء ليستمد من أفرادها المعلومات عن ثقافتهم ومعارفهم وأحوالهم ، وبرز في هذا الميدان عدد من العلماء (انظر تفاصيل أوفى عن ذلك في كتاب « الاعراب الرواة » للدكتور عبد الحميد الشلقاني ، و « تاريخ الأدب العربي » لمصطفى صادق الرافعي ، و « المعجم العربي » للدكتور حسين نصّار) .

كانت أغلب رحلات الرواة الى المناطق الواقعة بين العراق والحجاز ، أي الى قبائل تميم وطيّ وأسند وغطفان وعامر بن صعصعة ، التي عدّوا لغاتها أفصح اللغات (المزهر - للسيوطي) ، وهذه القبائل تقع ديارها على الطريق الرئيسة التي تربط العراق بمكة والمدينة ؛ ويلاحظ أن القرآن الكريم نزل على الرسول (ص) في مكة والمدينة اللتين ليس فيهما إلاّ افراد قليلون من هذه القبائل ، كما ان معظم شعراء المعلقات لم يكونوا من هذه القبائل . ثم إن ديار هذه القبائل شحيحة المياه ، قليلة الواحات والمناجم ، وبعيدة عن سواحل البحار وما فيها من نشاط تجاري وملاحي ، فحرص الرواة على الاعتماد على هذه القبائل حصر للمادة التي جمعوها في نطاق ضيق ، لأنه أخرج ما عند قبائل كثيرة من كيان ثقافي ، ومنهم من كان يسكن أطراف العراق والشام ، مثل تغلب وبكر بن وائل وكلب وإياد ، أو يقيم في البحرين وعمان ، مثل عبدالقيس والأزد ، وكذلك قبائل اليمن وحضرموت وأهل المدر في الجزيرة .

وأغفل الرواة دراسة كثير من الكلمات التي استعملها العرب المستقرون في الامصار الجديدة ، وبذلك اقتضرت عنايتهم على البدو دون الحضرة ، ولم يعنوا بتدوين التطورات التي حدثت في الامصار بعد الاسلام وأدت الى توسع اللغة وزيادة مفرداتها . وبذلك قرنوا العروبة بالبدواة ، وضيقوا نطاقها واخرجوها عن دائرة التحضر ؛ وهم بهذه النظرة المحدودة فسحوا المجال للقيام بدراسات للكلمات المستعملة من مناطق ومجتمعات عربية أخرى . وقدموا حجة يستند عليها بعض من لهم نيات مريبة في البحث عن أصول كثير من الكلمات العربية في اللغات الأعجمية .

ولاريب في ان دراسة الكتب العلمية التي ألّفت منذ اواسط القرن الثاني الهجري تكشف عن معلومات زاخرة بمفرداتها وافكارها مما استعمله العرب ، ولاسيما المتحضرون المعنيون بانماء المعرفة والعلم . وقد ادرك عدد من المحدثين من علماء الغرب والعرب ، اهمية المادة التي اغفلها الرواة . فأعدوا قوائم بالمفردات

المستعملة من الكتب ، وقام بعضهم بشرح معانيها ؛ نذكر على سبيل المثال منها القائمة التي اعدّها دي غويه للكلمات « غير المعجمية » التي وردت في تاريخ الطبري ، وفي فتوح البلدان للبلاذري ، والملحق الذي قام باعداده المستشرق دوزي للمعاجم العربية . ولا يزال المجال مفتوحاً لأعمال أوسع تستوعب جرد الكلمات الكثيرة في كتب الفقه والطب والعلوم الأخرى ، وسيساعد ذلك على توسيع معلوماتنا عن مدى امتداد المعرفة العلمية عند العرب .

ان المعلومات التي جمعها الرواة ، رغم حدودها ، لا تعتبر عما كان سائداً في زمن تسجيلها (أي في المائة الثانية للهجرة) ، وانما كانت تعبر أيضاً عن بعض حضارة عرب الجزيرة وثقافتهم عند ظهور الاسلام وقبله ، لأن القبائل التي اعتمدت في نقل المعلومات عنها ، كانت تسكن في مناطق منعزلة ، ولم تكن معرضة لتأثيرات حضارية واسعة .

ويتبين من مفردات اللغة العربية التي جمعها الرواة ودونها أصحاب النوادر والامالي والمعاجم ، أن العربية كانت غنية في التعبيرات عما يتصل بالانسان ، وفي جملة ذلك تكوين جسمه وأعضائه وأجزاء بدنه وإحساساته وعواطفه ، وكذلك ما يتصل بالحياة المادية لسكان الجزيرة ، من ملبوسات ومأكولات وأثاث ولوازم وأسلحة ؛ كما أنها غنية بكليات وجزئيات ما يتعلق بالحيوانات في الصحراء بما في ذلك أسماؤها وأعضاؤها وغذاؤها ولوازمها وهي غنية أيضاً بما يتعلق بالأرض والتضاريس والتربة والنبات وبمظاهر المناخ من رياح وأمطار ، وفي النجوم وكثير من مظاهر الفلك .

واللغة العربية تظهر الطابع الانساني للحضارة العربية أي في الاهتمام بالانسان ، وهو المخلوق الاجتماعي الذي يتسم بالاحساس والشعور وتذوق الجمال ، ويدرك قيمة الأخلاق والسلوك الاجتماعي والحياة الاجتماعية ، كما تظهر ادراكهم لتطورات الزمن

وتشبعهم بالحس التاريخي المعبر عن نفسه بالاهتمام بأخبار الماضي وسنتهم وتقاليدهم ، والعناية بالانسان والاعتزاز بالمجيد من أعمال الآباء والأجداد . وعني الرواة أيضاً بنقل ما كان يُردّدهُ أهل المناطق التي زاروها من شعر نُظِمَ بالفصحى وفيه مادة لغوية غنية ، فضلاً عن أن وزنه يدل على المستوى الفني والادراك الموسيقي عند العرب .

التدوين والكتب :

كان الرواة يعرضون معلوماتهم شفاهاً لمن يتحدثون معهم أو في حلقات العلم التي كانت تجمع المعنيين ، ولما نشط التدوين وازداد تأليف الكتب ، بدأ هؤلاء الرواة واهل المعرفة في تدوين معلوماتهم وفوفروا للناس مادة معتمدة للدراسة وقد سجل ابن النديم في كتابه «الفهرست» أسماء أكثر المؤلفين والكتب العربية حتى سنة ٣٧٧ ، وكانت للكتب التي ألفها المعنيون بثقافة اهل الجزيرة مكانة واضحة من حيث عددها وتنوع مواضيعها ، وتدل عناوين هذه الكتب على أن بعضها كان يختص بموضوع واحد أو مواضيع محددة ، والبعض الآخر كان يحتوي على معلومات عامة من مواضيع متعددة ومنوعة ، وكلها معلومات من ميدان العلوم بالمعنى الذي حددناه .

فأما الكتب المفردة لموضوع واحد فان عناوينها تظهر مدى اختصاصها بالعلوم ، وهي تشمل مايتصل بالانسان والحيوان ، ويبلغ مجموع المؤلفات التي ذكرها ابن النديم فيها تسعين كتاباً ، منها لخلق الانسان (١٩) والخيول (١٩) وخلق الفرس (١٢) والابل (١٤) والغنم (٥) والنحل (٤) والطيور (٤) والحشرات (٤) والحيات (٣) والجراد (٢) وواحد لكل من الهوام ، والبزاة ، والذباب ، والبغال .

أما في النبات فقد ذكر ابن النديم أسماء خمسة وعشرين كتاباً منها عنوانه « النبات » (٨) ، و « النبات والشجر » (٦) و « الزرع » (٥) و « النخل » (٤) وكتاب واحد لكل من الكرّم والعشب .

وفي أحوال الجو ذكر ابن النديم عشرين كتاباً عنوان كل منها « الأنواء » وخمسة عنوان كل منها « الأزمنة » وأربعة عنوانها « الأيام » ، وثلاثة عنوانها « الأوقات » واثنان عن « الشتاء والصيف » ، وعن « الامطار » وواحد عن « الليل والنهار »

ان التأليف في هذه المواضيع يكاد يقتصر على « علماء العربية » إذ لم يترجم أو يؤلف فيها غيرهم إلا عدداً قليلاً جداً من الكتب ، كما يتبين مما ذكره ابن النديم من مؤلفات لم يعرف لهم اختصاص بعلوم وذكر ابن النديم من هذه المؤلفات ثلاثة في خلق الانسان ألفها النظام (٢٠٦) وابن الريوندي (٢١٧) وأبو هاشم (٢٢٢) ، وذكر كتاباً واحداً في الحيوان ألفه الجاحظ وهو كتاب واسع نقل فيه عن ارسطو ، ولكن أكثر ما أورده مستمد من كتب العرب . وذكر ابن النديم خمسة كتب في البزاة ، احدها لأبي دلف (١٣٠) وأربعة ذكر أنها « للفرس ، ولترك ، وللروم ، وللعرب » (٣٧٧) .

أما في الحشرات فذكر « أجناس الحشرات » لابن البطريق (٣٧٩) و « رسالة في الحشرات » للكندي (٣٢٠) وذكر أيضاً « أجناس الحيات » لنقل الهندي (٣٧٩) و « رسالة في انواع النحل وكرائمه » للكندي (٣٢٠) والكتاب الوحيد في الحيوان الذي ذكره من كتب الاغريق هو كتاب « الحيوان » لارسطو (٣١٢ ، ٣٢٧) .

وذكر ابن النديم أربعة كتب في الجوارح ألفها محمد بن عبدالله البازيار (٣٧٧) وابن المعتز (١٣٠) وأبو دلف (٣٧٧) والسرّخسي (٣٢١) ، كما ذكر للرازي كتابين عنوان أحدهما « السبب في قتل ريح السموم أكثر الحيوان » (٣٥٧) و « العلة في خلق السباع والهوام » (٣٥٨) .

وذكر أيضاً كتاب « تسمية اعضاء الانسان ارفوس » (٣٥٠) . أما في النبات فقد ذكر ابن النديم لابن وحشية كتاب الفلاحة (١٩٧) و « الفلاحة الكبير والصغير » (٧٣٢) وأسماء النبات لثاوفر سطورس نقله إبراهيم بن بكوس

(٣١٢) و « الحشائش » لديسقوريدس (٣٥١) وترجمة كتاب الفلاحة للروم
لعلي بن محمد بن سعد (١٩٧) و « الفلاحة والعمارة » للأهوازي (١٧١)
المؤلفات :

ان الكتب المؤلفة في خلق الانسان التي ذكرها ابن النديم هي لكل من ابي
مالك عمرو بن كركره (٤٩) والنضر بن شميل (ت ٢٠٤) (٥٧) وقطرب
(ت ٢٠٦) (٥٨) وابي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦) (٥٧) والمفضل بن سلمة
(ت ٢٠٨) وابي عبيدة (ت ٢١٠) (٥٩) والأحوص (ت ٢١٣) (٦١) وابي زيد
الانصاري (ت ٢١٥) (٦٠) وابي زياد الكلابي (ت ٢١٥) (٥٠) وسعدان بن
المبارك ٧٧ ونصر بن يوسف (٧٢) وابن الاعرابي (ت ٢٠٣) (٧٦) وأبي مُحَلَّم
الشيواني (ت ٢٤٧) (٥٢) ومحمد بن حبيب (ت ٢٤٥) (١١٩) وابي حاتم السجستاني
(ت ٢٥٥) (٦٢) وثابت بن ابي ثابت (٧٦) وابن قتيبة (ت ٢٧٦) (٨٦) ، والحسن بن
عبدالله ، والقاسم بن محمد الانباري (ت ٣٠٤) (٨١) وابي موسى الحامض
(ت ٣٠٥) (٨٧) وأبي اسحق الزجاج (ت ٣١٠) (٦٦) ومحمد بن احمد الوشاء
(ت ٣٢٥) (٩٣) ومحمد بن عثمان الجعد (ت ٩٠) والحرمازي (٥٤)
والأنخفش (٥٨) وابي ثروان العكلي (٥٢) .

وقد فقدت معظم هذه الكتب ، وبقي منها كتاب الأصمعي ، ولكن عدداً
من الكتب المتأخرة نقلت عنهم .

أما في الخيل فان ابن النديم ذكر من أفرد فيها كتباً : عمرو بن كركره
(٤٩) ومحمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤) (١٠٩) وأبا عمرو الشيباني (ت ٢٠٦)
(٧٥) وأبا عبيدة (ت ٢١٠) (٢٩) والأصمعي (ت ٢١٣) (٦١) وعلي بن
محمد المدائني (ت ٢٢٥) (١١٧) ومحمد بن عبدالله العتبي (ت ٢٢٨) (١٣٥)
وابن الاعرابي (ت ٢٣١) (٧٦) وأحمد بن حاتم (ت ٢٣١) (٦١) والتوزي
(ت ٢٣٣) (٦٣) وهشام بن ابراهيم الكرنباني (٧٧) ومحمد بن حبيب
(ت ٢٤٥) (١١٩) وأبا مُحَلَّم الشيباني (ت ٢٤٥) (٥٢) والعباس بن الفرج

الرياشي (ت ٢٥٧) (٦٤) وابن قتيبة (ت ٢٧٦) (١٣٥) وأحمد بن أبي طاهر (ت ٢٨٠) (١٦٣) .

وألّف في الخيل أيضاً إبراهيم بن محمد بن سعدان (٨٧) وأحمد بن حاتم أبي نصر (٦١) وابن دريد (٦٧) والأشناني (١٢٧) وابن مهرويه (٨٨) وألف في انساب الخيل كل من هشام بن محمد الكلبي (ت ٢٠٦) (١٠٩) وابن الأعرابي (ت ٢٣٣) (٧٦) وذكر ابن النديم ممن ألّف كتاباً عنوانه « خَلَقَ الفرس » كل من الأصمعي (٦١) وثابت ابن أبي ثابت (ت ٢١٩) (٧٢) وإبراهيم بن السري (الزّجاج) (ت ٣١٠) (٦٦) والقاسم بن محمد الأنباري (ت ٣٠٤) (٨١) وقطرب (ت ٢٠٦) (٥٨) والنضر بن شميل (ت ٢٠٤) (٥٨) وابن الوشاء (٩٣) وأبو ثروان العكلي (٥٢) وعلي بن عبيدة الريحاني (١٣٣) وقد طبع من هذه الكتب كتاب الأصمعي ، طبعة هفتر سنة ١٨٨٨ ثم الدكتور نوري حمودي في سنة ١٩٦٩ ، وطبع كرنكو كتاب أبي عبيدة سنة ١٣٥٨ هـ وطبع ديالا فيدا كتاب ابن الأعرابي سنة ١٩٢٨ . وطبع أحمد زكي باشا « أنساب الخيل » لابن الكلبي .

أما الأبل فذكر ابن النديم ممن أفرد لها كتاباً : النضر بن شميل (ت ٢٠٤) (٥٧) وأبا عمرو الشيباني (ت ٢٠٦) (٧٢) وأبا عبيدة (ت ٢١٠) (٥٩) والأصمعي (ت ٢١٣) (٦١) وأبا زياد الكلابي (ت ٢١٥) (٥٠) وأبا زيد الأنصاري (ت ٢١٥) (٦٠) وأحمد بن حاتم (ت ٢٣١) (٦١ و ٦٤) ويعقوب بن السكيت (ت ٢٤٤) (٧٩) وأبا حاتم السجستاني (ت ٢٥٥) (٦٤) والرياشي (ت ٢٥٧) (٦٤) وأبا الشمخ (٥٠) ونصر بن يوسف (٧٢) (٢٠٩) وقد طبع من هذه الكتب كتاب الأصمعي الذي طبعه هفتر سنة ١٩٠٣ .

أما المؤلفات المفردة للغنم ، فإن ابن النديم ذكر كتاب « الغنم » للنضر ابن شُمَيْل (ت ٢٠٤) (٥٧) و « الشاة » لأبي عبيدة (ت ٢١٠) (٥٢) وصفات الغنم وعلاجها واسنانها للأخفش الأوسط (ت ٢١١) (٥٢) و « نعت الغنم »

و « الابل والشاة » و « المغزى » لأبي زيد (ت ٢١٥ هـ) (٦٠) و « الشاء » للأصمعي (ت ٢١٣ هـ) . وقد طبع الكتاب الأخير سنة ١٨٩٦ .

وذكر ابن النديم كتباً عنوانها « الرخوش » ألف فيها الأصمعي (ت ٢١٣ هـ) (٦١) وثابت ابن أبي ثابت (ت ٢١٥ هـ) (٧٦) وأبو زيد الانصاري (ت ٢١٥ هـ) (٦٠) وسعدان بن المبارك (ت ٢٢٠ هـ) (٧٧) ويعقوب بن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) (٧٩) وأبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) (٦٢) والسكري (ت ٢٧٥ هـ) (٨٦) وسليمان ابن الحامض (ت ٣٠٥ هـ) (٨٧) والكرنبائي (٧٧) وبندار الكرخي (٩١) وقد طبع من هذه الكتب كتاب الاصمعي طبعة جاييس سنة ١٨٨٨ .

وفي الطير ألف كل من النضر بن شميل (ت ٢٠٤ هـ) (٥٨) وأحمد بن حاتم (ت ٢٣١ هـ) (٦١) وأبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) (٦٤) كما ألف أبو عبيدة (ت ٢١٠ هـ) كتاباً في « الحمام » (٥٩) وقد فقدت هذه الكتب . وفي الحشرات ذكر ابن النديم كتاباً مفردة ألفها أبو خيرة نهشل بن زيد الأعرابي (٥٨) ويعقوب بن الشكيت (ت ٢٤٦ هـ) (٧٩) وأبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥) (٦٤) وهشام بن ابراهيم الكرنبائي (٧٧) .

وفي النحل ألف أبو عمرو الشيباني (ت ٢٠٦ هـ) (٧٥) والأصمعي (ت ٢١٣ هـ) (٦١) ومحمد بن إسحق الأهوازي (١٧١ و ١٩٧) .

وألّف علي بن عبيدة « صفة النحل والبعوض » (٢٣٣) .

وفي الجراد ألف المدائني (ت ٢٢٥ هـ) (١١٧) وأحمد بن حاتم (ت ٢٣١ هـ) (٦١) والأخفش الصغير (ت ٣١٥ هـ) (٩١) .

وألّف في الحيات خلّف الأحمر (٥٥) وأبو عبيدة (٥٩) .

وألّف ابن الأعرابي (ت ٢٣١ هـ) كتاباً في الذُّبَاب (٧٦) وابن قتيبة كتاباً في الهُوَام (٥٨) .

ذكرنا أن ابن النديم ذكر أسماء عددٍ من المؤلفات التي اختص كل منها بالنبات والشجر فذكر من الكتب التي عنوانها « النَبَات » ألفها ابن الأعرابي (ت ٢٠٣ هـ) (٧٦) ومحمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ) (١١٩) والسجستاني (ت ٢٥٥ هـ) (٦٤) وأبو سعيد السكري (ت ٢٧٥ هـ) (٨٦) وسليمان الحامض (ت ٣٠٢ هـ) (٨٧) والكرنباي (٨٧) وأبو حنيفة الدينوري (ت ٨٦ هـ) .

وذكر ابن النديم كتباً عنوانها « النبات والشجر » ألفها الأصمعي (ت ٢١٤ هـ) (٦١) وأبو زيد الأنصاري (ت ٢١٥ هـ) (٦٠) وثلاثة كتب بعنوان « الشجر والنبات » ألف كلاً منها أحمد بن حاتم (ت ٢٣١ هـ) (٦١) وابن السكيت (ت ٢٤٣ هـ) (٧٩) والبُستي (١٥٤) .

والكتب التي عنوانها الزرع ألف فيها أبو عبيدة (ت ٢٠٧ هـ) (٥٩) والسجستاني (ت ٢٥٥ هـ) (٦٤) و « صفة الزرع لابن الأعرابي (ت ٢٠٣ هـ) (٦١) ، و « الزرع والنخل » لأحمد بن حاتم (٦١) و « النبت والبقل » لابن الأعرابي (٧٦) و كتاب « الزرع والنبات والنخل وأنواع الشجر » للمفضل بن سلمة (ت ٢٩٠ هـ) (٨٠)

ولابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) كتاب النبات والشجر (طبع سنة ١٩٠٩) وكذلك للعجاج البصري (ت ٣٢٧ هـ) « كتاب الشجر والنبات » .

وألف كتاباً عنوانه « النخلة » ابن الأعرابي (ت ٢٠٣ هـ) (٧٦) وأبو عمرو الشيباني (ت ٢٠٦ هـ) (٧٥) ، والسجستاني (ت ٢٥٥ هـ) (٦٤) وألف الأصمعي (ت ٢١٣ هـ) « النخل والكرم » (٦١) والسجستاني « الكرم » (٦٤) و « العشب » (٦٤) .

يلاحظ من الجرد الذي عرضناه أن أبرز المؤلفين في هذه المواضع هم الأصمعي ، وأبو عبيدة ، حيث كتب كل منهم في سبعة مواضع ، ثم أبو عمرو الشيباني ، وأبو زيد الأنصاري ، وأبو حاتم السجستاني وقد ألف كل منهم في خمس

مواضيع ، ثم أحمد بن أبي حاتم ، وأبو زياد الكلابي ، وقد ألف كل منهما في أربعة مواضيع ، ثم ابن حبيب ، والنضر بن شميل ، وثابت بن أبي ثابت ، والمفضل بن سلمة ، والزجاج ، وقد ألف كل منهما في ثلاثة مواضيع ، وألف في موضعين كل من ابن قتيبة ، وعمرو بن كركره ، وابن الأنباري والوشاء ، وسعدان بن المبارك ، وسليمان الحامض ، وقطرب ، والكرنباني وأبو سعيد السكري وابن السكيت والرياشي .

تتسم مؤلفات هؤلاء المؤلفين بطريقة خاصة واسلوب في العرض يختلف عن مؤلفات المتأثرين بالثقافات الاجنبية ، ومن المعلوم أن عدداً من هؤلاء ألف كتباً في موضوع أو أكثر من المواضيع التي يعني بها أصحاب الثقافة العربية كاللغة والانساب وتاريخ العرب .

مادة علمية في كتب عامة

ولا بد من الإشارة إلى مادة من هذا الموضوع مذكورة في كتب تشمل دراسات أوسع مثل أدب الكاتب ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ، وغريب المصنف للقاسم ابن سلام .

تضم الكتب المذكورة آنفاً تعابير لغوية ، ومعلومات عن المحسوسات المادية التي تبحثها ، وفيها أيضاً أوصاف لبعض المحسوسات ، والغالب أن هذه الكتب تعرض حقائق حول موضوع واحد ، مجموع بعضها مع بعض بصورة صدقيّة ، ودون أن تتبع ترتيباً معيناً ، وقلما يصحبها تحليل أو تعليل أو استنباط لقواعد عامة شاملة .

والمعلومات التي في هذه الكتب يقدمها المؤلف دون ذكر مصادره ، أو معلومات عن أسماء من روى عنهم ومكانتهم الثقافية ومدى تميزهم فيها ، وهو يذكر أحياناً اسم العشيرة التي يعم فيها هذا الاستعمال ، ومن الطبيعي أن المؤلف حصل على معظم معلوماته جواباً على أسئلة وجهها ، فالمعلومات في الأصل جزء من ثقافة عامة لا شعورية ، ينقلها المؤلف الى الشعور ويدونها لأنه يريد بها ،

أي أن المؤلف هو الذي اختار ما يدرسه من المعلومات ، ونظمها تبعاً لما يرتئي ، وهو متأثر بالبيئة الثقافية التي نشأ فيها ، فهي قد تكون بل الراجح ، جزءاً من المعرفة في المجتمع الذي نقلت عنه ، ولكننا لا نعلم مدى سعة معلومات المجتمع الذي استمدت منه ، وعدد المتبحرين فيه ، وتاريخ بدء الادراك الذي تطلب استعمال كلمة خاصة ومدى تطورها . فالمادة التي تقدمها هذه الكتب هي المعرفة العلمية المتراكمة ، وليس تاريخ تطورها . وان دراسة تطور هذه العلوم هو في الحقيقة دراسة تطور تدوين المعلومات عنها .

أما الكتب التي فيها معلومات عامة فأكثرها يحمل عنوان « النواذر » وذكر ابن النديم منها ثلاثين مؤلفاً . وبعض الكتب عناوين أخرى مثل « الصفات » او « المعاني » او « الغريب » ، وهذه العناوين تدل على أنها كانت تحتوي على معلومات عامة في نطاقها ، متفردة في معانيها وغير شائعة ولا مألوفة في مراكز العلم الرئيسة ، وهي الكوفة والبصرة وبغداد ، فاختيارها متأثر بنطاق واتجاهات المعرفة في هذه المراكز . وأغلب هذه الكتب تعني بتدوين وضبط المفردات اللغوية ، وتورد معلومات عن معنى هذه المفردات أو ما يتصل بها ، وأكثر اهتمامها منصباً على ما يتعلق باللغة وضبط اللفظ ، غير أنها تعني أيضاً بالمعنى ، فتنظم معلوماتها على أساس معين يساعد على فهم المعنى ، وقد تشرح الكلمات التي توردها بما يوضح معناها . وفي عددٍ من هذه الكتب معلومات عن ما تهتم به العلوم ، وخاصة خلقت الانسان ، والحيوان ، والنبات ، والانواء .

إن أغلب هذه الكتب ألفها نفس مؤلفي الكتب ذات السمة الاختصاصية ، وكلها ألفت في نفس المدة ، حيث أن مؤلفيها ممن توفوا في القرن الثالث الهجري وخاصة في نصفه الأول .

وصلت الينا أربعة من كتب النواذر هي ما ألفه أبو مسحّل ، وأبو زيد ، وابن

الأعرابي وثعلب ، وهي تعني بالشعر واللغة ، وفي نوادر أبي مسحل معلومات عن النخل تشبه ما ورد في كتاب النخل « للأصمعي وما ورد في غريب المصنف لأبي عبيد ، وقد نشر هفتر هذا الفصل ونسبه للأصمعي ، ثم أعاد لويس شيخو نشره في كتاب البلغة .

أما الكتب التي عنوانها « الصفات » فقد ذكر ابن النديم من مؤلفيها النضر ابن شميل (٢٠٤) (٥٧) وقطرب (٢٠٦) (٦٨) والأصمعي (٢١٣) (٦١) ولغدة الاصفهاني (٢١٣) (٦١) ويبدو أن مادتها مرتبة تبعاً للمواضيع وأشهر هذه الكتب هو كتاب الصفات للنضر بن شميل الذي يقول ابن النديم إنه « كتاب كبير يحتوي على عدة كتب : الجزء الاول يحتوي على خلق الانسان والجود والكرم وصفات النساء (٢٠) ، والجزء الثاني يحتوي على الأخبية والبيوت ، وصفة الجبال والشعاب ، والأمتعة ، والجزء الثالث للابل ، والجزء الرابع يحتوي على الغنم والطير ، والشمس والقمر والليل والنهار ، والألبان والكمأة والآبار والحياض والأرشية والدلاء ، وصفة الخمر ، والجزء الخامس يحتوي على الزرع والكرم والعنب ، واسماء البقول والأشجار ، والرياح والسحاب والامطار ، وكتاب السلاح ، وكتاب خلق الفرس » (ابن النديم ٥٧ إنشاء الرواة ٣-٣٥٢ وفيات الاعيان ٢-٢١٤) .

أما الكتب التي عنوانها « الغريب المصنف » فإن ابن النديم يذكر اثنين منها أحدهما لأبي عمرو الشيباني (٢٠٦) (٧٥) والثاني لأبي عبيد القاسم ابن سلام ت ٢١٠ (٧٨) ، وقد وصلت الياناسخ مخطوطة من الكتاب الأخير ، وهو مقسم إلى حوالي ثلاثين قسماً ، يسمى كل منها « كتاب » ، منها كتاب لخلق الانسان ، والاطعمة ، والأمراض ، والدور والأرضين ، والخيول ، والطير ، والحشرات وهذه الاقسام متباينة في طولها ، فبعضها يبلغ عدة صفحات ، وبعضها مكون من سطر أو أقل .

يقول ابن النديم إن أبا عبيد القاسم بن سلام أَخَذَ كتابه « الغريب المصنف » من كتاب الصفات للنضر بن شميل (٥٧) ، و (انظر انباء الرواة ٣-١٤) ، غير أن هذا القول غير مصيب ، لان مقارنة الكتابين تظهر أن في كتاب أبي عبيد معلومات أوسع وأبواباً أكثر ، علماً بأن أبا عبيد اعتمد على عدد ممن سبقه ، وأشار إليهم في كتابه (انظر مصادر الدراسة اللغوية للدكتور محمد حسن آل ياسين (٢٩١ - ٣٠٢ ، ٢٢٨ - ٩) المعجم العربي الدكتور حسين نصار .

أمّا كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة فهو مكوّن من اثني عشر كتاباً، كل كتاب مقسم على عدة أبواب يبلغ مجموعها ١٨١ باباً ، ومما فيها كتاب الفرس ، والإبل ، والديار ، والرياح والسباع والوحوش ، والهوام . غير أن هذه الكتب غير موجودة في النسخ الباقية التي اعتمد عليها في طبع الكتاب .

ونشير أخيراً الى كتاب الجرائيم ، ومنه نسخة مخطوطة في الظاهرية (رقم ١٥٩٦) وفي الكتاب فصول عن النفس والجسم ، وعن الأزمنة والرياح وأسماء الدهر ، وعن السحاب والمطر ، والجبال والأرضين والفلكوات ، والنخل والكرم والخيل ونعوتها والسلاح واكتمالته ، والنعم والبهايم والوحوش والسباع والطيور والهوام وحشرات الأرض . فأبوابه تشبه أبواب كتاب الغريب المصنف لأبي عبيد ، وقد طبع هفتر في سنة ١٩٠٨ كتاب «النعم والبهايم والوحوش» ، كما طبع كتاب «النخل والكرم» ، وأعاد طبعها لويس شيخو في سنة ١٩١٤ .

أثارت نسبة مؤلف الكتاب نقاشاً طويلاً دون الوصول الى نتيجة ، ولكن الثابت أنه من مؤلفات القرن الثالث (انظر الدراسات اللغوية في العراق ٣١٣-٣٢١) ومن الكتب التي عنيّت بتدوين اللغة مُصَنِّفة حسب المواضيع ، هي الكتب التي الفت للكتّاب ، وهم موظفو الدواوين الذين صاروا بعد تعريب الدواوين يكتبون بالعربية ، فكان عليهم إتقانها ، ومعرفة المعاني الصحيحة لمفرداتها لكي يتجنبوا باستعمالها الأخطاء التي قد تؤدي الى إرباك في الادارة وظلم للناس ، ومن

أقدم هذه الكتب هو كتاب « أدب الكاتب » لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) (٨٦) الذي اعتبره ابن خلدون أحد الأركان الأربعة لأصول الأدب وللكتاب عدة شروح طُبِعَ منها شرح البطليوسي ، وشرح الجواليقي .

ومن الكتب المهمة في هذا الموضوع كتاب « الخراج وصناعة الكتاب » لقدامة بن جعفر ، فيه فصول عن خَلْق الإنسان وأعضائه وعن الخيل وشياتها ، بالإضافة الى ما ذكره في فصل الخراج عن المزروعات . وفي فصلي خلق الإنسان ، والخيل مفردات كثيرة تتصل بالتشريح وعلم الحيوان ، وكان هذا الفصل معتمد عدد من المؤلفين المتأخرين ومنهم عبدالرحمن بن عيسى الهمداني في كتابه « الألفاظ الكتابية » والنويري في « نهاية الأرب » .



وفي كتب الفقه معلومات عن الزرع والنبات والحيوان وبعض الظواهر الفلكية ، وهي مذكورة في الفصول التي لها صلة بها ؛ فأما الظواهر الفلكية فانها تذكر في الكلام عن الصلاة ، والصوم ، والحج ؛ وأما ما يتصل بالنبات والزرع والحيوان والمياه فمذكورة في الفصول التي تدرس الزكاة والصدقات والخراج ، والسلم والساف ، والبيوع والتجارات . وفي كتب الفقه المفصلة مثل « المدونة » لمالك ، و « الأم » للشافعي ، و « الخراج » لأبي يوسف ، و « الاموال » لابن سلام معلومات واسعة ودقيقة عن هذه المنتجات في صدر الاسلام ، تذكر ضمن نطاق الفقه ، وتظهر مدى أهمية مادة « العلوم » في الحياة اليومية .

يعتبر صاعد الأندلسي ان أبرز مساهمة لعرب الجزيرة هو ما كان لهم من « معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغاربها ، وعلم بأنواء الكواكب وأمطارها ، على بحسب ما أدركوه بفرط العناية وطول التجربة ، لاحتياجهم الى معرفة ذلك في أسباب المعيشة لاعلى طريق تعلم الحقائق ولاعلى سبيل التدرب في العاوم » (طبقات الأمم ٤٥) .

ومما يؤيد عناية المؤلفين العرب بتدوين المعلومات عن الأنواء والأزمنة وأحوال الجو ، ان ابن النديم ذكر أسماء عشرين كتاباً بعنوان كل منها « الأنواء » ألفها مؤرج السدوسي (٥٤) وقُطْرُب (ت ٢٠٦هـ) (٩٧) وابن كُنَاسة (ت ٢٠٧هـ) (٧٧) والمفضَّل بن سَلَمَة (ت ٢٠٨هـ) (٨٠) والأصمعي (ت ٢١٣هـ) (٩٧، ٦١) وابن الأعرابي (ت ٢١٣هـ) (٩٧، ٧٦) وأبو الهيثم الرازي (ت ٢٣٦هـ) (٨٦) ومحمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ) (٩٧، ١١٩) وأبو محلم (ت ٢٤٨هـ) (٩٧، ٥٢) وابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) (٩٧) وأبو حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢هـ) (٩٧، ٨٦) والمبرد (ت ٢٨٥هـ) (٦٥)، والزَّجَّاج (ت ٣١٠هـ) (٩٧) ووَكيع (ت ٣١٤هـ) (٩٧، ١٢٧) وذكر أيضاً كتباً بهذا العنوان لكل من أحمد بن سليم الرازي (٩٧) وابن عَمَّار (٩٧) وابن غالب (٩٧) والمُرثِدي ، وقال إن له « كتاب في نهاية الحسن (١٤٣) ، والوهبي (٩٧) وقد خصَّ صاعد كتاب الدينوري بالذكر فقال « ولأبي حنيفة الدينوري أحمد بن داود اللغوي كتاب شريف في الأنواء تَصَمَّن ما كان عند العرب من العلم بالسماء والأنواء ومهاب الرياح وتفصيل الأزمان وغير ذلك من هذا الفن (طبقات الأمم ٤٥) ، ووصف ابن النديم كتاب المرثدي بأنه « كبير في غاية الحسن » (١٤٣) .

وذكر ابن النديم أن لكل من ابن خرداذبه (١٦٥) وأبي مَعَشَر (٣٣٦) كتاباً في الأنواء وأن للمفضل بن سَلَمَة « كتاب الأنواء والبوارج » (٨٠) والمبرد (ت ٢٨٥هـ) « كتاب الأنواء والأزمنة » (٦٥) وذكر البيروني للكلثومي كتاباً في الأنواء « الآثار الباقية » (٣٣٦) وقد ذكر نالينو معظم هذه الكتب في القائمة التي نشرها في كتابه « تاريخ علم الفلك عند العرب » ص ١٢٨-١٣٣ وذكر ابن النديم كتباً بعنوان « الأزمنة » ألفها كل من قُطْرُب (ت ١٠٦هـ) (٥٨) والمُبَرِّد (ت ٢٨٥هـ) (٦٥) وابن دُرُسْتَوَيْه (ت ٣٤٧هـ) (٦٩) ، وابن

عَبَّاد المهلبى (١٩٧) وأبو عبيدالله بن المرزبان الذي يذكر ابن النديم أن له « كتاب الأزمنة ، فيه أحوال الفصول الأربعة للصيف والشتاء والاعتدالين ، ووصف الحر والبرد والغيوم والبرق والرياح والأمطار والرواد والاستسقاء وغير ذلك مما يدخل في جملتها من أوصاف الربيع والخريف ، ثم يذكر طرفاً من أمر الفلك والبروج والشمس والقمر ومنازله ونعوت العرب له ، وأسجاعها ، ويذكر النجوم السيارة والثابتة وأحوال الليل والنهار ، وأيام العرب والعجم والشهور والسنين والاعوام والدهر ، وما جاء في كل باب من أبواب هذا الكتاب من اللغة والأخبار والأشعار مشروحاً نحو ألفي ورقة (١٤٧ - ٨) .

وَأَلَّفَ أَبُو حَاتِمٍ السَّجِسْتَانِي (ت ٢٥٥هـ) كتابين عنوان أحدهما «الشتاء والصيف وعنوان الثاني « الحر والبرد والشتاء والقمر والليل والنهار » (٦٤)

وَأَلَّفَ الْأَصْمَعِيُّ (ت ٢١٣هـ) كتاباً عنوانه « الاوقات » (٦١)
وَالْف ابن السكيت كتابي « الأيام والليالي » و « الأيام والليالي والشهور » (٧٩) .

وَالْف الزِيَادِي كتابه « اسماء السحاب والرياح » (٦٣)

وَأَلَّفَ ابْنُ السَّرَاج « الرياح والهواء والنار » (٢٦٨) وذكر كتاب الليل والنهار والأموال لعمر السلمي (٢٠٧) « كتاب الأنواء » و « الاوقات » و « طبائع البلدان وتولد الرياح » و « الاوقات مع اثنا عشرية الكواكب » لأبي معشر (٣٣٦) .

وَالْف سهل بن بشر « الاوقات » و « الأمطار والرياح » (٣٣٣) و « الأمطار الرياح وتغير الاهوية » (٣٣٦) .

ويلاحظ أن كلا من فاليس (٢٢٨) وابن سميوية (٣٣٧) والى كادي

« علة انواع السنة » (٣١٩) و « علة الرعد والبرق والرياح والصواعق » (٣٢٠)
و « علة البرد المسمى برد العجوز » (٣٠٩)

اما في الاعياد فقد ألف الصاحب بن عباد « الاعياد وفضائل النيروز »
(١٥٠) وألف الكسروي « الاعياد والنوايرز » (١٦٧) ، وألف عبّاد بن
هارون بن علي بن يحيى « النوروز والمهرجان » (١٦١) .



مركز تحقيق كتاب تاريخ علم الإسلام

الوصف

نظرة أخرى في قضايا النحو العربي

الدكتور
أحمد عبد الستار المنجى

عضو المجمع

إن دراسة العربية لغة ونحواً ، في ما وضع لها من مصطلحات تحتاج إلى شيء من معاودة النظر فيها ، وتحريك ما استقر منها في الأذهان والأفهام ، حتى تعرف حقيقة ذلك الاستقرار ، ولئلا يستحيل الاستقرار جموداً يُسلم إلى شيء يشبه جمود العدم ، ويسلب من تلك المصطلحات والتعابير ماء الحياة ويباعد بينها وبين الأذواق فلا تكاد تسيغها الأفهام أو تتمثلها المدارك .

وهذه نظرة في واحد من مصطلحات نحو العربية قد لا تخلو من نفع في عرض هذا المصطلح وأمثاله للجو الطليق والنور الباهر ، يقلب فيه النظر ويتأمل في مفهومه العام والخاص ، ويتلمس مواقعه في اللفظ المفرد وفي اللفظ المركب .

الوصف لغة لفظ دارج معلوم المعنى ، وهو يشيع في لغة الحديث شيوعه في لغة العلم والأدب . فيقال وصف الشيء ووصف الإنسان ووصف الحيوان وصفته أي علامته وشيته ، وذلك معنى واضح ليس بحاجة إلى مزيد من التوضيح .

ولكن الوصف في علم العربية اصطلاح يتردد تردداً واسعاً في أبواب متعددة . وهو يرد باعتبارين : الأول باعتبار الوصف لفظاً مفرداً ، والثاني باعتباره جزءاً من التركيب .

أما بالاعتبار الأول فإن معناه ومراده في علم العربية هو معنى الحدث مقترناً بمعنى الذات إما ذات الفاعل أو ذات المفعول ، سواء دلّ على معنى الثبوت أو على معنى الحدوث والاستمرار . . ذلك ما يعرف باسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وأمثلة المبالغة .

وأما بالاعتبار الثاني فيراد فيه بالوصف كونه جزءاً من التركيب هو الذي يؤتى به لوصف اسم ذات (اسم عين) أو ما هو في حكمه أو اسم معنى غالب عليه جانب الاسمية ، وابتعد عن الدلالة على الحدث المجرد كلفظة (العلم) في مثل قولنا : العلم نافع أو العلم النافع ونحو ذلك .

الوصف في علم العربية :

والوصف اصطلاح عام يطلق في علم العربية على أشياء متعددة يجمع بينها كونها كلها مما يصح أن يتلبس بما يسمى اسم الذات واسم العين أو ما في حكمه من أسماء المعاني ، وأن يخلع عليه كما يخلع الثوب على لابسه ، به يستكمل هيئته وبه يستقيم معناه وموقعه في الكلام حكماً أو فعلاً ، حقيقة أو تجوذاً . وأقل الكلام - وهو اللفظ المركب المفيد لا البدل أن يكون أحد طرفيه وصفاً ملفوظاً به أو محكوماً بوجوده ، وطرفاً الإسناد كما هو معروف المسند إليه وهو الموصوف والمسند وهو الوصف المقصود هنا ، وأهل المنطق يسمونهما الموضوع والمحمول ، وتسمية المسند إليه والمسند من اصطلاحات علماء المعاني . وقد يكون قولنا الموصوف والوصف أقرب إلى الأفهام وأدنى إلى مدارك الدارسين^(١) .

(١) يكثر الحديث عن الوصف بمعناه العام الواسع عند البحث في المبتدأ والخبر حين يكون المبتدأ على حد قولهم : « كل وصف اعتمد على استفهام ورفع مستغنى به ، ثم لا فرق في الوصف بين أن يكون اسم فاعل أو اسم مفعول أو صفة مشبهة » شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ج ١ ص ١٩٩ .

الوصف في النحو :

والوصف في التركيب ثلاثة أضرب :

الأول هو الوصف الإسنادي ، وهو الذي يقع عمدة في الكلام ، وهو الفعل في الجملة الفعلية ، وما يشتق منه (او يشاركه في الاشتقاق من المصدر عند من يذهب إلى أن المصدر أصل المشتقات) كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وأمثلة المبالغة في الجملة الاسمية ، مما يستحق أن يوصف به موصوف ، ويقع خبراً للمبتدأ .

وقد يكون معنى الوصفية ملموحاً في الاسم غير المشتق ، فيستحق بلمح معنى الوصفية فيه أن يقع خبراً للمبتدأ نحو قولنا « زيد أخوك وعلي والدك » .

ولنضرب أمثلة على الوصف الإسنادي :

قام زيد : وصف إسنادي بالفعل

يقوم زيد : وصف إسنادي بالفعل

زيد قائم : وصف إسنادي بالاسم الأصيل في الوصفية

زيد أخوك : وصف إسنادي بالاسم المتضمن للوصفية .

الثاني : الوصف المطابق وهذا الوصف هو الذي يعرف عند النحاة بالنعته الحقيقي أو الصفة . نحو جاء زيد الظريف ومررت برجل كريم ، وهو أحد التوابع التي تلحق الأسماء لتوضح معناها وتبين خصائصها .

ولهذا الوصف فرع يقال له النعت السببي وهو الذي يوصف به ما يتصل من المنعوت بسبب نحو « هذا رجل كريم أصله » . وله في مطابقة الموصوف وفي إعرابه أحوال خاصة سنأتي على ذكرها بعد (٢) .

(٢) وفي باب النعت تطرق الأشموني إلى ما سماه الوصف المسند . قال : « يجوز في الوصف المسند إلى السببي المجموع الأفراد والتكسير فيقال مررت برجل كريم أباه وكرام أباه » .

الثالث : الوصف المخالف ، وهو ما يعرف عند النحاة بالحال ^(٣) . وهم يقولون فيه إنه وصف فضلة مبین للحال منصوب . يريدون بذلك أنه غير عمدة ، وكأنهم يشيرون بذلك إلى أنه فرع من الخبر . وتسميته بالوصف المخالف يراد بها تمييزه عن الوصف المطابق أو التابع وهو النعت الذي يتبع منعوته في كل شيء في التعريف أو التنكير وفي التذكير أو التأنيث وفي أحوال الإعراب ، ويراد بها أيضاً تمييزه عن الوصف الإسنادي وهو عمدة الكلام .

مسألة الخلاف :

ومسألة الخلاف أو المخالفة في الإعراب قال بها نحاة الكوفة في أحوال من نصب الاسم إذا وقع موقعاً يخالف فيه ما قبله (من موصوف أو مبین) ، فلا يستحق الإسناد ومرتبته الرفع ولا التبعية بما تستحقه من أحوال الإعراب ، وإنما ينصب ليدل على حال الخلاف كالظرف الذي يقع خبراً للمبتدأ نحو زيد "عندك" ، وكالمفعول معه نحو سرت وشاطئ النهر ^(٤) . ومثل ذلك يجوز أن يقال في الحال والتمييز . والأول وصف - كما أسلفنا - ولكنه مخالف لموصوفه ، إذ لا بد أن يكون نكرة - في الأغلب - ، وموصوفه لا بد أن يكون معرفة وهو الذي يسمى صاحب الحال .

والثاني هو التمييز ، وهو بيان أو مبین ، لا يختلف عن البيان التابع المطابق لمتبوعه إلا في كونه مبيناً بعض المتبوع ، غير مستوف لحقيقته ، فهو مخالف لما يبينه من حيث الجنس والهيئة . كالذي يكون بياناً للعدد نحو عندي عشرون كتاباً ، إذ إن العدد يحتمل كل معدود أو ما يمكن أن يقع تحت العدد وهو

(٣) ويرد الكلام على الوصف في بحث الحال فابن مالك يعرف الحال بقوله :

الحال وصف فضلة منتصب مفهم في حال كـ « فرداً أذهب »

ويقول الأشموني في شرحه : « فالوصف جنس يشمل الحال وغيره ويخرج نحو القهقري في قولك : رجعت القهقري فإنه ليس بوصف إذ المراد بالوصف ما صيغ من المصدر ليدل على متصف وذلك اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وأمثلة المبالغة وأفعال التفضيل » أ . ه شرح الأشموني ج ٢ ص ١٧٤ .

(٤) الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ص ١٥٢ ، ١٥٥ ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد .

على جانب كبير من الإبهام والعموم ، فإذا جيء بالمعدود بعده بين بعض حقيقته فاستحق بذلك مرتبة الخلاف في الإعراب وهي النصب .

وشبيه بهذا ما يكون في ما يعرف بالتمييز الملحوظ ، وهو ما يبين إبهام النسبة كقولنا طاب محمد نفساً . فالتمييز هنا بيان لجزء من حقيقة النسبة أو الإسناد إذ هو يحتمل أن يكون المعنى طاب محمد نفساً وأصلاً وفعلاً وخلقاً إلى غير ذلك مما ينطوي في عموم النسبة ، فجاء التمييز (نفساً) ليعين هذا الجزء من عموم الإسناد فاستحق بذلك مرتبة الخلاف في الإعراب وهي النصب .

ولعل معنى الخلاف وصورته هي في (الحال) أوضح منها في كل ما يقع موقع الخلاف كالتمييز والمفعول معه (المصاحب) والظرف (المفعول فيه) . لأنه يشترط في الحال أن تكون نكرة وأن يكون صاحبها معرفة - في الأغلب الأعم . وأن يكون معناها والمراد بها نصاً في الدلالة على وصف الهيئة أو الحال حتى لا تنصرف إلى معنى التبعية والتلبس بالموصوف من كل جانب فتكون نعتاً ، ولا تستقل بالإسناد فتكون اختياراً في علوم الأدب

ولإيضاح هذا المفهوم يمكن أن نضرب هذا المثل :

يقال جاء زيد الفارس . ويقال زيد فارس . ويقال جاء زيد فارساً (أي ركباً فارساً) . فالوصف في حال المطابقة في التعريف والتأكيد نعت يراد به ما يراد بالنعته من وصف الاسم بصفة تغلب عليه وتلزمه فيعرف بها وبها يخصص . والوصف في حال الإسناد إنما يراد به إتمام الفائدة من ذكر الاسم والحديث عنه وإقامة الكلام واستكمالها بوصف ذلك الاسم .

أما الحال فهي فرع من الوصف الإسنادي ، لأن الإسناد قد تم بالنص على المسند وهو الفعل : جاء زيد فارساً أو ركباً . فلا حاجة للمسند إليه بالوصف لتمام الكلام . وهي - الحال - فرع من الوصف التابع . لأن الاسم (زيد)

علم معرفة لا يفتقر إلى التخصيص والتوضيح بالنعته ، وإنما الذي يحتمل أن يكون في حاجة إليه هو وصف هيئته وبيان حاله ، وتلك وظيفة الحال .

احكام الوصف :

وللوصف في كل أنواعه وأحواله من حيث علاقته بالموصوف أحكام ، إذا تقدمه الموصوف أو إذا تأخر عنه . وحينما يكون وصفاً حقيقياً وحين يكون وصفاً سببياً . والمراد بالوصف السببي ما يقع في الحقيقة وصفاً لغير الموصوف المذكور ، وإنما يكون وصفاً لما يتصل منه بسبب نحو قولنا زيد كريم أبوه ، نجبية أمه ، ونحو قرأت كتاباً معروفاً كاتبه ومررت بزيد مسرعاً به فرسه .

فإذا تقدم الموصوف على الوصف وكان الوصف حقيقياً وجبت المطابقة بينهما يقال : زيدٌ قام وزيد قائم (وصف إسنادي) ، وحدثت زيدا قائماً (وصف تابع أي نعت) ، ومررت بزيد قائماً (وصف مخالف أي حال) . ونحو ذلك . أما إذا تأخر الموصوف وتقدم الوصف فإنه يجوز المطابقة وعدم المطابقة ، وعدم المطابقة هو الأكثر شيوعاً والأغلب في كلام العرب : يقال : قام الرجال ، وأقام الرجال (وصف إسنادي) ومررت بالدار عامراً بناؤها راحلاً أهلها (وصف مخالف - حال) ونحو ذلك . وهذا لا يكون إذا كان الوصف نعته ، إذ لا بد من تقدم الموصوف على الوصف .

ومن العرب من يذهب إلى المطابقة بين الوصف والموصوف تقدم الوصف أم تأخر . وتلك لغة جماعة من القبائل . يقول ابن هشام في كلامه على القسم الثاني عشر من أقسام السواو : (واو) جماعة المذكورين في لغة طيء وأزد شنوءة أو باحارث ومنه الحديث : (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) وقوله :

يلوموني في اشتراء النخيل أهلي فكلهم ألوم

وهي عند سيبويه حرف دال على الجماعة كما أن التاء في قالت حرف دال على التأنيث (٥) . . .

وقد حمل بعضهم على هذه اللغة (ثم عموا وصموا كثير منهم) (وأسروا النجوى الذين ظلموا) (٦) وحملهما على غير هذه اللغة أولى لضعفها .
ولا يحسن أحد أن تقديم الوصف أو تأخيره عن الموصوف مما يستوي فيه المعنى ويكون المتكلم فيه بالخيار ، إن لكل حال من الحالين وجهها وسبيلها في أداء المعنى .

وثمة أحوال يجب فيها تقديم أحدهما مثل كون الوصف هو المقصود بالاستفهام نحو قوله تعالى (قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم (٦)) ومثل وقوع الوصف بعد أداة النفي مقصوداً تسليط النفي عليه كقول الشاعر :

خليلي ما واف بعهدي أنتما إذا لم تكونا لي على من أقاطع
ونحو قول الآخر :

غير مأسوف على من زمتك فتيور عند يقضي بالهم والحزن

تقديم الوصف :

ومما هو معلوم معهود في العربية أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الاختصاص ،

(٥) مغني اللبيب ج ٢ ص ٢٧ . (٦) الآية في سورة الأنبياء (٣) .

(٥) يقول سيبويه : « وأعلم أن العرب من يقول ضربوني قومك وضرباني أخواك ، فشبهوا هذا بالتاء التي يظهرونها في قالت فلانة ، فكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلوا للمؤنث ، وهي قليلة . قال الشاعر (وهو الفرزدق) :

ولكن ديا في أبوه وأمه بحوران يعصرن السليط أقاربه

وأما قوله عز وجل (وأسروا النجوى الذين ظلموا) فإنه يجيء على البدل أو كأنه قال « انطلقوا » فقليل له من فقال « بنو فلان » . ، فقوله (وأسروا النجوى الذين ظلموا) على هذا في ما زعم يونس وقال الخليل . فعلى هذا المثال تجري هذه الصفات . . الكتاب ج ١ ص ٢٣٦ .

(٦) سورة مريم الآية (٤٦) .

وأن اللفظ المقدم من تأخير إنما يراد النص على مزيد من الاهتمام به . وهذه القاعدة العامة ملحوظ حكمها في تقديم الوصف على الموصوف ، وهو في العادة يتأخر عنه ويقع بعده ، ذلك دأب العربية وديدنها ، ولكنه ليس ضربة لازب فيها . فقد يقتضي المعنى تقديم الوصف حتى في حال عدم وجوب تقديمه كالذي سبق ذكره في كونه المقصود بالنفي أو الاستفهام .

جاء في آية الشهادة : (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه)^(٧) « فأثم » وهو الوصف يعرب تارة خبراً لإنّ و « قلبه » فاعله وهو الموصوف ، وتارة يعرب خبراً مقدماً وقلبه مبتدأ مؤخر ، وهو كذلك وصف وبعده الموصوف . ولأمر ما اختير أن يقدم الوصف (آثم) على الموصوف (قلبه) ، بل إن تقديم الموصوف في هذا المقام لا يستقيم به الكلام ولا يؤدي به المعنى المراد .

يقول الزمخشري في تفسير هذه الآية تأويل هذه العبارة : فإن قلت هلا اقتصر على قوله « فإنه آثم » وما فائدة ذكر القلب والجملته هي الآثمة لا القلب وحده ؟ قلت كتمان الشهادة هو أن يضمها ولا يتكلم بها ، فلما كان إثماً مقترفاً بالقلب أسند إليه ، لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ . ألا تراك تقول إذا أردت التوكيد : « هذا مما أبصرته عيني ومما سمعته أذني مما عرفه قلبي » . ولأن القلب هو رئيس الأعضاء والمضغة التي إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله ، فكأنه قيل قد تمكن الإثم في أصل نفسه وملك أشرف مكان فيه ، ولئلا يظن أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط ، وليعلم أن القلب أصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ، ولأن أفعال القلوب أعظم من أفعال الجوارح وهي لها كالأصول التي تتشعب منها . ألا ترى أن أصل الحسنات والسيئات الإيمان والكفر وهما من أفعال القلوب

(٧) سورة البقرة الآية ٢٨٣ .

فإذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بأنه من معاصم الذنوب (٨).

وإنه لواضح أشد الوضوح الفرق بين أن يقال ومن يكتمها فإن قابه آثم ، وبين التعبير في الآية الكريمة (ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) فإن فيه فوق ما جاء في كلام صاحب الكشف اتساعاً لمظلة الوصف - إن صح هذا التعبير - وامتداداً لأثره بحيث يفيض حتى يستوفي ما قبله وهو اسم « إن » سواء عُدَّ ضمير الشأن أم اختيار اعتبره ضميراً يعود على فاعل الفعل « يكتمها » وهو في المعنى عائد على اسم الشرط (من) وهو عمدة الكلام ومداره . فهو إذن آثم كله من جهة وآثم قلبه من جهة أخرى . وهذا سرٌّ من أسرار العربية ورائعة من روائع البيان القرآني المعجز البديع ، حيث يكون الوصف صالحاً لأن يوصف به العام والخاص في آن واحد ، كوصف كاتم الشهادة فإنه آثم كله وآثم قلبه .

وبعد هذا وذاك لسائل أن يسأل إذا كان تأخير الوصف الإسنادي وتقديم الموصوف عليه هو المألوف في كثير من اللغات الأخرى ، وإذا كان تأخيره في العربية وتقديمه جائزين ، فلماذا اختير تقديمه في الجملة الفعلية بخاصة ؟ ولماذا اختير تأخيره في الاسمية ؟ تحقيقاً في علوم العربية

إن في ذلك فائدة تستفاد من إثارة صورة في التعبير هي خلاف الصورة المألوفة المعتادة فيفيد ذلك فضل زيادة في المعنى ، كأن يقدم الوصف في الجملة الاسمية كما في نحو قوله تعالى (أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم) ، وكأن يقدم الموصوف في الجملة الفعلية كأن يقال زيد جاء ، وفي ذلك نص على الاهتمام بالمتقدم وتخصيص له بالعناية وتوكيد لغرض المتكلم .

التفريق بين الجملة الفعلية والاسمية :

وكان العربية أرادت أن يكون التفريق بين الجملتين الاسمية والفعلية ملحوظاً في أصل التعبير وصورته الأولى فعمدت إلى أن تجعل الوصف - وهو الفعل -

(٨) الكشف ج ١ ص ١٧٠ - ١٧١ .

مقدماً في الجملة الفعلية ، وأن تجعل الموصوف - وهو ما يعرف بالمبتدأ - هو الذي تبتدئ به الجملة الاسمية . فإذا أريد تخصيص أحد الطرفين بالاهتمام جيء به مقدماً على الطرف الآخر - كما سلف - ، ويزعم النحاة حينئذ أن الجملة الفعلية إذا قدم فيها الموصوف وهو الفاعل استحالت جملة اسمية ، واستحال الفاعل مبتدأ . نحو زيد حضر ، فزيد عندهم مبتدأ . وشبيه بذلك ما يكون في الجملة الاسمية إذا قُدِّم فيها الوصف فإنه يستحيل مبتدأ وما بعده فاعل سدّ مسدّ الخبر . يقول ابن مالك :

وأول مبتدأ والثاني فاعل أغنى في : أسارِ ذانِ

وفي ذلك تفريط في جانب المعنى واستهانة بما يقصد إليه المتكلم حين يقدم ما حقه وموضعه التأخير (٩) .

والحق أن قولنا حضر زيد وزيد حضر كلاهما جملة فعلية لأن الوصف فيهما منصوص على اقترانه بمعنى الزمن أي هو فعل ، وإنما كان الاختلاف في الاهتمام بالموصوف حين يقدم على الوصف ، أو كأن الجملة تقع جواباً لسؤال سائل : من حضر ؟ فيقال له زيد حضر ، فالوصف ههنا معروف لدى السامع والموصوف هو المطلوب معرفته فيجيء به مقدماً على الوصف .

وليس غير الصناعة النحوية - التي يغلب فيها ويكثر هجران جانب المعنى - سبب لتسمية هذا الوصف المتقدم في الجملة الفعلية مبتدأ ، والفعل بعده - متصلاً بضمير المبتدأ مستتراً فيه - فاعلاً له ، والجملة كلها خبر المبتدأ . كل ذلك التزاماً بأصل مفترض نظرياً وهو أن الفاعل لا يجوز أن يتقدم على فعله .

وإذا قيل لهم لم لا يجوز تقديم الفاعل ؟ قالوا لأنه هو وفعله كجزئي كلمة واحدة لا يجوز أن يقدم عجزها على صدرها ، مستدلين بحالة اتصال الفعل

(٩) في كتاب سيبويه كلام يشعر بجواز تقديم « الصفة » على الاسم . يقول : « فان بدأت بالاسم قبل الصفة قلت قومك منطلقون وقومك حسنون كما تقول أبواك قالوا ذلك وقومك قالوا ذاك ... »

الماضي بما يسمى ضمائر الرفع المتصلة مثل حضروا وحضرتُ فهي فاعل الفعل عندهم وهو لا يجوز أن يقع إلا بعد الفعل . وهذا كما يبدو دليل متهافت مبني على افتراض غير عملي ولا مسلم به .

من مرامي البحث:

وبعد فإن مما يرمي إليه هذا البحث ويقصد إلى التنويه به والتنبيه عليه :
١ - شيء من تطبيق المقولة التي تدعو إلى الربط بين النحو في صورته المعهودة عند المتأخرين وبين معانيه التي فرقت تلك الصورة بينها وبينه ، حتى أصبح الإعراب مبلغ همه ومطمح دارسيه ومدرسيه . .

٢ - وهذه المقولة تحاول أن تعود بالدراسة النحوية إلى أصلها وجوهر غايتها في دراسة التركيب العربي ورعاية الترابط والالتحام بين أجزائه وما يكون بينها من تأثيرات ، يكون الإعراب وأحواله المختلفة انعكاساً لذلك التأثير والتأثير ونتيجة لقيام العلاقة بين أجزاء التركيب .

٣ - ثم إن في ذلك محاولة لضم أجزاء الكلام التي تتفق في أصولها وفي وظيفتها في التركيب - بعضها إلى بعض ليكون فهمها أكثر عمقاً واستعمالها أدنى إلى الدقة والإصابة ، وأقرب إلى الترفيق في أداء معانيها . ووظائفها في الكلام . ولعل ذلك ملحوظ واضح في ما مرّ من الكلام على طبيعة الفعل والخبر ووظيفتهما في التركيب ، هذا من جهة ، وعلاقتهما بالنعت والحال ووظيفتهما في الكلام من جهة أخرى .

القرآن الكريم

ومنهج البحث العلمي في التراث العربي

الدكتور كامل حسن البصير

عضو المجمع والاساذ المساعد - كلية الآداب
الجامعة المستنصرية

ترمي هذه الدراسة الى تحليل آراء الباحثين في ظهور منهج البحث العلمي عند العرب ومناقشتهم فيما قرروه بهذا الشأن معتمدة على آيات بينات من الذكر الحكيم ، تعرضت لقضايا تتعلق بالعلم والعلماء وتشير الى البحث بشكل أو بآخر .

فالمعروف في الكتب التي وضعها مؤلفوها في البحث العلمي : أن الباحثين يمارون في تملك العرب لزمام البحث العلمي أصالة ، واستخدامهم له قديماً ؛ فقد أغفل الدكتور علي جواد الطاهر ^(١) الإشارة الى الأمة العربية من بين الأمم التي ابتدعت منهج البحث العلمي قديماً وحديثاً فحكى قائلاً : (ولا يمكنك أن تتصور الحضارات الاولى في العراق ومصر والصين - مثلاً - من دون منهج ومناهج . . . حتى اذا كان الاغريق كان منهج وكانت الكلمة نفسها بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة » ^(٢)

وذكر الدكتور عثمان أمين تأسيساً على ماتقدم : - ان القرن السابع عشر تميز بعناية المفكرين فيه بالمنهج أو الطريقة الواجب اتباعها في البحوث العقلية .

(١) منهج البحث الأدبي ص ١٧ - ط الثالثة بغداد مطبعة اسعد ١٩٧٦ .

(٢) ينظر عبدالرحمن بدوي مناهج البحث العلمي ٣ - ٤ - ١٨

والواقع ان الكتب في المنهج كثيرة في ذلك العصر ، وخصوصاً ابتداءً من سنة ١٦٢٠ : ففي ذلك التاريخ ظهر كتاب (الارجانون الجديد) لفرنسيس بيكون ويعني به المنطق الجديد Novum Organum وبعد ذلك بنحو سبع عشرة سنة نشر ديكارت (المقال في المنهج) وفي ذلك العصر ايضاً نشر (اسبينوزا) رسالته في (اصلاح الذهن) كما اصدر (تشرنهاوس) كتاب (طب العقل) ونشر فلاسفة (بول رويال) منطقهم المشهور المسمى (في التفكير) ، ونشر (مالبرانش) كتاب البحث عن الحقيقة ، وكتب لينتز مصنفاً من عدة رسائل نجد في عنوان بعضها لفظ المنهج .

ويقين ان هذين الباحثين لم يكونا يعنيان بالحضارة الاولى في العراق ومصر الجذور القديمة لحضارة الأمة العربية بمدلولها العلمي الشامل ، وآية ذلك ، انهما لم ينصا على لفظة العرب نصاً ، ولم يحللا لفظة المنهج والبحث في اللغة العربية وقد كان لهذا الموقف مردود خطير على مدى تأصيل الفكر العربي المعاصر ايضاً ، ذلك لأن منهج البحث اذا كان قد نشأ على هذا النحو حديثاً فان العرب — أمة معاصرة — ليس لها الا ان تستمد منهج بحثها من الشعوب الأوروبية الوارثة للحضارة الاغريقية .

لقد حاول الدكتور أحمد جاسم النجدي أن يتدارك ذلك الاغفال فقال : (وقد قام العرب منذ بداية العصر العباسي بأعمال ثقافية وعلمية متعددة ولهذا كان من الطبيعي أن يتوصلوا خلال أعمالهم العلمية والثقافية هذه الى خطوات علمية منظمة في البحث والتأليف توجدها التجربة المستمرة والتفكير العقلي المنظم وكان من الطبيعي ايضاً ان تنمو هذه الخطوات العلمية وتتطور بمرور الزمن حتى تصبح قواعد ومبادئ مسلماً بها ، مكونة بالضرورة مانسميه في المصطلح الحديث بمنهج البحث . (٣)

(٣) منهج البحث الأدبي عند العرب ص ٥ بغداد ١٩٧٨ .

وواضح : أن هذا التدارك لم يؤت ثمارها كما ينبغي وذلك لسببين :—
اولهما — أنه أغفل ايضاً الاشارة الى حقبة زمنية أصيلة فى تاريخ الفكر
العربى غطت عصر ما قبل ظهور الاسلام وعصر صدر الاسلام والعصر
الاموى فهل من المنطق أن تبقى الأمة العربية صفر اليدين من منهج البحث
فى هذه العصور ؟ !

وثانيهما :— أن النص على العصر العباسى بداية لارهاصات منهج البحث
عند العرب يفتح باب الاعتقاد على مصراعيه ليوهم أن هذا الظهور كان بعلة
اتصال العرب بالأمم الاخرى ، وأنه كان ثمرة للتقليد والاقتباس وأنه لم يكن
اختراعاً وابتداعاً .

وفى رأينا أن هؤلاء الباحثين العرب المعاصرين لم يذهبوا الى مذهبوا اليه
إلا وهم يغرفون بمكايل المستشرقين الذين تعرضوا لتاريخ الفكر العربى وبحثوا
شؤونه العلمية .

وآية ذلك : أن الدكتور فرانز روزنتال قرر بهذا الصدد قائلاً : « وقد
حاول مستشرقون آخرون تعاليل تأخر البحث العلمى عند المسلمين ووجهة نظرهم
يمثلها دوتى (Ch. M. Doughty) فى كتابه (اسفار فى الصحراء العربية)
(Travels in Arabia Deserta) . يقول : يقول شيخ من شيوخ
العرب فى (العلا) كان يخاطب دوتى : (وما حاجة هذا العلم كله ؟ فلا
حاجة الا لشيء واحد هو ان يعرف الانسان ان لا اله الا الله ومحمد رسول الله
وما خلا هذا لقيمة له ولا نفع . اليس من الافضل لك ان تترك هذه الأباطيل
جانباً وتعتنق الاسلام فتحيا حياة هادئة وتعمل لخير نفسك فى الآخرة ؟)

أما ميلر (A. Muller) فكان يعتقد اعتقاداً راسخاً بأن جمود الحياة
الفكرية عند المسلمين مرده الى الموقف السلبي الذى يقفونه من الحياة
(. . .) تلك العقيدة الراسخة المطلقة وذلك الايمان غير المشروط بالقضاء

د. كامل حسن البصير

والقدر الذي يقيد اليوم الحياة الفكرية عند المسلمين بقيود حديدية ثقيلة لم يعد من الممكن فيما يبدو التحرر منها (٤)

فهذان المستشرقان ومن نحا منحاهما يدينان بتأخر البحث العلمي عند العرب ويلتزمان علة قصوره في الدين الاسلامي الحنيف .

وقد سعى فون كريمر في أن يتحرر من حلبة هؤلاء المستشرقين ، ويرى للعرب فضلاً في البحث العلمي فلم يستطع الا أن يقصر هذا الفضل على ميدان دون آخر عند وصفه النشاط العلمي عند المسلمين : (ان أعظم نشاط فكري قام به العرب يبدو لنا جلياً في حقل المعرفة التجريبية ضمن دائرة ملاحظاتهم واختباراتهم . فانهم كانوا يبدون نشاطاً واجتهاداً عجيبين حين يلاحظون ويمحصون وحين يجمعون ويرتبون ماتعلموه من التجربة . أو أخذوه من الرواية والتقليد . ولذلك فان اسلوبهم في البحث أكبر ما يكون تأثيراً عندما يكون الأمر في نطاق الرواية والوصف .

ولذا يحتل التاريخ والجغرافية المقام الأول في أدبهم . وبصفتهم اصحاب ملاحظة دقيقة ، وبصفتهم مفكرين مبدعين فانهم قد أتوا بأعمال رائعة في حقلتي الرياضيات والفلك . وللسبب ذاته نجح العرب في التشريع وفي وضع قواعد اللغة من صرف ونحو في شكل شامل محكم .

ولكن من جهة ثانية نجد أنهم في حقل المعرفة النظرية والتفكير التجريدي لم يستطيعوا أن يتعدوا حدود الفلسفة الارسطو طاليسية والافلاطونية . وعندما كانوا يحاولون الخروج من اطار الفلسفة الاغريقية كان الخيال الشارد يؤدي بهم الى خيالات وأوهام وأخيراً الى نوع من الغيبية التي لا شكل لها » (٥)

ولعلنا نلاحظ مما تقدم كله ، أن الصورة التي رسمها الذين سبقونا لمنهج البحث العلمي عند العرب قديماً تقوم على أربع نتائج متلازمة :-

(٤) مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ص ١٦ دار الثقافة ببيروت .

(٥) المصدر السابق ص ١٥ .

القرآن الكريم ومنهج البحث العلمي في التراث العربي

أولها : أن العرب لم يكن لهم عهد بمنهج البحث قبل ظهور الاسلام وحتى بدايات العصر العباسي الأول .

وثانيها : ان ظهور مايشبه منهج البحث العلمي في نشاطاتهم الفكرية كان بتأثير عوامل أجنبية تأتي الترجمة من الاغريقي والروماني وسواهم في مقدمتها .

وثالثتها : ان البحث العلمي عند العرب ينافي طبيعتهم الفكرية وينأى عن عقليتهم لما صاروا اليه من اعتناق الاسلام عقيدة ومبدأ .

ورابعها : أن جهودهم التي بذلوها في ميادين المعرفة والثقافة والبحث العلمي لم تثمر إلا في جانبها المحسوس الضيق .

وبدهي أن هذه الصورة بنتائجها هذه تمثل ميلاً صارخاً عن الحقيقة التي كانت عليها الأمة العربية وما تمتلكها من تراث علمي وفكري زاخر كما انها تستوي غلطة تاريخية لا بد أن تقوم في ضوء شواهد علمية لا يأتيتها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .

وقد رأينا ان نستند الى القرآن الكريم من بين هذه الشواهد في تلمس مصدر هذه الغلطة وعلة ذلك الميل فاذا تلك الصورة ونتائجها أكذوبة يعيش عليها باحثون ومستشرقون في وهم علمي مؤسف .

ونحن حين نعوذ بالقرآن في هذه المهمة لانرى أن العرب قبل نزول القرآن على نبيهم الكريم محمد (ص) لم يألفوا منهج البحث العلمي في حضاراتهم التي نعمت بها دولهم المباداة والقائمة ، وانما نزعهم : أنهم قد عرفوه ورسخوا أسسه بشكل أو بآخر فارتفعوا به الى مستوى فكري وعقلي أهلهم لاستقبال القرآن الكريم واعتناق الدين الاسلامي الحنيف ثم السير في مناكب الأرض شرقاً وغرباً دعاة للحق ومناهضين للباطل .

وقد طوينا هذه الحقب من تاريخ الفكر العربي ووقفنا بين يدي القرآن الكريم في هذه الدراسة لما نعانیه من شحة المصادر في علمنا عن هذه الحقب

ولما يشنه المستشرقون من عدااء على هذا الكتاب العزيز والدين الاسلامي الحنيف متهمين إياه بأنه علة لقصور العرب والمسلمين في البحث العلمي .
وأياً كان مجال اختيار دراستنا وعلة مساحتها بين يدي القرآن الكريم ، ينبغي أن نبين هنا حقيقة ندين بها في فهم آي الذكر الحكيم وهي تتعرض لهذا الشأن أو ذاك من شؤون العلم والفكر والحضارة والثقافة وتستوي شواهد في أيدي الذين يؤرخون لهذه الشؤون .

وهذه الحقيقة تقوم على ثلاث قواعد رئيسة :

اولاها : ان القرآن الكريم يوم يعتمد عليه في الاستدلال على علم من العلوم أو فن من الفنون لايجوز أن نتخذه كتاباً في هذا الفن وذلك العلم ثم نحمله وزراً في غلط من يغلط وزلة من يزل . وانما هو كتاب هداية يحتوي بين دفتيه على قواعد عامة وينبض بمبادئ شاملة يستضيء بها قارئه حوافز على السعي والاجتهاد في تحصيل العلم وكسب المعرفة .

وثانيها : ان القرآن الكريم يبين في عظمته ما امتازت به العرب من مستوى فكري حين نزل بين ظهرائهم ، إذ كان المؤمنون الرواد به عرباً كما كان المعارضون له عرباً ؛ فكان لابد أن يكون هؤلاء العرب على قدر من الفكر ودرجة من العلم حتى يقفوا منه هذا الموقف أو ذاك .

وثالثها : أن القرآن الكريم قد صاغ الاطار الفكري للعرب والمسلمين وهم يتلونه في اليوم الواحد مرات عديدة في صلواتهم ويتأملونه في سائر شؤون حياتهم .

واذن فالقرآن الكريم الذي لايشك أحد في وصوله إلينا كما نزل على قلب النبي الأمين - خير شاهد نستطيع أن نحلل في ضوئه أسس منهج البحث العلمي في التراث العربي ونستدل به على تملك العرب ازمامه - قديماً وشيوعه بينهم اصالة وابتداعاً من غير اقتباس عن هذه الأمة أو تلك .

واذن فما هو موقف القرآن الكريم من مصطلح البحث ؟.

لم ترد في القرآن الكريم من مادة (ب . ح . ث) إلا كلمة (يبحث) مرة واحدة في حكاية قصة ابني آدم بقوله تعالى ، « وَاْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * أَنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمَكَ فَتَكُونَ مِنَ الصَّاحِبِينَ * ذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ * مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ » (١)

يفصل المفسرون تلك القصة في ضوء هذه الآيات الكريمات فيرون :
ان ابني آدم هما من صلبه قابيل وهابيل ، اوحى الله الى آدم ان يزوج كل واحد منهما تِزَامَةً الآخر ، وكانت تِزَامَةُ قابيل اجمل واسمها (اقليما) فحسد عليها أخاه وسخط ، فقال لهما آدم : قربا قرباناً ، فمن أيكما تُتَقَبَّلُ زَوْجَهَا فَقَبِّلَ قَرْبَانَ هَابِيلَ بَأْنِ نَزَلَتْ نَارُ فَأَكَلَتْهُ ، فَازْدَادَ قَابِيلُ حَسَدًا وَسَخَطًا ، وَتَوَعَّدَ بِالْقَتْلِ وَقَتْلَهُ وَبَقِيَ الْقَتِيلُ فِي الْعَرَاءِ لَا يَدْرِي أَخُوهُ مَا يَصْنَعُ بِهِ ، فَحَمَلَهُ فِي جَرَابٍ عَلَى ظَهْرِهِ سَنَةً حَتَّى أُرْوَحَ وَعَكَفَتْ عَلَيْهِ السَّبَاعُ ، فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابَيْنِ فَاقْتَتَلَا فَقَتَلَ أَحَدَهُمَا الْآخَرَ ، فَحَفَرَ لَهُ بِمَنْقَارِهِ وَرَجَلَيْهِ ثُمَّ الْقَاهُ فِي الْحَفْرَةِ . فَعَلِمَهُ كَيْفَ يَخْفِي أَخَاهُ وَيُدْفِنُهُ ، فَتَدَمَّنَ قَابِيلُ لِمَا تَعَبَ فِيهِ مِنْ حَمَلِهِ وَتَحِيرِهِ فِي أَمْرِهِ ، وَتَبَيَّنَ لَهُ مِنْ عَجْزِهِ ، وَتَلَمَّذَهُ لِلْغُرَابِ .

(٦) سورة المائدة الآيات ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ .

د. كامل حسن البصير

من أجل ذلك كتب الله على بني اسرائيل وسائر العالمين انه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً . (٧)

ولو التمسنا معنى كلمة يبحث لرأينا المعجمات تذكر : ان مادة بحث دارت في اللسان العربي على معانٍ حقيقية ومجازية كثيرة : فالبحث طلبك الشيء في التراب وفي المثل الباحثة عن حثفها بظلفها أي المفتشة والطالبة والمتمسكة والبحوث من الابل التي إذا سارت بحثت التراب بأيديها أي حفرتة واثارتة ورمته الى الخلف . والبحث ان تسأل عن شيء ، وتستخير . وسورة براءة كان يقال لها : البحوث سميت بذلك لأنها تبحت عن المنافقين وأسرارهم أي استشارتها وفتشت عنها .

فهذه اربعة معانٍ لهذه المادة جسدتها اربع كلمات هي الطلب والتفتيش والاثارة والسؤال ، وإذا كان المعنى الظاهري لكلمة يبحث في التراب هو الحفر والاثارة فلربما نسأل لماذا آثرت الحكمة الالهية استعمال كلمة يبحث بدلاً عن احدى مرادفاتها القريبة في الدلالة المبادرة الى الذهن ؟

وفي اعتقادنا أن كلمة يبحث القرآنية هذه تدل على أكثر من مدلولات مادتها التي سجلها المعجم العربي ، وذلك بدليلين : —

اولهما : ان القرآن الكريم قد أدارها دون سواها من الكلمات التي تؤدي عن معناها الظاهري الذي هو الحفر في التراب .

وثانيهما : هو سياق الآيات الكريمات التي وردت فيها كلمة يبحث ، فهذه الآيات الكريمات تبين بسياقها الظاهري — وما فصله المفسرون من أحداثها — اربع حقائق : —

اولاها : أن هناك رجلاً وقعت له حادثة مع أبيه وأخيه في شأنٍ من شؤون حياته كان للغيب فيها أمره .

(٧) تفسير الكشاف للزمخشري ص ٦٢٣ م الاول — دار الكتاب العربي بيروت — لبنان .

وثانيتهما : ان هذا الرجل قد ارتكب جريمة ثم حار فى كيفية إخفاء جريمته تستراً أو رافة بقتيله .

وثالثتها : انه كان فى حاجة ماسة الى من يعينه فى حيرته ، ويأخذ بيده فى الخروج منها .

ورابعتها : أن حكماً شرعياً وإنسانياً استخلص من هذه الحادثة واصبح قانوناً ينظم العلاقات بين الناس .

وعلى هذا كله فإن العربى عندما كان يتلو تلك الآيات الكريمات ويتلقى تفسيرها يدرك مدلول كلمة يبحث الذي نوهنا بأنه أوسع من معاني مادة بحث المعجمية .

ومن هنا فلنا أن نقرر ، مطمئين : ان مدلول كلمة يبحث القرآني قبل الف واربعمئة عام يعني : القيام بعمل لغرض تعليمي يؤتي ثماراً محسوسة لمن يتلقى هذا العمل ويتلمذ عليه كما أنه حافز لاستنتاج نتائج أخرى منه : فقد بحث الغراب في التراب وعلم قابيل كيف يبحث فيه ويخفي سوء أخيه ، وأتت ثمار هذا التعليم برداً وسلاماً على انسان حائر هائم وكانت هذه الحادثة بخلفيتها التاريخية ووزرها الاجتماعي مصدر تشريع في جريمة القتل وعقابها .

وفي ضوء هذا التحليل يمكننا أن نقرر مطمئين أيضاً : ان المدلول الاصطلاحي لكلمة البحث العامي قد وردت خطوطه العامة في القرآن الكريم وتلقاها العرب منذ نزول الوحي جيلاً عن جيل .

وعندما بزغ فجر النهضة في أوروبا وأدار بعض شعوبها مصطلح (reserch) للدلالة على لون أو آخر من ألوان النشاط الفكري والعقلي في ميدان العلوم الانسانية والتطبيقية وشاع من هذه العلوم في دنيا العرب ، لم يجد هؤلاء العرب فراغاً في لغتهم لترجمة هذا المصطلح ، وإنما أمدهم القرآن الكريم

د. كامل حسن البصري

به فصاغوا كلمة البحث ومشتقاتها لتنهض في وجه المصطلح الأوربي وتشد الفكر العربي بترائه الأصيل وتجعله بين يدي القرآن الكريم ليغرف منه نبأ خالداً .

وتدل على مدلولها الاصطلاحي الذي هو طلب الحقيقة وتقصيها واذاعتها بين الناس .

أما كلمة المنهج فلم ترد بصيغتها في أي الذكر الحكيم بل وردت منها صيغة منهاج في قواه تعالى : « وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصداقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق اكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمةً واحدة ولكن ابدركم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون » (١)

وتنقل المعجمات العربية لمادة (ن - ه - ج) التي اشتقت منها كلمة منهاج معاني منها : طريق منهج : بين واضح ، ومنهج الطريق : وضحه والمنهاج : كالمنهج . وأنهج الطريق : وضع واستبان وصار نهجاً واضحاً بيناً . ونهجت الطريق : أبنته وأوضحته ؛ يقال : إعمل على مانهجته لك . ونهجت الطريق سلكته . وفلان يستنهج سبيل فلان أي يسلك مسلكه .

وواضح أن مشتقات هذه المادة اللغوية تدور على معاني الطريق الواضح وسلوك هذا الطريق والتتيد بمعامله ، ولما كانت كلمة المنهاج مثل كلمة المنهج في المعنى ؛ فسرّها المفسرون في تلك الآية الكريمة على أنها : (الطريق الواضح في الدين يجرون عليه) (٢)

ومع هذا فنحن نرى : أنه إذا كانت كثرة حروف المبني تدل على سعة

(١) المائدة الآية ٤٨ .

(٢) راجع الكشف ج ١ / ٦٤٠

المعنى فإن كلمة المنهج اختصت بالطريق الديني الشامل في اغراضه واهدافه ،
وأن كلمة المنهج تعلق بطريق محدد الأغراض والاهداف .

ومن هنا فحينما احتاج العرب في عصرنا الحديث الى مصطلح يدل على
مايتقيد به الباحث في بحثه من ضوابط وقواعد اقتبسوا من كلمة المنهج
القرآنية لفظ المنهج بمعنى الطريقة التي يسير عليها دارس ليصل الى حقيقة
في موضوع من موضوعات الأدب والعلم أو قضاياها منذ العزم على الدراسة
وتحديد الموضوع ... حتى تقديمه ثمرة عمله الى المشرفين او الناقدين والقراء
(مقالا) أو (رسالة) أو كتاباً . (١٠)

أما مادة علم التي تترن بمنهج البحث في موضوعنا فقد ردها القرآن
الكريم اثنتين وتسعين وسبعمئة مرة . (١١)

فجاء تعبير « عَلِمَ » اثنتي عشرة مرة و « عَلِمْتُ » أربع مرات و « عَلِمَتْ »
ثلاث مرات و « عَلِمْتُمْ » خمس مرات و « عَلِمْتُمُوهُنَّ » مرة واحدة
« عَلِمْتَهُ » مرة واحدة ايضاً و « عَلِمْنَا » ست مرات و « عَلِمَهُ » مرة
واحدة و « عَلِمُوا » مرتين و « أَعْلَمَ » احدى عشرة مرة و « تَعْلَمَ » اثنتي
عشرة مرة و « لَتَعْلَمُنَّ » اثنتي عشرة مرة ايضاً و « تَعْلَمُهَا » مرة واحدة
و « تَعْلَمُهُمْ » مرة واحدة ايضاً و « تَعْلَمُوا » تسع مرات و « تَعْلَمُونُ » ستا
وخمسين مرة و « فَسَتَعْلَمُونَ » ثلاث مرات و « تَعْلَمُونَهُمْ » مرة واحدة
و « تَعْلَمُوهُمْ » مرة واحدة ايضاً و « نَعْلَمُ » اثنتي عشرة مرة و « نَعْلَمُهُمْ »
أربع مرات و « يَعْلَمُهُ » أربع مرات ايضاً و « يَعْلَمُهَا » مرتين و « يَعْلَمُهُمْ »
ثلاث مرات و « يَعْلَمُوا » سبع مرات و « يَعْلَمُونَ » خمسا وثمانين مرة و
« سَيَعْلَمُونَ » خمس مرات و « اَعْلَمَ » أربع مرات و « اَعْلَمُوا » سبعا

(١٠) راجع كتاب منهج البحث الأدبي د . علي جواد الطاهر ص ٢٦
(١١) اعتمدنا في هذه الاحصائية على المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبدالباقى
مطابع الشعب ١٣٧٨ هـ .

د. كامل حسن البصير

وعشرين مرة و « لِيُعَلِّمَ » مرة واحدة و « عَلَّمَ » أربع مرات و « عَلَّمْتُكَ » مرة واحدة و « عَلَّمْتُمْ » مرة واحدة أيضاً .

و « عَلَّمْتَنَا » مرة واحدة و « عَلَّمْتَنِي » مرة واحدة أيضاً و « عَلَّمَكْ » مرة واحدة و « عَلَّمْتُكُمْ » ثماني مرات و « عَلَّمَنِي » مرة واحدة و « عَلَّمَهُ » أربع مرات و « تُعَلِّمَنَّ » مرة واحدة و « تَعَلَّمُونَ » مرتين و « تَعَلَّمُوْنَهُنَّ » مرة واحدة و « لِنُعَلِّمَهُ » مرة واحدة أيضاً و « يُعَلِّمَانِ » مرة واحدة و « يُعَلِّمُكَ » مرة واحدة و « يُعَلِّمُكُمْ » ثلاث مرات و « يُعَلِّمُهُ » مرتين و « يُعَلِّمُهُنَّ » ثلاث مرات و « يُعَلِّمُونَ » مرة واحدة و « عَلَّمْتَ » مرة واحدة أيضاً و « عَلَّمْتُمْ » مرة واحدة و « عَلَّمْنَا » مرة واحدة و « يَتَعَلَّمُونَ » مرتين و « عالم » ثلاث عشرة مرة و « العالمون » مرة واحدة و « عالمين » أربع مرات و « علماء » مرتين و « معلوم » إحدى عشرة مرة و « معلومات » مرتين و « أعلم » تسعاً وأربعين مرة (اسم تفضيل) و « علیم » إحدى وستين ومئة مرة ، و « عَلَّامٌ » أربع مرات و « العِلْمُ » اثنتين وتسعين مرة و « عَلِمِيهِ » خمس مرات و « عَلِمُهَا » أربع مرات و « عَلِمْتُهُمْ » مرة واحدة و « عَلِمِي » مرة واحدة كذلك .
لقد رسخت هذه التعابير مفهوم العلم وموضوعاته في العقلية العربية التي كانت في تاريخها الطويل على مستوى غير قليل من الرقي والتقدم ، وآية ذلك أن المشركين منهم تصدوا للقرآن الكريم بصور مختلفة من التصدي . فشككوا في مصدره وزعموا ملفقين انما يعلم الرسل (ص) رجل باليمامة يقال له الرحمن (١٢) .

وان نؤمن به أبداً فنزل قوله تعالى : « كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أئمة » لتتأول عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربِّي لا إله إلا هو عليه توكلتُ واليه متاب (١٣) .

كما انهم كانوا على بينة من جوهر القرآن فاتخذوا من اسباب المدارس ووسائل

(١٢) السيرة النبوية لابن هشام ج١/٣٣٢ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م

(١٣) سورة الرعد الآية ٣٠

المنازلة ما تصوروا أنه سوف يجديهم فى خصومة الرسول الكريم والكتاب العزيز وقد حُكي ان (الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش ، وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم : يا معشر قريش ، إنه قد حضر هذا الموسم ، وان وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأياً واحداً ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ، ويردّ قولاكم بعضه بعضاً ؛ فقالوا : فأنت يا أبا عبد شمس ، فقل وأقم لنا رأياً نقول به ؛ قال : بل أنتم فقولوا أسمع ؛ قالوا : نقول كاهن ؛ قال لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكُهان فما هو بزمنة الكاهن ولا سجعه ؛ قالوا : فنقول : مجنون ؛ قال : ما هو بمجنون ؛ لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته ، قالوا : فنقول : شاعر ؛ قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر ؛ قالوا : فنقول : ساحر ؛ قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السُّحار وسحَرهم ، فما هو بنفثهم ولا عقدهم قالوا : فما تقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إنَّ لقوله لحلاوة ، وان اصله لعدوِّ وان فرعه لجناة وما أنتم بقبائلين من هذا شيئاً إلا عُرِف أنه باطل ، وان أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر ، جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وابيه ، وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه ، وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم ، لا يمر بهم أحدٌ إلا حذّروه إياهُ وذكروا لهم أمره) (١٤)

فهذه الحكاية تظهر رجلاً من العرب على درجة رفيعة من الروح العلمية وبين رهط من قومه ، تأبى عليه عقليته العلمية فى البحث ان يصف القرآن بشئ مما ليس منه معتمداً فى ذلك على منهج علمي فى الموازنة والمقارنة ثم ينتهى بهذه الموازنة والمقارنة الى بيان حقيقة القرآن الكريم .

وبالاضافة الى هذا ينتهي به - تأمره مع ذلك الرهط الى منهج نفسي واجتماعي في الاعلام فيفرق عليه ذلك الرهط بين الناس الذين لم يكن إقناعهم بالامر الهين .

وتتجلى هذه العقلية العربية بسماتها العلمية لدى المهاجرين الى الحبشة أيضاً فتروي كتب السيرة أن النجاشي أرسل اليهم بعد أن جاءه عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة يطلبان منه ردهم الى مكة ودعاهم إليه فقال بعضهم لبعض : ماتقولون للرجل اذا جئتموه ؟ قالوا : نقول والله ماعلمنا ، وماأمرنا به نبيناً (ص) كائناً في ذلك ماهو كائن . فلما جاءوا ، وقد دعا النجاشي أساقفته ، فنشروا مصاحفهم حوله ، سألهم فقال لهم : ماهذا الدين الذي قد فارقتم فيه فومكم ، ولم تدخلوا به في ديني ، ولا في دين أحد من هذه الملل ؟ قالت : فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب (رض) فقال له : أيها الملك ، كنا قوماً اهل جاهلية . . . حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وأبائنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وإداء الأمانة . . . فعدّد عليه امور الاسلام - فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله . . . فعدا علينا قومنا ، فعذبونا وفتنونا عن ديننا ، ليردّونا الى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى وان نستحلّ ما كنا نستحلّ من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا الى بلادك ، واخترناك على من سواك : ورجونا في جوارك ، ورجونا ان لا نظلم عندك أيها الملك . فقال له النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شئ ؟ فقال له جعفر : نعم ؛ فقال له النجاشي : فاقرأه عليّ ؛ قالت : فقرأ عليه صدراً من : « كهيعص » فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكت اساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم ، حين سمعوا ماتلا عليهم ، ثم قال

لهم النجاشي : ان هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا ،
فلا والله لأسلمهم إليكما ولا يكادون (١٥)

ويتجلى من هذه الحادثة ما امتاز به هؤلاء المهاجرون من شجاعة علمية
كما يتجلى منها أن جعفر بن أبي طالب كان متمرساً بأساليب المحاججة والعرض
العلمي والقدرة على الاقناع وحسن اختيار الشواهد مما تمكن في النهاية أن
يكسب الحجاج ويتغلب على خصميه ويسيل إليه من معه قلب النجاشي
ورجالاته الراسخين في علوم دينهم .

ويقدم القرآن الكريم مصداق هذه الحادثة وتلك الحكاية للذين يتشككون
فيهما ، وذلك في آيات منها قوله تعالى في وصف نفرٍ من العرب عرفوا
بالمنافقين « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في
قلبه وهو الدُّ الخصام » (١٦)

فهؤلاء القوم يروق قولهم ويعجب في القلب لما فيه من حسن الحديث وقوة
المنطق وشدة العارضة أسر البلاغة .

ومنها قوله تعالى في توصيف قوم آخرين : « فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة
حداد » (١٧)

فهذه الآية الكريمة تبين موهبة هؤلاء القوم في الحديث وحدة ألسنتهم في
الخصومة والمنازلة الكلامية . وأياً كان فمن يتتبع ماأداره القرآن الكريم من
مادة سأل يجد أن هذا الكتاب العزيز يحث العرب على السؤال ويدعوهم الى
المساءلة ، وبدهي ان المساءلة بالسؤال سبيل الباحثين الى تحديد موضوعات
بحوثهم وتعين ميادينها من ذلك قوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً

(١٥) ينظر المصدر السابق ج ١ / ٣٥٩

(١٦) سورة البقرة الآية ٢٠٤

(١٧) جزء من الآية ١٩ من سورة الاحزاب .

نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون» (١٨)
ومن تحدث عن أسباب نزول هذه الآية الكريمة ينعتقد رأيهم على أن قريشاً
قالت : الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً فقليل « وما أرسلنا من قبلك إلا
رجالاً نوحى إليهم » على السنة الملائكة « فاسألوا أهل الذكر » وهم أهل
الكتاب ، ليعلموكم أن الله لم يبعث الى الأمم السالفة إلا بشراً .

ومن ذلك ايضاً قوله تعالى : « سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية
بينه ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب » (١٩)
فظاهر هذه الآية أمر للرسول الكريم أو لكل أحد بأن يسأل بني اسرائيل كم
آتيناهم من آية بينة على أيدي أنبيائهم وهي معجزاتهم أو من آية في الكتب
شاهدة على صحة دين الاسلام فهاتان الآيتان الكريمتان تبينان أن القرآن الكريم
— بالاضافة الى ما أسلفنا — كان يصدع بما يوسع آفاق تفكير العرب ويحملهم
على مخالطة الآخرين وينوع بين أيديهم مصادر العلم والمعرفة .

كما أن القرآن الكريم كان يعتمد على كلمة السؤال ليثبت على السنة المخاطبين
مايريد تقريره من ذلك قوله تعالى : « ولئن سألتهم من نزل ماء فأحيا به
الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لايعقلون » (٢٠)
ويبدو ان هذه الظاهرة العقلية التي هي من مستلزمات منهج البحث العلمي
قد خلقت من العرب أمة متسائلة لم تكف بتلقي القرآن الكريم وتلقف ما بين
دفتيه من شؤون الدنيا والآخرة وانما انبرت تسأل الرسول الكريم وتستفسر منه عن
موضوعات تنوعت بين قضايا شتى : — ابرزها : السؤال عن الروح في قوله تعالى :
« ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » (٢١)

(١٨) سورة النحل الآية ٤٣

(١٩) سورة البقرة الآية ٢١١

(٢٠) سورة العنكبوت الآية ٦٣

(٢١) سورة الأسراء الآية ٨٥

والسؤال عن يوم الدين في قوله تعالى : « يسألون أيّان يومُ الدين » (٢٢).
والسؤال عن الساعة في قوله تعالى : « يسألُك الناسُ عن الساعة قل إنما علمها
عند الله وما يُدريك لعل الساعة تكون قريباً » (٢٣).

والسؤال عن المظاهر الطبيعية كما في قوله تعالى : « ويسألونك عن الجبال
فقل ينسفُها ربي نسفاً » (٢٤).

والسؤال عن الفلك والتقويم في قوله تعالى : « يسألونك عن الأهلة قل هي
مواقيتُ للناس والحج » (٢٥).

والسؤال عن الأشهر وما يجري فيها من شؤون اجتماعية واقتصادية كما في
قوله تعالى : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتالٌ فيه كبيرٌ وصدٌّ عن
سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من
القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرد منكم
عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك
أصحاب النار هم فيها خالدون » (٣١).

والسؤال عن مسائل تاريخية كما في قوله تعالى : « ويسألونك عن ذي
القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكراً » (٢٧).

وواضح من هذه الآيات الكريمات أن قضايا تلك الاسئلة وموضوعاتها لاتدع
مجالاً للشك في قدرة العرب على خوض المسائل الغيبية والتباحث حول المشكلات
العقلية وتتبع مظاهر الطبيعة والكون وتقصي أخبار الأمم وتاريخها ، ومن
هنا لا بدّ ان نعجب من أولئك المستشرقين الذين مرّ بنا زعمهم : أن العرب

(٢٢) سورة الذاريات الآية ١٢

(٢٣) سورة الاحزاب الآية ٦٣

(٢٤) سورة طه الآية ١٠٥

(٢٥) سورة البقرة الآية ١٨٩

(٢٦) سورة البقرة ٢١٧

(٢٧) سورة الكهف الآية ٨٣

أمة لم تنبغ إلا في المحسوسات ولم تخض الا في الأمور المادية مقهورين عن استجلاء الكليات من المباحث العقلية وشؤون ما وراء الطبيعة .
فهذا الزعم - بلا ريب - لا يثبت أمام هاتيك الآيات البينات التي لا يأتيتها الشك من بين يديها ولا من خلفها ، كما أن أولئك الباحثين العرب والمستشرقين الذين انكروا معرفة العرب بالبحث العلمي ومنهجه في الدراسة لا يحيرون جواباً حينما نواجههم بأي الذكر الحكيم التي تقدم في مواضع عدة من القرآن الكريم صورة منهج البحث العلمي متكاملأ في موضوعاته وأدواته واسسه وأساليبه :

أما الموضوعات فقد أثارت أي الذكر الحكيم منها علومأ تطبيقية ونظرية وإنسانية مثل علم الأجنة في قوله تعالى -

« ولقد خالقنا الانسان من سلاله من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغه فخلقنا المضغه عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتيارك الله احسن الخالقين » (٢٨)
فهذه الآية الكريمة قد نبهت اذهان المسلمين - منذ نزولها - على تتبع مراحل تكون الانسان وولادته ، ففهم العلماء منهم معناها على ان : السلاله هي الخلاصة لأنها تسل من بين الكدر ، وعن الحسن : أنها ماء بين ظهرائي الطين .
ومعنى جعلنا الانسان نطفة أنه خلق جوهر الانسان أولاً طيناً ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة والقرار المستقر والمراد الرحم ثم تحوات النطفة علقه وخلقنا العلقه مضغه ثم أصبحت المضغه عظاماً فكسيت لحماً وبعد ذلك أنشأه الله تعالى خلقاً آخر متبايناً أي تباين اذ جعله تعالى حيواناً وكان جماداً ، وناطقاً وكان ابكم وسميعاً وكان أصم ، وبصيراً وكان اكمه وأودع باطنه وظاهره - بل كل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه - عجائب فطرة وغرائب حكمة لا تدرك بوصف الواصف ولا تباغ بشرح الشارح كما أنها حملت العلماء المعاصرين الذين أولعوا

بتلمس العلوم الحديثة في القرآن الكريم على الموازنة بينها وبين ما انتهت إليه هذه العلوم في دراسة الجنين منذ أول مراحل تكوينه ونشأته فاستنتجوا أن هذا الكتاب العزيز قد سبق أصحاب هذه العلوم في هذا الميدان من ميادين المعرفة الإنسانية .

ومن تلك الموضوعات علم البصريات كما أشار إليه قوله تعالى : -
« ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً » (٢٩)

فقد التقى فكر المسلمين القدامى بهذه الآية الكريمة فانبعث فيه حب معرفة الظل وأسرار تكوينه وعلاقته بالشمس إذ شرح له المفسرون منطق هذه الآية على أن معنى مدّ الظل : أن جعله يمتدّ وينبسط فينتفع به الناس (ولو شاء لجعله ساكناً) أي لاصقاً بأصل كل مظّل من جبل وبناء وشجرة ، غير منبسط فلم ينتفع به أحد : سمي انبساط الظل وامتداده تحركاً منه وعدم ذلك سكوناً . ومعنى كون الشمس دليلاً : أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها في مسيرها على أحوال الظل ، فمن كونه ثابتاً في مكان زائلاً ومتسعاً ومتقلصاً فينبون حاجتهم إلى الظل واستغناءهم عنه حساب ذلك ومنها مصطلح الحساب الذي تكرر في آيات بينات (٣٠) كقوله تعالى : « هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون » (٣١)

ومنها علم الفلك في قوله تعالى : « ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كلٌّ يجرى إلى أجلٍ مسمى

(٢٩) سورة الفرقان الآية ٤٥

(٣٠) تنظر سورة آل عمران الآية ١٩٩ وسورة البقرة الآية ٢٠٢ وسورة الاسراء الآية ١٢ .

(٣١) سورة يونس الآية ٥

وان الله بما تعملون خبير » (٣٢)

ومنها علم الملاحة ومايتعلق به من علم الأنواء كما في قوله تعالى : « الم تر ان الله سخر لكم مافي الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم » (٣٣) وقوله تعالى : « الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور » (٣٤) ومنها علم الزراعة كقوله تعالى : « الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة ان الله لطيف خبير » (٣٥) . ومنها علم التاريخ واحوال الأمم ووقائع الاحداث كقوله تعالى : « الم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد * وشمود الذين جابوا الصخر بالواد * وفرعون ذي الأوتاد * الذين طغوا في البلاد * فأكثروا فيها الفساد * فصب عليهم ربك سوط عذاب » (٣٦) فهذه الآيات الكريمة ومثيلاتها قد حفزت الرواة والمؤرخين على تلمس تواريخ هاتيك الأمم وتلقف عنهم المفسرون ماأدلوا به فراحوا يقررون بين يديها أنه قيل لعقب عاد بن عوص بن إرم ابن سام بن نوح عاد ، كما يقال لنبي هاشم : هاشم . ثم قيل للأولين منهم عاد الأولى وإرم ، تسمية لهم باسم جدهم ولن بعدهم : عاد الأخيرة . فارم في قوله (بعاد إرم) عطف بيان لعاد ، وايدان بأنهم عاد الأولى القديمة . وقيل (إرم) بلدتهم وأرضهم التي كانوا فيها و (ذات العماد) اسم المدينة وقيل ذات البناء الرفيع (جابوا الصخر)

(٣٢) سورة لقمان الآية ٢٩

(٣٣) سورة الحج الآية ٦٥

(٣٤) سورة لقمان الآية ٣١

(٣٥) سورة الحج الآية ٦٣

(٣٦) سورة الفجر الآيات ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣

قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتاً ثم ذكروا أحوال ثمود والفراعنة وقصوا لهم حكايات تفتق الأذهان وتدعو الى التدبر والاعتاظ .

وفى رأينا أن موضوعات البحث هذه التى نجتزئ بها هنا عن سواها ، تمثل حقيقة لا مرء فيها تؤكد أن العرب قد تفتحت عقولهم بتلاوة القرآن الكريم وانبسطت فى رحاب علوم شتى ومعارف جمة مما لا يمكن أن يوصفوا معها بالأمية المطلقة أو يزعم انهم لم يملكوا حظاً من العلوم إلا بالترجمة عن الأمم الأخرى والاقتباس من شعوب أجنبية .

ومما يتصل بالبحث العلمى أسس منهجه فى العرض والتحليل ، فقد أشار القرآن الكريم من بينها الى خمسة أسس :-

أولها :- التدبر والتأمل :

ويبدو هذا الأساس فى قوله تعالى : « افلا يتدبرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها » (٣٧)

وقوله تعالى : « افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » (٣٨)

فآية الاولى تصدع بتدبر القرآن والتأمل فيه وينعى على الذين كلت قلوبهم وعميت بصائرهم عن ذلك .

أما الآية الثانية فتبين - بالاضافة الى وجوب التدبر - : أن هذا التدبر معيار لادراك كنه القرآن الكريم الذى هو من عند الله ، ولو كان من عند غيره لوجدوا فيه اختلافاً وتبايناً كبيرين .

وبذلك فإن هذا الأساس قد عود العرب على تدبر ما يبحثون فيه وتأمله سبيلاً للوصول الى نتائج يقينية وتقرير حقائق علمية .

(٣٧) سورة محمد الآية ٢٤

(٣٨) سورة النساء الآية ٨٢

وثانيها : التفكير واعمال العقل وشحذ التفكير :-

فقد بين الله تعالى في كتابه العزيز أنه يضرب الأمثال ليحمل الناس على التفكير إذ قال : « لو انزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » (٣٩)

كما ذكر تعالى أن الغاية من بيان الآيات هي حمل الناس على التفكير إذ قال : « ايودُّ احدُكم ان تكونَ له جَنَّةٌ من نخيلٍ واعنابٍ تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابهُ الكبرُ وله ذُرِّيَّةٌ ضعفاءُ فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبيِّن الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون » (٤٠) ومن هنا فقد حث الله تعالى الناس على التفكير فقال : « أو لم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وان كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون » (٤١)

وجاءت آيات كثيرة تسجل للمتفكرين ما يبين أقدارهم وينوّه بمتزلزلتهم الرفيعة منها قوله تعالى « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فقلنا عذاب النار » (٤٢)

وهكذا فان العربي يجد نفسه بين يدي هذه الآيات الكريمة مدركاً أن دينه القويم وكتاب هذا الدين العزيز يدعوه الى التفكير فيما يقبل عليه من شؤون دنياه وآخرته ويلزمه ان يدع الهوى والميل فيما يبحث فيه ويتدارسه مرسخاً بذلك أساس منهج أصيل لما ينهض به — عالماً كان أو متعلماً .

وثالثها : المجادلة والأخذ والرد في ضوء معايير علمية تقوّم مصادر

(٣٩) سورة الحشر الآية ٢١

(٤٠) سورة البقرة الآية ٢٦٦

(٤١) سورة الروم الآية ٨

(٤٢) سورة آل عمران الآية ١٩١

المعرفة وتجسد المناقشة :

فقد نعت آيات بينات على الذين يميلون عن هذه المعايير ولا يلتزمون بها في آداب المجادلة ، من هذه الآيات قوله تعالى : « ومن الناس من يُجادلُ في الله بغير علمٍ ويتبعُ كلَّ شيطانٍ مريدٍ » (٤٣)

فهذه الآية الكريمة توبخ أولئك الذين يجادلون من غير علمٍ ويتبعون في مجادلاتهم الأهواء ، فيكونون كمن يقرع في الهواء ولا يحسن في القول فتبلاً ومنها قوله تعالى : « ومن الناس من يُجادلُ في الله بغير علمٍ ولا هدى ولا كتابٍ منيرٍ » (٤٤)

فهذه الآية الكريمة تستوجب توفر ثلاثة مصادر للمتجادلين :-

اولها : العلم اليقيني .

وثانيها : الهدى والبصيرة بالغاية من المجادلة .

وثالثها : كتاب يوثق أطراف المجادلة ويللم مقاصدها .

ومنها قوله تعالى : « وما نرسلُ المرسلينَ إلا مبشرين ومنذرين ويجادلُ الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما انذروا هُزوا » (٤٥) ففي هذه الآية الكريمة يظهر بُعد جديد للمجادلة يجسده سلوك الكافرين في هذا الأساس من أسس منهج البحث فاذا هم يجادلون بالباطل ولا يتصفون بالجد العلمي والرزانة العقلية ، وانما يتخذون من الباطل والسخرية وسيلةً لدحض الحق الذي لا يستطيعون منه تمكناً ورداً .

واذ دحض القرآن الكريم هذه الحالات من المجادلة وأبطل تلك الألوان من المناقشة بين - على الطرف الآخر - آداب المجادلة الحق وأثبت تقاليدها الأصبية فأورد قوله تعالى : « ادعُ الى سبيلِ ربك بالحكمة والموعظة

(٤٣) سورة الحج الآية ٣

(٤٤) سورة الحج الآية ٨

(٤٥) سورة الكهف الآية ٥٦

د. كامل حسن البصير

الحسنة وجادلهم بالتي هي احسنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ « (٤٦) .

وقوله تعالى : « وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » (٤٧) ففي الآية الاولى تفصيل لآداب المجادلة بالنص على ثلاثة أركان :-

اولها: الحكمة ، وهي المقالة المحكمة الصحيحة والدليل الموضح للحق المزیلة للشبهة .

وثانيها: الموعظة الحسنة ، وهي التي لا يخفى على الذين تجادلهم أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها .

وثالثها: المجادلة بالتي هي احسن ، وهي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين ، من غير فظاظاة ولا تعنيف .

أما الآية الثانية فهي تنهى عن مجادلة الخصوم بغير التي هي احسن وهي مقابلة الخشونة باللين ، والغضب بالكظم ، والسوء بالأناة . وبذلك فإن العربي قد تعود بتلاوة أي الذكر الحكيم على أساس المجادلة في منهج البحث وتمرس بأساليبها ، وتمكن من إنجاز بحوثه بأناة وتروٍ ومال عن التسرع والهوى . ورابعها: المحاججة والاستدلال ودحض الحجة بالحجة ونقض الدعوى بالدليل والبينة .

وقد بسط القرآن الكريم هذا الأساس ووضح كلفيته وأورد مصادره ، فأردفه بالعلم في قوله تعالى : « فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ وَنَسَاءَنَا وَنَسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ » (٤٨) ومعنى هذه الآية ان المجادلة تنقطع

(٤٦) سورة النحل الآية ١٢٥

(٤٧) سورة العنكبوت الآية ٤٦

(٤٨) سورة آل عمران الآية ٦١

أسبابها وتزول دواعيها فى موضوع البحث إذا كان قد جاء فيه يقين ، وهو
البيانات الموجبة للعلم ، فلا ينبغي أن تدور إلا فى ضوء الحجة والبرهان .
ومن هنا فإن توثيق مصادر البحث ضرورة علمية قبل المجادلة ، لذلك فإن
القرآن الكريم أنكر أن تستعر المجادلة بعد التوثيق ويشمر المجادلون عن سواعدهم
أثر توفر ما يقنعهم بعدم جدوى مجادلتهم ، وذلك فى قوله تعالى : « يا أهل
الكتاب لم تُحاجُّونَ فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل إلا من بعده
أفلا تعقلون » (٤٩)

فهؤلاء القوم الذين انكر عليهم القرآن الكريم المجادلة كانوا قد زعموا
أن إبراهيم كان منهم - وجادلوا رسول الله (ص) والمؤمنين فيه فقبل لهم :
ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التوراة ، والنصرانية بعد نزول الانجيل ،
وبين إبراهيم وموسى ألف سنة ، وبينه وبين عيسى ألفان ، فكيف يكون
إبراهيم على دين لم يحدث إلا بعد عهده بأزمنة متطاولة ؟ (٥٠)

ومن هنا فإن القرآن الكريم قد جعل العلم صنواً للمحاجة فى مواضع ، منها
قوله تعالى : « ها أنتم هؤلاء تُحاجُّونَ فى إبراهيم لعلكم به علمٌ فلم تُحاجُّونَ فيما
ليس لكم به علمٌ والله يعلمُ وانتم لا تعلمون » (٥١)

كما أنه قد أدار مُصْطَلَحَيْنِ فى معرض المحاجة ومضمارها وبيان أدواتها
وتمهيد سبيلها :-

أحدهما : الحجة كما فى قوله تعالى : « والذين يُحاجُّونَ فى الله من بعد
ما استُجيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ
شَدِيدٌ » (٥٢)

(٤٩) سورة آل عمران الآية ٦٥

(٥٠) راجع الكشف ج ١ / ٣٧١

(٥١) سورة آل عمران الآية ٦٦

(٥٢) سورة الشورى الآية ١٦

ومصطلح الحجة في هذه الآية الكريمة يقتضي أن تنهض المحاجة لغاية أما أن يشتجر أوارها وتدور أسبابها من غير غاية فهذا مالا ينبغي أن يتم ويحدث .

ومن هنا فقد بيّن القرآن الكريم غاية الحجة بأنها الاقناع وقطع دابر العناد واغلاق الباب في وجوه المشككين والمعاندين ، ويظهر هذا في قوله تعالى : « ومن حيثُ خرجت فولَّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطرة لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشَوْهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون » (٥٣) وعليه فإن الحجة ترفع مكانة من يأتزر بها ويستند إليها كما في قوله تعالى : حكاية عن سيدنا ابراهيم « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم » (٥٤)

كما أنها ينبغي أن تكون مقنعة يطمئن إليها القلب ويرضى بها العقل وألا تكون واهية تلقى على علاقتها ، وتبدو مميزات الحجة هذه في سياق قوله تعالى : « واذا تتلى عليهم آياتنا بيناتٍ ما كان حجتهم إلا قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين » (٥٥)

ويبدو أن المفسرين وسواهم من الذين يتلون القرآن الكريم قد أدركوا مميزات الحجة الحققة التي رسختها آي الذكر الحكيم ، فتساءلوا لم سمى قولهم حجة في هذه الآية وليس بحجة ؟

ثم أجابوا قائلين : لأنهم أداوا به كما يدلني المحج بحجته وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم ، أو لأنه في حسابهم وتقديرهم حجة أو لأنه في اسلوب قواله :

(٥٣) سورة البقرة الآية ١٥٠

(٥٤) سورة الانعام الآية ٨٣

(٥٥) سورة الجاثية الآية ٢٥

« تحيةُ بينهمُ ضربٌ وجيعٌ » (٥٦) .

كأنه قيل : ما كان حجتهُم إلا ما ليس بحجة . والمراد : نفى أن تكون لهم حجة البتة .

وثانى المصطلحين : (البرهان) ، وهو مصطلح يطالب القرآن الكريم بتوفره في معرض سياق خبر يقتضى التصديق كقوله تعالى : « وقالوا لن يدخلَ الجنةَ إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيتُهُمْ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » (٥٧)

فهذه الآية الكريمة تقدم قول جماعة خبراً يحتمل الصدق والكذب لذلك قررت ؛ أن هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة (إن كنتم صادقين) في دعواكم إذ أن كل قولٍ لا دليلَ عليه باطل غير ثابت .

ثم إن القرآن الكريم يبين طبيعة البرهان ويفصل أضربه لما له من أهمية في مضمار المحاجة كقوله تعالى : « ام اتخذوا من دونه آلهةً قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلى بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون » (٥٨)

فهذه الآية الكريمة تبين أنه قد اتخذوا من دون الله آلهة استفظاعاً لشأنهم واستعظاماً لكفرهم أي : وصفتهم الله تعالى بأن له شريكاً ، فهاتوا برهانكم على ذلك : إما من جهة العقل ، وإما من جهة الوحي ، فانكم لاتجدون كتاباً

(٥٦) الشاهد لعمر بن معد يكرب وتماه :

وخيل قد دلفت لها بخيلي تحية بينهم ضرب وجيع

وخيل : أي وأصحاب خيل قد تقدمت لها بمثلها . والتحية :

الدعاء بالحياة ، فأخبر عنها بالضرب الوجيع على سبيل التهكم وضمير (بينهم) للخيل

بمعنى الجيش . حاشية الكشف ج ١ / ٦٠

(٥٧) سورة البقرة الآية ١١١

(٥٨) سورة الانبياء الآية ٢٤

من كتب الاولين إلا وتوحيد الله وتزويجه عن الأنداد مدعو إليه ، وإلشراك به منهي عنه متوعد عليه » . (٥٩)

كما أنه يصور ما يترتب على تقديم البرهان أو عدم تقديمه من نتائج ملزمة كقوله تعالى : « ونزعنا من كل أمة شهيداً فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون » . (٦٠)

فمعنى هذه الآية (ونزعنا) وأخرجنا (من كل أمة شهيداً) وهو نبيهم : لأن أنبياء الأمم شهداء عليهم ، يشهدون بما كانوا عليه (فقلنا) للأمة (هاتوا برهانكم) فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول (فعلموا) حينئذ (أن الحق لله) وأرسوا له ، لا لهم واشياطينهم (وضل عنهم) وغاب عنهم غيبة الشئ الضائع (ما كانوا يفترون) من الكذب والباطل . (٦١)

فالبرهان في هذه الآية الكريمة ازم أولئك المدعين ما كانوا فيه وصور حالهم بعد أن جوبهوا بطلبه منهم .

ورابعها: الشك والتجربة سيبلان لاثبات الحقيقة :-

ويتجلى هذا الاساس في قوله تعالى : حكاية عن سيدنا ابراهيم « وإذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبلٍ منهن جزءاً ثم ادْعُهنَّ يأتينك سعيّاً واعلم ان الله عزيز حكيم » (٦٢)

وقد فسر الزمخشري هذه الآية الكريمة في ضوء عقيدته الاعتزالية فقال : (أرني) بصّرني ، فإن قلت : كيف قال له (أو لم تؤمن) وقد علم أنه أثبت الناس ايماناً ؟ قلت : ايجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة

(٥٩) ينظر الكشف ج ١ / ١١١

(٦٠) سورة القصص الآية ٧٥

(٦١) راجع الكشف ج ١ / ٤٢٩

(٦٢) سورة البقرة الآية ٢٦٠

للمسامعين و (بلى) ايجاب لما بعد النفي ، معناه بلى آمنت (ولكن ليطمئن قلبي) ليزيد سكوناً وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الادلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة واليقين ، ولأن علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضروري ، فأراد بطمأنينة القلب العلم الذي لامجال فيه للتشكيك . فإن قلت : بم تعلقت اللام في (ليطمئن) ؟ قلت : بمحذوف تقديره : ولكن سألت ذلك إرادة طمأنينة القلب (فخذ اربعة من الطير) قيل طاوساً وديكاً وغراباً وحمامة . (فصرهن إليك) بمعنى اضممهن (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً) يريد : ثم جزّهن وافرّق أجزاءهن على الجبال . والمعنى : على كل جبلٍ من الجبال التي بحضرتك وفي أرضك ، (ثم ادعهن) وقل لهن : تعالين باذن الله (يأتينك سعيّاً) ساعات مسرعات في طيرانهن أو في مشيهن على أرجلهن : فإن قلت : مامعنى أمره بضمها الى نفسه بعد أن يأخذها ؟ قلت : ليتأملها ويعرف أشكالها وهيئاتها وحلاها ثلاً تلبس عليه بعد الاحياء ولايتوهم أنها غير تلك ولذلك قال : يأتينك سعيّاً (٦٣) وقد خالف مفسرون آخرون الزمخشري فيما أداره من عبارة الشك وتوجيه بعض كظم الآية : فقالوا : أما سؤال الخليل عليه السلام بقوله له « كيف تحيى الموتى » فليس عن شك والعياذ بالله في قدرة الله على الاحياء ، ولكنه سؤال عن كيفية الاحياء ، ولايشترط في الايمان الاحاطة بصورتها ، فانما هي طلب علم مالا يتوقف الايمان على علمه ، ويدل على ذلك ورود السؤال بصيغة كيف ، وموضوعها السؤال عن الحال ، ونظير هذا السؤال أن يقول القائل : كيف يحكم زيد في الناس ؟ فهو لايشك أنه يحكم فيهم ، ولكنه سأل عن كيفية حكمه لاثبوتة ، ولو كان الوهم قد يتلاعب ببعض الخواطر فيطرق الى ابراهيم شكاً من هذه الآية . وقد قطع النبي عليه الصلاة والسلام دابر هذا الوهم بقوله : « نحن أحق بالشك من

ابراهيم » أي ونحن لم نشك ، فلأن لايشك ابراهيم أخرى وأولى فإن قلت : إذا كان السؤال مصروحاً الى الكيفية التي لا يضر عدم تصورها ومشاهدتها بالايمان ولا تخل به ، فما موقع قوله تعالى : « أو لم تؤمن » ؟ قلت : قد وقعت لبعض الحذاق فيه على لطيفة وهي أن هذه الصيغة تستعمل ظاهراً في السؤال عن الكيفية كما مر ، وقد تستعمل في الاستعجاز مثله : أن يدعي مدع أنه يحمل ثقلاً من الاثقال وأنت جازم بعجزه عن حمله ، فنقول له أرني كيف تحمل هذا ، فلما كانت هذه الصيغة قد يعرض لها هذا الاستعمال الذي أحاط علم الله تعالى بأن ابراهيم مبرأ منه ، أراد بقوله : (أو لم تؤمن) أن ينطق ابراهيم بقوله : بلى آمنت ليدفع عنه ذلك الاحتمال اللفظي في العبارة الأولى : ليكون ايمانه مخلصاً نص عليه بعبارة يفهمها كل من يسمعها فهماً لا يلحقه فيه شك فإن قلت : قد تبين لي وجه الربط بين الكلام على التقدير المبين ، فما موقع قول ابراهيم (ولكن ليطمئن قلبي) ؟ وذلك يشعر ظاهراً بأنه كان عند السؤال فاقداً للطمأنينة قلت : معناه ولكن ليزول عن قلبي الفكر في كيفية الحياة ، لأنني إذا شاهدتها سكن قلبي عن الجولان في كيفياتها المتخيلة ، وتعينت عندي بالتصوير المشاهد وجاءت الآية مطابقة لسؤاله ، لأنه شاهد صورة حياة الموتى ، تقديره الذي يحيى ويميت » (٦٤) ولعلنا إذا ما أردنا أن نحدد موقفاً علمياً من هذه المسألة الخلافية بين أولئك المفسرين في تأويل هاتيك الآيات البينات ، ينبغي أن نستند الى الفكر العربي الموحد ، فنستقبل ظاهر الآيات ولا نحملها أكثر مما تتحمل نصوصها وأكثر مما يتبادر الى الذهن من معانيها .

وفي يقيننا : ان العربي في تلاوته هاتيك الآيات يستخلص أربع حقائق :
اولاها : أن سيدنا ابراهيم (ع) قد التمس أن يريه الله تعالى كيفية احياء

الموتى ، وقد علمت هذه الحقيقة العربى منذ أقدم العصور أن يعتمد على المشاهدة والتجربة فى إدراك كنه ما ليس له به علم من الامور العظيمة ولا يكتفى فيها بالنظر المجرد والسمع المروى .

وثانيها : ان الله تعالى قد طلب الى سيدنا ابراهيم فى صيغة سؤال أن يبين ايمانه فيما التمس : وهذه الحقيقة تبين فى ظاهرها ما كان عليه سيدنا ابراهيم من الايمان الحق بالله تعالى مع الكشف عن طبيعة ذلك الالتماس فى مضمار العلوم والمعارف المكتسبة ، ومن هنا فإن السؤال عن ايمان سيدنا ابراهيم فى هذا المقام يعطى التماسه صبغة علمية ويدرجه بين وسائل تعلم الانسان معلومات اضافية عن طريق المشاهدة والمعاينة وعن سبيل التجربة والاختبار .

وقد فتحت هذه الحقيقة على العربى قديماً أبواب العلم بالكد والمعاينة والطلب والسعي .

وثالثها : أن سيدنا ابراهيم أكد ايمانه مستدركاً أنه قد أراد بالتماسه اطمئنان القلب فى مسألة كيفية اجزاء الموتى لأنها تخص خبرته المكتسبة وتتعلق بمعلوماته التى لا يستطيع أن يوسع آفاقها إلا بالمشاهدة والمعاينة والكسب . وقد رسخت هذه الحقيقة فى عقل العربى حقه فى أن يجرب ويختبر ما يتناهى اليه من خبر او علم ويعرضه على محك التجربة والاختبار .

ورابعها : ان الله تعالى قد حول الموقف الذى كان فيه سيدنا ابراهيم الى مختبر للتعليم ، وقد كشفت هذه الحقيقة للعربى منذ تلاوة القرآن الكريم عن المختبر وميدان التجربة وسيلة مثلى يسير بها أغوار العلم ويدرك كنه المعرفة . وفى يقيننا أيضاً أن العربى فى ايامنا هذه حين يلم بهذه الحقيقة يتذكر نظرية رينه ديكارت فى منهج البحث ثم يدرك أن أساس الشك فى هذه النظرية قد توفر قبل اربعة عشر قرناً بشكل أو بآخر بين أسس منهج البحث العلمى فى التراث العربى .

فالمعروف أن رينه ديكارت الملقب بأبي الفلسفة الحديثة قد أخضع افكاره جميعها الى الفحص المتمعن مستنداً الى الشك الذي يوصل الى اليقين: فقد شك في التقليد والتربية وسيلة لكسب العادات والمعرفة ، وشك في الاحساسات التي تزين له هذه المعلومة أو تلك ، وشك في جسمه ووجوده وشك في الحقائق العلمية .

شك ديكارت ، ثم عاد فسالم بجميع الأفكار ، التي شك فيها ، فهل يكون قد شك حقاً ؟ وماهي قيمة هذا الشك ؟

ان شك ديكارت ، لا يمس غير الطرق ، التي نهجها الفلاسفة لادراك الحقيقة ، أما الحقيقة عينها ، فقد ظلت في مأمن من الشك . لذا سمي بالشك المنهجي الذي لا يشك رغبة في الشك للشك ، لأنه عمل بدور على نفسه ، بل يشك ليخرج من ديجور المجهول ، الى وضوح المعلوم ، وهذا يعني ، ان ديكارت لم يشك فعلاً . لقد افترض الشك فقط ، لأنه آمن قلبياً بوجود الحقيقة ، وبقدرة الانسان على أن يدرك الحقيقة ولا ماهي الفائدة من وضع منهج يسير عليه ؟

ان الشك في الحقيقة يهدم الحقيقة ، ولا يترك للانسان مجالاً للبحث عنها ، ومتى انقطع الانسان عن الحقيقة انقطاعاً مبرماً ، تهافت هو ايضاً في قرارة ذاته ، وكان شكه كينونياً هداماً ، أما الشك في ما يرتاح اليه الانسان من الاساليب التي يعتقدها ناجحة لادراك الحقيقة فانه لا يعطل كينونة الحقيقة ، بل يدعو الى الحذر ، والامعان ، والتريث ، ليتيقن مما يسلم به ، هذا الشك هو شك نفسي بناء . هو الحقيقة قد أغمت سماؤها ، بفعل من الانسان لا منها ، فكان على الانسان أن يشك في ذاته ، لا فيها ، ليقوم ما عوج من ذاته . ولهذا كان الشك الديكارتي ذا قيمتين قيمة تربوية ، وقيمة اخلاقية . تقوم القيمة التربوية على أن هذا الشك يروض الانسان ، فيطويعه ، ويعلمه

كيف يجب أن يسير فى الطريق الحق . ان الشك مصداق نسترشد به ، لبلوغ اليقين الثابت . أما قيمته الاخلاقية ، فهي أبعد وارفع ، لأن الانسان يعي ولا يتبناها على حساب غيره . (٦٥)

ومهما يكن فإن تذكر نظرية ديكارت فى منهج الشك باستنباط تلك الحقائق من آي الذكر الحكيم لايعني أي ضرب من الموازنة المباشرة بين القرآن الكريم وبين أي علم من العلوم الحديثة ، ذلك لأننا قد ثبتنا هذا المبدأ فى مستهل دراستنا هذه .

بيد أننا نريد بهذا التذكر تأكيد خصوصية تراثنا الاسلامي وتنوع مجالاته فإذا هو تراث يشدنا اليه فى مواجهة اعاصير الغزو الثقافي الأجنبي ويمدنا بما نحتاج اليه محفزاً ايانا على التجديد الأصيل والابتكار القومي والانساني .
وخامسها : نقد النصوص وتحقيقها :-

ويضطرر هذا الأساس من أسس منهج البحث فى مظاهر ابرزها :
اقتران النص بالعلم . يقول تعالى : «وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني باسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم باسمائهم فلما أنبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلمُ غيب السموات والأرض وأعلمُ ما تبدونَ وما كنتم تكتمون » (٦٦)

ففى هذه الآيات الكريمات يدير القرآن الكريم مصطلح العلم وبعضاً من مشتقاته ليوثق ماتعلمه آدم (ع) وماتستطيع الملائكة النهوض به فى معرض اختبارهم ، مما يدل ذلك على أن ذكر الاسماء وانباءها من العلم الذي هو حدث موثق قائم على التفكير والتحليل والاستنتاج . وعليه ففى آية اخرى

(٦٥) راجع رينه ديكارت ابو الفلسفة الحديثة بقلم : الدكتور كمال يوسف الحاج دار الحياة

بيروت ايار ١٩٥٤ (ص ٨٩)

(٦٦) سورة البقرة الآيات ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣

يقول الله تعالى : « ويعبدون من دون الله مالا يضرّهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبثون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون » (٦٧)

فها هنا ينتقد الذكر الحكيم مقالة الكافرين ويتهمهم منهم إذ لا يفترون إنباؤهم بعلمه ، فمعنى قوله تعالى : « اتنبثون الله بما لا يعلم » على ما يذكر الزمخشري (أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده ، وهو انباء بما ليس بالمعلوم لله ، وإذا لم يكن معلوماً له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئاً لأن الشئ ما يعلم ويخبر عنه ، فكان خبراً ليس له مخبر عنه . فإن قلت : كيف انباؤا الله بذلك ؟ قلت : هو تهكم بهم ومما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الأصنام ، وإعلام بأن الذي انباؤا به باطل غير منطوق تحت الصحة ، فكأنهم يخبرونه بشئ لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل بما لا يعلمه) (٦٨) إذن فالإنباء بأي نص وروايته والاختبار به ينبغي أن يفترون بعلم النبي ومعرفة الراوي والمخبر ، كما أن المتلقي لهذا النص لابد أن يكون على علم به حتى يتلقى النص بيقين واطمئنان .

لذلك فإن القرآن الكريم قد أشار في آيات بينات منه الى ذكر مصدر النص ، ومن هذه الآيات :

قوله تعالى : « أعنده علم الغيب فهو يرى * أم لم يُنبأ بما في صحف موسى * وإبراهيم الذي وفى » (٦٩)

وإذا لم يذكر القرآن الكريم مصدر النص النقينا باستفسار عنه كما في قوله تعالى : « وإذا أسرّ النبي الى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وظهره الله »

(٦٧) سورة يونس الآية ١٨

(٦٨) راجع الكشف ج ٢ / ٣٣٦

(٦٩) سورة النجم الآيات ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧

عليه عرف بعضه وأعرض عن بعضٍ فلما أنبأها به قالت من أنباك هذا قال نبأني العليم الخبير « (٧٠)

ففى هذه الآية الكريمة تستفسر احدى أزواج النبي (ص) عن مصدر إنبائه الحديث ، فيذكر لها المصدر بأنه العليم الخبير .

وشرط مصدر النص فى القرآن الكريم أن يكون موثقاً، لذلك فهو يرتبط بالحق أو بما اليه من المصطلحات التي تبين طبيعة المصدر ، كما فى قوله تعالى : « نحنُ نقصُ عليكُ نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى » (٧١) فهذه الآية الكريمة قبل أن تروى حكاية أولئك الفتية تخبر مقرررة : أنه « نحن نقص عليك نبأهم بالحق » فتوثق بذلك مصدر الحكاية وتؤكد طبيعتها العلمية . واذا لم يحصل شئ من هذا الباب ولم يوثق النص جرى استفسار عن طبيعته ثم اشفع بجواب هذا الاستفسار مؤكداً بالقسم عليه ، كما فى قوله تعالى : « ويستنبئونك أحق هو قل إني وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين » (٧٢) ففى هذه الآية الكريمة يستفسر الكافرون عن العذاب بهذا اللون أو ذاك من الاستفسار ، فيأمر الله تعالى نبيه أن يقسم على أن ذلك حق ، ثم يبين بجملة خبرية مؤكدة أن ذلك العذاب لن يفوتهم وإنما يحيق بهم .

ويرتبط النبأ فى القرآن الكريم بالمخبر غالباً ، إذ لا يأتي فيه الإنباء الا وقد أُرْدِفَ باسم من الاسماء التي تؤدي عمن ينهض به ؛ مما يستطيع الباحث أن يستنتج مطمئناً : أن هذا الكتاب العزيز قد نبّه منذ أقدم العصور الى عنصري النص اللذين هما السند والمتن .

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى : « إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشير ككم ولا يُنبئُك مثل

(٧٠) سورة التحريم الآية ٣

(٧١) سورة الكهف الآية ١٣

(٧٢) سورة يونس الآية ٥٣

خبير « (٧٣)

ففي هذه الآية الكريمة التي هي إنباء عن الاصنام نلتقي بعبارة « ولا ينبئك مثل خبير » التي معناها : ولا يخبرك بالأمر مخبر هو مثل خبير عالم به . ويريد : أن الخبير بالأمر وحده . هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به .

ولعلنا نلاحظ من هذا المعنى أن القرآن الكريم قد نوّه أيضاً بقدرة السند الذي يوثق بانبائه وإخباره ، إذ نص على صفته التي هي الخبرة والاطلاع وسواها من الصفات التي يجمعها مصطلح الخبير .

وإذا لم تتوفر في السند الذي يروي الخبر صفة أو أخرى من صفات العدول وجب التبين والتوثق مما يرويّه وينقله ، ويتجلّى هذا في قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » (٧٤)

وترجع كتب اسباب نزول هذه الآية إلى حدث تاريخي بعينه ، بيد أن الزمخشري قد ذكر أنه : « في تنكير الفاسق والنبأ : شياخ في الفساق والأنباء ، كأنه قال : أي فاسق جاءكم بأي نبأ فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة ، ولا تعتمدوا قول الفاسق لأن من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه » (٧٤)

ومذهب الزمخشري هذا حق لامراء فيه ، ذلك لأن القرآن الكريم كتاب عزيز لكل زمان ومكان ، فهو من أجل هذا يعمم ما اقتضت الحكمة الإلهية التعميم . وقد أعانتنا هذه الميزة القرآنية على أن نوجه هذه الآية الكريمة ومقابلها وجهة

(٧٣) سورة فاطر الآية ١٤

(٧٤) سورة الحجرات الآية ٦

(٧٥) راجع الكشف ج ٤ / ٣٦٠

نستنتج منها خصائص أساس نقد النصوص وتحقيقها من بين أسس منهج البحث العلمى .

ولما كان هذا المنهج عريقاً فى التراث العربى فإن الباحث المنصف يستغرب من المستشرق روزنتال إذ يقول :

« قد يكون هذا الخلو الظاهر من أساليب العلم المنتظمة دليلاً على نقص فعلى يتصف به البحث العلمى الإسلامى . نعم إن الأدب العربى يعكس لنا بعض المحاولات التى كانت تبذل فى سبيل إيجاد أسلوب منظم فى البحث العلمى ولكنها محاولات لم تتعدد ، وذلك ، ربما لانعدام الوسائل التقنية التى لايجدى دونها أى أسلوب منظم نفعاً مهما بذل المؤلف من جهد فى هذا السبيل . إذ أى نفع يرتجى من وضع نظام صارم وقواعد مفصلة لتحقيق نص مخطوطة ما بمعارضتها بجميع المخطوطات الأخرى إذا لم يكن لدى محقق النص سوى مخطوطة واحدة فى متناوله ؟ فضلاً عن هذا فإن حالة المخطوطات الزرية وشكلها وأحجامها لم تكن لتيسر للمحقق فى النصوص ضبط وتسجيل الاختلافات والفروقات التى يتوخى جمعها من معارضة مخطوطة بأخرى . كذلك أى نفع يرتجيه المحقق من وضع قوانين صارمة ثابتة لحكم فيما يجب قبوله وفيما يجب رفضه طالما ليس لديه وسيلة للتثبت من صحة رواية تبدو قريبة » (٧٦)

وبعد هذا يمضى المستشرق روزنتال فيعلل ما شخصه فى ظنه من قصور منهج البحث وتحقيق النصوص الإسلامى .

ويقول : « وعلى كل ، فإن مانشأ فى الشرق من تنظيم الأساليب وإن قل فقد انحصر على العموم فى حقول معينة من حقول المعرفة .

أما فى الغرب فأننا نلاحظ اتجاهاً نحو اتباع أسلوب فى التحقيق العلمى ذى قوانين صارمة يتناول جميع حقول النشاط الفكرى ، وهو اتجاه جذوره

متأصلة في العصور الوسطى .

والسبب في ذلك هو أن ماتحدر الى الغربيين من بقايا حضاراتهم القديمة ليس سوى نبد قليلة ، وهذه القلة جعلت العالم الغربي يُعنى بترائه الثقافي الضئيل عناية المقل المقتصد ، أي بطريقة منتظمة « (٧٧)

وواضح أن المستشرق روزنتال يستند الى فرضيات شكلية فيما يتهم به العرب من قصور في منهج البحث وتحقيق النصوص كما يسقط من حسابه ما كان للقرآن الكريم من أثر بالغ في صياغة الفكر العربي الاسلامي وقيادته في شؤون الحياة العلمية والثقافية والحضارية ؛ ومن هنا رأيناه يلتجئ الى التساؤل فيما قرر ، ويتلمس المظاهر المادية عللاً لما يقرره متناسياً عراققة الثقافة العربية وامتداد جذورها في أيامنا هذه لتستمد من منابت القرآن الكريم وما قبل القرآن الكريم من حقول المعرفة الخصبة وأياً كان ما يدعو اليه روزنتال والذين شابعوه فنحن نرى أنه إذا كان للغرب تراثه الاغريقي فإن للعرب تراثهم الاسلامي الذي تنهض أسسه في ضوء القرآن الكريم الذي شددنا به أزرنا في هذه الدراسة المتواضعة التي نرجو أن تكون قد تمخضت عن نتائج .

احداها : أن الباحثين لم يكونوا على بينة من القرآن الكريم ، ولم يكونوا في رحاب آياته البينات حين أغفلوا تملك العرب لزمام منهج البحث قديماً والاعتماد على أسسه أصالةً ، وزعموا : أن الفكر العربي لم يبدع في الامور المعنوية العامة .

الثانية : أن العرب كانوا على مستوى فكري متطور ، وأن فكرهم قد مارس ألواناً من النشاط العقلي قبل ان يستقبلوا القرآن الكريم بين ظهرانيهم ويتخذوا منه هذا الموقف أو ذاك .

الثالثة : أن آيات كريمات عديدة قد صاغت الفكر العربي بموضوعاتها العلمية وأساليبها في المجادلة والمحاججة وقادته في ميادين البحث العلمي ،

فملكته منهجاً متميزاً فى دراسة شتى أمور الحياة ومختلف مناحى الثقافة والحضارة .

الرابعة: أن منهج البحث العلمى لدى العرب قد ترسخت أسسه فى ضوء القرآن الكريم قبل أن تنعقد أية صلة مباشرة بين هذه الأمة وبين سواها من الأمم عن طريق الترجمة والمخالطة الحاسمة وسواها من الطرق التى يرجع إليها المستشرقون التطور الفكرى عند العرب تعصباً لغير الحق وميلاً عن جادة الصواب .

الخامسة: أن منهج البحث العلمى قد تكاملت أسسه فى التراث العربى واستوى علامة مميزة للعقلية العربية منذ نزول القرآن الكريم ، مما ينبغى أن يبعث هذا المنهج فى أيامنا هذه ويمتد صلة وثقى بين الفكر العربى المعاصر وبين جذوره التاريخية العريقة دفعاً للغزو الثقافى الأجنبى ، وتفتيحاً على الثقافة الانسانية بشخصية فكرية متكاملة ووعى تام فى عملية الأخذ والعطاء بين الحضارات .



مركز تحقيقات كاپتور علوم اسلامى



بلاد ما وراء النهر

موقعها - أقاليمها - نهرا سيحون وجيحون - لمحات من تاريخها القديم -
فتحها واستعادة فتحها

اللواء الركن محمود سيت خطاب

عضو المجمع

الموقع :

كان نهر (جيحون) القديم يُعدّ الحدّ الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسيّة والتركيّة ، أي إيران وتوران . فما كان في شماله ، أي وراءه ، من أقاليم سمّاها العرب : **ما وراء النهر** (وهو نهر جيحون) وكذلك سمّوها : الهيطل . وقد كان الهياطلة في المئة الخامسة للميلاد ، أعدى أعداء الدولة الساسانيّة ، وهم الأفثلاطيون (Ephthalites) لدى المؤلفين البيزنطيين ، ويعرفون بالهون البيض .

ويمكن تقسيم بلاد ما وراء النهر إلى خمسة أقاليم :

١ - إقليم الصغد ، وهو صغد يانا (Sogdiana) القديمة مع قصبته : (بخارى) و (سمرقند) .

٢ - إقليم خوارزم : في غرب الصغد ، وهو الإقليم المعروف اليوم بـ (خيوة) ، ويشمل على دلتا نهر جيحون .

٣ - إقليم الصغانيان : في الجنوب الشرقي ومعه (الختل) وغيرهما

من الكور الكبيرة التي تقع في أعالي جيحون . وإليه أيضاً تعود (بَدَخْشَان) وإن وقعت في ضفته اليسرى ، أي الجنوبية ، فإن المنعطف الكبير للنهر فيما وراء طَخَارِسْتَان يكاد يطوّقها ..

٤- إقليم فَرْغَانَة في أعلى نهر سِيحُون .

٥- إقليم الشَّاس : وهو اليوم إقليم (طَشْقَنْد مع النواحي التي في الشمال الغربي الممتدة حتى مصب سيحون في مناطق بحر أرال .

إقليم الصُّغْد

١- الصُّغْد :

يشمل الأرض الخصبة فيما بين نهري جيحون وسيحون ، تسقى بنهر الصغد وقد قيل : جنان الدنيا أربعة : غُوطَة دِمَشْق ، وصُغْد سمرقند ، ونهر الأبلّة ، وشِعْب بَوَّان . والصُّغْد عبارة عن قرى متصلة خلال الأشجار والبساتين من سمرقند إلى قريب من بُخَارَى لاتبين القرية حتى تأتيتها ، لالتحاف الأشجار بها ، وهي من أطيب أرض الله ، كثيرة الأشجار غزيرة الأنهار ، متجاوبة الطيار .

وأجلّ مدن الصُّغْد : سمرقند وبخارى ، ويمكن القول : إنّ الأولى كانت مركزه السياسي ، بينما كانت بخارى عاصمته الدينية ، إلا أنّ كلا المدينتين كانتا في مرتبة واحدة ، وتعدّان قصبتى الصُّغْد .

وقد تكتب الصُّغْد بالسّين مكان الصّاد ، أي السُّغْد ، وكتابتها بالصّاد أشهر وسكّان الصُّغْد يدعون أيضاً : الصُّغْد ، وهم في الأصل من الترك ، وكان لهم ذكر في فتح بلاد ما وراء النهر واستعادة فتحها ، وهم مقاتلون أشداء .

٢- بُخَارَى :

من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلّها ، يُعَبَّر إليها من (آمُل) الشط ، وبينها وبين جيحون يومان من هذا الوجه ، وكانت قاعدة ملك السّامانية .

وهي مدينة قديمة نزهة كثيرة البساتين والفواكه جيّدتها ، تحمل فاكهتها إلى (مَرَوْ) وبينهما اثنتا عشرة مرحلة ، وإلى خُوارِزْمَ وبينهما أكثر من خمسة وبينها وبين سمرقند سبعة أيام أو سبعة وثلاثون فرسخاً .

وبخارى مدينة جميلة جداً ، وليس في بلاد الاسلام بلد أجمل منها فلذا علوت قلعتها يقع بصرك على خضرة متصلة خضرتها بخضرة السماء فكأن السماء بها مكبة خضراء مكبوبة على بساط أخضر . وأرض قراها منعوتة بالاستواء كالمرآة ، وليس بما وراء النهر وخراسان بلدة أهلها أحسن قياماً على قراهم بالعمارة من أهل بخارى ولا أكثر عدداً على قدرها في المساحة .

واسم بخارى : (بُوْمِجَكْت) ، وهي مدينة على أرض مستوية ، وبنائها خشب مُشَبَّك ، ويحيط بهذا البناء من القصور والبساتين والمحال والطرق المبلطة والقرى المتصلة سور يكون اثني عشر فرسخاً في مثلها ، يجمع هذه القصور والأبنية والقرى والقصبة ، فلا ترى في خلال ذلك قفاراً ولا خراباً .

ومن دون هذا السور على تخاض القصبة وما يتصل بها من القصور والمساكن والمحال والبساتين التي تعدّ من القصبة (المدينة الأصلية) ويسكنها أهل القصبة شتاءً وصيفاً ، سور آخر نحو فرسخ في مثله ، ولها مدينة داخل هذا السور يحيط بها سور حصين ، ولها قلعة (قهندز) خارج المدينة متصل بها ، ومقداره مدينة صغيرة ، وفيه قلعة بها مسكن ولادة المدينة ، ولها ربض ، ومسجد الجامع على باب القلعة .

وخرائب بخارى القديمة التي كانت قبل الاسلام ، تقع على بضعة أميال من شمال غربي المدينة الاسلامية قرب ضفة النهر .

وكان في داخل السور الكبير حول بخارى الكبرى ، الذي يجمع المدينة الأصلية وضواحيها ، خمس مدن زاهرة منها : خُجَادَة ، وهي على فرسخ غرب الدّرب المنحدر من بخارى إلى (بِيكَنْد) على ثلاثة فراسخ من القصبة ، وكانت

مدينة كبيرة عليها حصن فيه الجامع ، حسنة ظريفة .
وتليها بلدة : (مَغْكَان) ، وكانت على خمسة فراسخ من بخارى وثلاثة
من الدّرب ، لصق الجانب الغربي من السور الكبير ، وكان لمغكان حصن
وربض حسن وجامع ظريف به ماء حار ، كثيرة القرى .
وكانت (بَوْمِجْكَث) مدينة صغيرة في شمال غربي بخارى على أربعة
فراسخ منها ونصف فرسخ عن الدّرب الذي إلى يسار الطريق الذاهب إلى
(طواويس) .

والطواويس (وتكتب معرفة في الغالب) أعظم المدن الخمس التي في
داخل السور الكبير ، وكانت مدينة جليلة ، لها سوق ، ومجمع عظيم ينتابه
الناس من أقطار أرض (خُرَّاسان) في وقت معلوم من السنة . ويرتفع منها من
ثياب القطن ما يحمل منه لكثرتة إلى العراق . وفيها قلعة ، وحولها سور ، ومسجد
جامعها في المدينة .

وآخر المدن الخمس الداخلية ، كانت (زَنْدَنَّة) ، وما تزال قائمة حتى
اليوم ، تبعد عن قصبة بخارى (المدينة الأصلية) أربعة فراسخ ، في شمال
المدينة ، لها حصن به الجامع ، وربضها عامر ، وإلى هذه المدينة تنسب الثياب
(الزندنجية) وهي ثياب مشهورة في الآفاق .

وعلى فرسخين من خارج السور الكبير وخمسة من بخارى ، في الطريق إلى
جيحون عند (فِرْبَرْ) مدينة (بِيْكَنْد) وما زالت قائمة ، فيها حصن بيباب
واحد ، ومحراب مزخرف فليس بما وراء نهر محراب مثله ولا أحسن زخرفة منه ،
ولها ربض فيه سوق ، ولم يكن لها قرى ، وفيها نحو ألف رباط ، ولها سور
حصين ومسجد جامع ، ويلي هذه المدينة مغارة رملية إلى حدّ جيحون .

٣- أ . سَمَرْقَنْد :

تقع على نحو مئة وخمسين ميلاً من شرق بخارى ، وتقوم على مسافة

قصيرة من ضفة نهر الصغد الجنوبيّة ، على نشز من الأرض .
وعلى المدينة سور حوله خندق عميق ، ولها قلعة مرتفعة عن الأرض ، وفي
أسفلها قرب النهر أرباض كبيرة ، تحفّ بها البساتين والأشجار ، وقليل من
دورها تخلو من بساتين ومن ماءٍ جارٍ ، وتكثر فيها أشجار السرو . وفي القلعة
دار الإمارة والحبس ، وكان عليها باب حديد من داخله باب حديد آخر .

أما المدينة نفسها ، فلها أربعة أبواب هي : باب الصّين في جهة المشرق ينزل
عنه بدرج كثيرة العدد مطلّ على نفس وادي الصغد . وباب بخارى في جهة
الشمال ، وباب النوبهار في جهة المغرب ، وهو على النشز أيضاً ، والباب الكبير
ويعرف بباب (كيش) في جهة الجنوب .

ومساحة سمرقند ألفان وخمسمائة خريب (أي ٧٥٠ أكرا) ، فيها الأسواق
والحمامات .

ولهذه المدينة مساكن كثيرة ، وماء جارٍ يدخل إليها في نهر من رصاص ،
وهو نهر قد بنيت له مستنارة عالية من حجارة يجري عليها الماء حتى يدخل باب
كيش ، ووجه هذا النهر رصاص كله ، ودورها كلها قد بنيت بالخشب والطين
والمدينة مكتظة بالسكان .

وسوق سمرقند الكبير يعرف برأس الطاق ، وكان سوقاً رجباً ، وفي أسفل
القلعة المسجد الجامع ودار الإمارة .

وأرباض (ضواحي) سمرقند تمتدّ بامتداد ضفة النهر ، في بسيط من الأرض ،
وعليها سور نصف دائري طونه فرسخان ، يحيطها من ناحية البر ، ويحيطها
النهر من ناحية الشمال إحاطة القوس بالوتر ، فيتمّ بذلك خطّ دفاعها ، وللأرباض
ثمانية أبواب ، ومجمع أسواقها رأس الطاق في المدينة .

والبلد كله : طرقه وسككه وأسواقه ، إلّا القليل ، مفروش بالحجارة .
وكانت أسواقها زاخرة بالسلع الواردة إليها من جميع الأنحاء ، فقد كانت

سمرقند مركزاً تجارياً عظيماً لبلاد ما وراء النهر . ومن جملة ما اشتهرت به الورق السمرقندي ، فهو يحمل منها إلى سائر بلاد المشرق ، وكانت صناعته قد دخلت إليها من الصين .

وهواء سمرقند رطب ، وفي جنوبها جبل صغير يدعى : (كُوْهَك) يمتد طرفه إلى مرحلة يوم عن المدينة ، وهو مقدار نصف ميل في الطول ، ومنه أحجار المدينة والطين المستعمل في الأواني والزجاج والنّورة وغير ذلك .

وليس في الأرض مدينة أنزه ولا أطيب ولا أحسن مستشرفاً من سمرقند ، كأنها السماء للخضرة ، وقصورها الكواكب للاشراف ، ونهرها المجرة للاعتراض ، وسورها الشمس للطباق .

وقد قال أحمد بن واضح في صفة سمرقند :

علّت سمرقند أن يُقال لها : زين خُراسان جنة الكُور
أليس أبراجها معلقة بحيث لا تستبين للنظر
ودون أبراجها خنادقها عميقة ما ترام من ثغر
كانها وهي وسط حائطها محفوفة بالظلال والشجر
بدرٌ وأنهارها المجرة و آطام مثل الكواكب الزهر

وقال البُستي :

لناس في أخراهمُ جنة وجنة الدنيا سمرقندُ
يا مَنْ يُسوى أرضَ بلخ بها هل يستوى الحنظل والقندُ

ب : رساتيق سمرقند : في جنوب نهر الصغد .

أولاً : بَنَّاكِتْ : على تسعة فراسخ من سمرقند ومثل ذلك من جنوب نهر الصغد ، وما زالت قائمة حتى اليوم باسم : (بَنَجَكَنْد) ، حولها رستاق كثير الثمار خصب ، مشجر باللوز والجوز ، وتمتد حقول القمح على الأنهار ، وهي مدينة كبيرة .

ثانياً . وَرَغَسَر : قرية كبيرة من قرى سمرقند ، تقع بينها وبين مدينة بناكت ، ورستاقها خصب تسقيه أنهار مصدرها نهر الصغد ، وفيها كروم وضياع ، عندها مقاسيم نهر الصغد وغيره .

ثالثاً . ما يَمْرُغ : قرية من قرى سمرقند على فرسخ من جنوبها ، وليس في القرى أشد اشتباكاً في الشجر منها .

رابعاً . دَرْغَم : رستاق في جنوب سمرقند ، وهو أزكى الرساتيق وأكثرهن مراعي ومياهاً ، ويفيض من أعنابه ما يحمل إلى غيره من الرساتيق .

خامساً . أَبْغَر : جنوب سمرقند قريب من (دَرْغَم) ، وهو رستاق كثير القرى ، أهله أصحاب مواشٍ ، قطره نحو من فرسخين .

ج : رساتيق سمرقند : في شمال نهر الصغد .

أولاً . يَارْكَث : تقع في تخوم (أَشْرُوسَنَة) ثم حوّلت إلى سمرقند ، وهي على أربعة فراسخ أو مرحلة يوم من سمرقند إلى شمالها الشرقي ، وهي قرية من رستاق (بُوْزْ مَاجِن) أو (بُوْزْ مَاجِيْز) يوم ردى

ثانياً . كُشْفَغَن : قرية ذات شأن عرفت في الأزمنة الأخيرة برأس القنطرة .

ثالثاً . بُرْنَمَد (أو فورنمد) ق رستاق يتاخم أَشْرُوسَنَة ، تكثف فيه المراعي والمواشي .

رابعاً . يَارْكَث : رستاق يتاخم أَشْرُوسَنَة ، تكثف فيه المراعي والأغنام ، وهو أعلى الرساتيق الشمالية .

٤ - إَشْتِيْخَن :

تقع على سبعة فراسخ من سمرقند ، ولها رساتيق وقرى ، وهي على غاية النزهة وكثرة البساتين والقرى والخصب والأشجار والثمار والزروع ، لها قلعة وأرباض وأنهار تأخذ من نهر الصغد ، وهي مشهورة بكثرة زروعها ، ويطلق عليها : قلب الصغد لخصبها .

٥- الكَشَانِيَّة :

بلدة بنواحي سمرقند شمالي وادي الصُّغد ، بينها وبين سمرقند اثنا عشر فرسخاً ، وهي قلب مدن الصُّغد ، وأهلها أيسر من جميع مدن الصُّغد .

٦- كَبُودَ نَجَكْت :

بلد بينه وبين سمرقند فرسخان ، وهورستاق ومدينة لنجوغكت .

٧- وَذَار :

عامة أرضها جبلية ، تقع على أربع فراسخ من سمرقند ، فيها منارة وجامع وحصن حسن ، وهي كبيرة كثيرة البساتين والزروع ، في سهل وجبل ، وفيها تعمل الثياب الودارية القطنية .

٨- المرزبان :

رستاق يتصل برستاق وذار ، والمرزبان هو : المرزبان بن تركسفي ، من دهاقين الصُّغد ، كان يمتلك هذا الرستاق ، فسمي باسمه .

٩- كَرْمِينِيَّة :

مدينة تقع على مرحلة بريد شرق الطواويس في ظاهر السور الكبير ، وهي أكبر من الطواويس وأعمر وأكثر عدداً ، ولها قرى كثيرة ، وأرضها خصبة وأنهارها وافرة ، تأخذ ماءها من نهر الصُّغد . ومن قراها خُدِ يَمْنَكَن وتختص بأصحاب الحديد ، وبها جامع ومنبر وهي بلدة بين سمرقند وبخارى ، بينها وبين بخارى ثمانية عشر فرسخاً .

١٠- دَبُوسِيَّة :

تقع على مرحلة من شرقي كرمينية ، ولا قرى كبيرة فيها ولا أعمال لها ، وهي على نهر يأخذ من ضفة الصُّغد الجنوبية .

١١- كِشْ :

مدينة لها قلعة وحصن وربض ، ومدينة أخرى متصلة بالربض ، والمدينة الداخلة مع القلعة خراب ، والمدينة الخارجة عمار . وهي مدينة نحو ثلاثة فراسخ في مثلها ، حصينة ، تدرك فيها الفواكه أسرع مما تدرك بسائر بلاد ما وراء النهر ، غير أنها وبثة على ما يكون عليه بلاد الغور . وفي المدينة والربض في عامة دورها مياه جارية وبساتين ، وطول عمارتها مسيرة أربعة أيام في مثلها ، بناؤها من طين وخشب . وللمدينة الداخلة أربعة أبواب هي : باب الحديد ، وباب عبيدالله ، وباب القصّابين ، وباب المدينة الداخلة . وللمدينة الخارجة بابان ، أحدهما باب (بركنان) ، وبركنان قرية ينسب إليها الباب ، وباب المدينة الخارجة .

١٢- نَسَفْ نَخْشَب :

تقع على مئة ميل تقريباً في منحدر نهر (كُشْكَة = نهر القصّارين) أسفل (كِشْ) من ناحيتها الغربية ، وتعرف هذه المدينة باسم : (فُرْشَى) . لها قلعة وربض عامر في ظاهر المدينة وله سور وأربعة أبواب هي : باب النجارية ، وباب سمرقند ، وباب كِشْ ، وباب غوبدين .

وتقوم (نَسَفْ) على النهر المؤلف من مجتمع فضلات أنهار عديدة تأتي من رساتيق كِشْ ، وعلى ضفة دار الإمارة عند الموضع المعروف برأس القنطرة ، وجبها عند دار الإمارة ، والمسجد الجامع قرب باب غوبدين . وأسواقها في الربض مجتمعة ما بين دار الإمارة ومسجد الجامع والمصلى بناحية باب البخارية داخل الباب ، وأسواقها حسنة ، ومزارعها خصبة وبساتينها كثيرة ، إلا أنها ليست لها قرى كثيرة ولا نواحٍ مثما كان لكِشْ .

١٣- رَبَيْخَنْ : بليدة من صُغد سمرقند .

١٤- أ . أَشْرُوسَنَة :

اعتبرها ياقوت في موضع من مدن سمرقند ومن اقليم سمرقند (١) ، واعتبرها

(١) ياقوت (١٣٣/٥)

في موضع آخر اقليمياً^(٢) مستقلاً ، وقد أخذت برأيه الأول ، لأنها قريبة من سمرقند وفي منطقتها .

ومنطقة أشروسنة تقع في شرق سمرقند ، بين الرساتيق الممتدة في محاذاة يمين نهر الصغد والرساتيق التي في يسار نهر جيحون ، ولا يدخل هذان النهران ضمن منطقة أشروسنة .

وأرض المنطقة سهول وجبال ، ولا تتخللها أنهار كبيرة .

وأشروسنة مدينة بناؤها طين وخشب ، ولها مدينة داخلية ، عليها سور بذاتها ، وسور على ربضها ، ولها سور آخر من وراء ذلك . وللمدينة الداخلية بابان : أحدهما يدعى باب الأعلى ، والآخر باب المدينة . وداخل المدينة القلعة والمسجد الجامع والأسواق ، ويحزي بالمدينة الداخلية نهر كبير عليه رحي ، ويشتمل سورها المحيط بالربض ، أي المدينة الخارجة ، على الدور والبساتين ، ويبلغ محيطه نحواً من ثلاثة فراسخ ، وكان لهذا السور أربعة أبواب .

وكان لهذه المدينة ستة أنهار صغيرة تسقى أرضها ، وجميع هذه الأنهار من منبع واحد وعين واحدة ، ويكون مقدار ما يدير عشرة أرحية ، ومن المدينة إلى منبع الماء اقل من نصف فرسخ ، وكانت المدينة مشهورة بكثرة التزه والبساتين .

ب : المدن التابعة لأشروسنة :

أولاً . زامين : بليدة من نواحي سمرقند ، وهي من اعمال أشروسنة ، وهي ثاني أكبر مدن أشروسنة بعد (بُنْجِيَكْت) ، تقع في طريق فرغانة إلى الصغد ، ولها اسم آخر وهو سبده ، ولها مياه جارية وبساتين وكروم ، بينها وبين ساباط فرسخان ، وبينها وبين أشروسنة سبعة فراسخ . ولها جامع وأسواق حسنة ، وليس عليها سور .

ثانياً . ساباط : مدينة لا تزال قائمة ، تقع قرب أشروسنة على عشرة فراسخ من خُجَنْد وعلى عشرين فرسخاً من سمرقند ، عامرة ، بها عين ماؤها جارٍ ، تحديق بها البساتين .

ثالثاً . دِيَزَك : من مدن أشروسنة ، بها مرابط أهل سمرقند ودور ورباطات للسُّبُل ، ولها نهر جارٍ ، وتقع في شمال غرب زامين .

رابعاً . خَرَقَانة : في جنوب ديزك ، في الطريق من سمرقند .

خامساً . خَاوِس : يليدة في منطقة أشروسنة ، وربما عوض بدل السنين صائد : خاوص ، تقع في الطريق الذهاب شمالاً من زامين إلى الشَّاش .

سادساً . بُنْجِيَكْت : أكبر مدينة بأشروسنة ، وهي التي يسكنها ولاية أشروسنة ، ولها خندق .



حاصلات اقليم الصغد

مركز تحقيق كاپيتور علوم رى

١- بخارى :

يصدر من بخارى بطيخ فائق يحمل إلى الآفاق ، وتصدر منها البُسُط والمصايات والثياب الرخوة وثياب الفرش التي كانت تفرش في حجرات الضيوف . وكانت تنسج في محابِسها حُرُم الخيل ، وتدبغ فيها جلود الضأن ، ويصدر منها الشَّحم ودهن الرأس إلى الآفاق .

٢- سمرقند :

أكثر ما اشتهرت به الكاغد ، ويعمل فيها ثياب حمر وديباج وقرز . وكان الصفاوون يصنعون القدور العظيمة من النحاس ، وغيرهم يعملون الركب والسروج وأحزمة السروج والسيور ، وكذلك أصناف القماقم والقناني . ويحمل من رساتيقها البندق والجوز .

٣- كَرْمِينِيَّة :

تصدّر المناديل .

٤- الدبوسِيَّة :

تصدّر الثياب والديباج .

٥- رَبَيْخَن :

تصدّر اللبود الحمر والمصليات والطاسات والحلبود وحبال القنب والكبريت وأزُر النساء .

٦- دِيَزَك :

تصدّر اللبود والأقيية والجباد .

إقليم خوارزم

خَوَارِزْم ، ليس اسماً لمدينة ، بل هو اسم للإقليم ، وهو إقليم منقطع عن (خُرَّاسَان) وعن ما وراء النهر ، ويحيط به المفاوز من كلِّ جانب . يحدّه من الغرب بعض بلاد الترك ، ومن الجنوب خُرَّاسَان ، ومن الشرق بلاد ما وراء النهر ، ومن الشمال بلاد الترك أيضاً .

وإقليم خوارزم في آخر نهر جيحون ، وليس بعده على النهر عمارة إلى أن يصب جيحون في بحيرة خوارزم .

ويقع إقليم خوارزم على جانبي نهر جيحون ، فهو أقرب اتصالاً ببلاد ما وراء النهر ، لذلك اعتبرناه هنا إقليماً من أقاليم بلاد ما وراء النهر .

كما أنّ عمليات الفتح الاسلامي في إقليم خوارزم كانت متّصلة اتصالاً وثيقاً بعمليات الفتح الاسلامي في بلاد ما وراء النهر ، فجعلنا فتح ما وراء النهر وخوارزم في دراسة متّصلة واحدة ، حرصاً على الوحدة الموضوعيّة في سير عمليات الفتح .

مدن خوارزم

١- كاث :

معنى كاث بلغة أهل خوارزم الحائط في الصحراء من غير أن يحيط به شيء ، وهي بلدة كبيرة في خوارزم ، تقع شرقي جيحون ، وجميع نواحي خوارزم تقع غربي جيحون بينها وبين (كركابنج) مدينة خوارزم عشرون فرسخاً .

ومدينة (كاث) لا تزال قائمة ، إلا أن كاث القديمة كانت تقوم على بضعة أميال من جنوب شرقي كاث الحديثة . وفي أوائل المئة الرابعة الهجرية (العاشرة الميلادية) خرب بعضها طغيان نهر جيحون ، فقد كان عرض هذا النهر عندها نحواً من فرسخين ، وكانت المدينة تبعد قليلاً عن يمين النهر ، تقوم على نهر يقال له (جردور) يشق البلد ، وكان السوق وطوله نحو ميل على جانبي هذا النهر . وكان لكاث في القديم قلعة فخر بها النهر وأتى عليها ، وكان الجامع والحبس على ظهر القلعة وكذلك قصر السلطان الملقب بخوارزم شاه ، وقد أتى فيضان النهر على هذه المعالم جميعها ، فلم يبق منها رسماً ولا طلاً . .

وابتني الناس (كاث) مدينة جديدة إلى الشرق من الأولى ، على مسافة من جيحون ، تقيها مخاطر طغيانه .

وكانت المدينة كاث القديمة واسعة كبيرة كنيسابور في خراسان ، ولها أنهار كثيرة تشق البلد وشوارعها ، وكانت وسخة جداً ، وأهلها أغنياء وأسواقها عامرة بالخيرات ، وبتأوها حذاق مهرة ، فكانت (كاث) من أفخم المدن مظهراً .

ولكنها في ختام المئة الرابعة الهجرية (العاشرة الميلادية) بدأ نجمها بالافول ومكانتها بالخفوت ، ففقدت مركزها كأهم قصبة في خوارزم ، وسر أfolها ما كان ينتابها بين آن وآخر من طغيان جيحون عليها ، فكان يخرب منها أحياء مختلفة في كل مرة ، حتى أصبحت بلدة ليس لها شأن كبير .

٢- كُرْكَانَج :

قصبة خوارزم الثانية التي أصبحت بعد خراب (كاث) أولى مدن الإقليم ، فكانت (كركانج) التي سماها العرب : (الجُرْ جَانِيَّة) ، ثم عرفت بـ (أُرْ كَنج) .

وفي أخبار الفتح الإسلامي ، أن العرب في سنة ثلاث وتسعين الهجرية (٧١٢ م) لما غزوا خوارزم بقيادة قُتَيْبَةَ بن مُسْلِم ، كان يقال لقصبة الإقليم التي فتحوها : (الفيل) ، ثم صار اسمها : (المنصورة) ، وكانت في شرقي جيحون ، فغلب عليها جيحون وخرّبها . وكانت كركانج هذه مدينة صغيرة في مقابلة المنصورة من الجانب الغربي لجيحون ، فانتقل أهل المنصورة إليها وابتنوا بها المساكن ونزلوها ، فخربت المنصورة جملة حتى لم يبق لها أثر وعظمت كركانج .

وكركانج على غلوة من غرب نهر كبير تجري فيه السفن يأخذ من جيحون ويجري محاذياً له ، وقد احتالوا في ردّ خطر الفيضان باقامة السدود من الخشب والحطب . وللبلدة أربعة أبواب ، وهي كل يوم في زيادة .

وبانحطاط كاث أصبحت كركانج أولى مدن إقليم خوارزم ، ومن ثم قصبتها الوحيدة .

وفي سنة ست عشرة وستمائة الهجرية (١٢١٩) م ، زار ياقوت الحموي هذه المدينة فقال فيها : « لا أعلم أني رأيت أعظم منها مدينة ولا أكثر أموالاً وأحسن أحوالاً » ، فاستحال ذلك كله بتخريب التتر إياها سنة سبع عشرة وستمائة الهجرية (١٢٢٠ م) إلى خراب ودمار . ولما سارت عنها جحافل المغول قال ياقوت فيها : « لم يبق في ما بلغني إلاّ معالمها ، وقتلوا جميع من كان فيها » .

ولكن قصبة خوارزم نهضت من كبوتها بعد بضع سنين ، فابتنى الناس

بلداً قريباً منها ، وكان ذلك في سنة ثمان وعشرين وستمائة الهجرية (١٢٣١م) على ما جاء في تاريخ ابن الأثير المعاصر لتلك الأحداث ، فقال : « وعمرُوا مدينة تقارب مدينة (خوارزم) ، عظيمة » .

وكان قبل الغزو المغولي لهذه الأرجاء مدينة تعرف بـ (كركانج الصغرى) على نحو ثلاثة فراسخ من القصبة (كركانسج الكبرى) ، ويبدو أن كركانسج الجديدة قد اختير لها موضع كركانج الصغيرة .

وذكر القزويني ، أن أهل كركانج الجديدة « أهل الصناعات الدقيقة كالحداد والنجار وغيرهما ، فانهم يبالغون في التدقيق في صناعاتهم ، والسكاكون يعملون الآلات من العاج والأبنوس ، لا يعمل في غير خوارزم إلا بقرية يقال لها (طَرَق) من أعمال أصفهان ، ونساؤها يعملن بالإبرة صناعات مليحة كالخياطة والتطريز والأعمال الدقيقة » .

وما كادت المئة الثامنة الهجرية (الرابعة عشرة الميلادية) تأذن بالختام ، إلا واجتاح تيمور المدينة الجديدة وتركها قاعاً صفصفاً بعد حصار دام ثلاثة أشهر . إلا أن تيمورلنك أمر بتجديد بنائها ، فأكمل البناء سنة تسعين وسبعماية الهجرية (١٣٨٨ م) .

٣- خِيَوَة :

هي : (خِيَوَق) القديمة ، وأهل خوارزم يسمونها : (خِيَوَة) ، وهي التي أخذت في عهد الرؤساء الأربك بعد زمن تيمورلنك تحجب بالتدريج مدينة (كركانج) وصارت قصبة خوارزم ، وشمل اسمها مع الأيام الإقليم كله . ونحوه تقع على فم المفازة ، رحبة ، على شعبة من النهر (تأخذ من يسار جيحون) ، بها جامع عامر ، أهلها شافعية دون جميع بلاد خوارزم فانهم حنيفة ، أمر تيمور بتجديد أسوارها . وهي اليوم أشهر مدن خوارزم .

٤- هَزَارْ أَسْب :

معناها بالفارسية : ألف فرس ، وهي في سمت (خِيَوَه) ، إلا أنها أقرب منها إلى ضفة جيحون اليسرى ، وهي قلعة حصينة ذات شأن ، حافظت على اسمها دون ما تغيير منذ الفتح الإسلامي حتى اليوم . وكانت في المئة الرابعة الهجرية (العاشرة الميلادية) في نحو من (خِيَوَاه اتساعاً ، لها أبواب خشب وخندق ، قلعتها حصينة ومدينتها جيدة ، فيها أسواق كثيرة وبزازون وأهل ثروة ، وكان الماء محيطاً بها كالجزيرة ، وليس إليها إلا طريق واحد على ممر قد صنع ، يقبل إليها من نواحي كركانج قاطعاً السهلة الممتدة من ضفاف جيحون .

٥- جِكْرَبَنْد :

مدينة تحف بها الانهار والأشجار ، وفيها جامع حسن في وسط سوقها ، تقع في جنوبي (الطاهريّة) بمرحاة واحدة .

٦- الطَاهِرِيّة :

ناحية على جيحون في أعلاه بعد (آمُل) ، وهي أول عمل خوارزم .

مرکز تحقیقات کتب و علوم اسلامی

٧- دَرْغَان :

مدينة على شاطئ جيحون ، وهي أول حدود خوارزم من ناحية أعلى جيحون دون (آمُل) وعلى طريق (مرو) أيضاً ، وهي مدينة على جُرْف عال ، وذلك على سنّ جبل بناحية البر ، وبينها وبين جيحون مزارع وبساتين لأهلها ، وبينها وبين نهر جيحون نحو ميلين ، تقارب (الجُرْجَانِيّة) كبراً ، لها جامع حسن ليس بالناحية مثله ، فيه جواهر رفيعة وتزاويق حسنة .

والمدينة تمتدّ فرسخين على الشط ، حولها الكروم ، وهي أول مدينة عظيمة في خوارزم تقوم على الطريق الآتي من (مرو) .

٨- أَرْتَخْشْمِيْتَن :

تقع على مرحلة من (خيوه) ، وهي مدينة كبيرة ذات أسواق عامرة ونعمة

وافرة ، وهي في قدر (نصيبين) إلا أنها أعمر وأهل منها ، بينها وبين الجرجانية ثلاثة أيام .

ولا أثر لها اليوم ، والظاهر أن المغول قد خربوها .

٩- زَمْخَر :

تقع بين (نوزكات) وهي بليدة قرب الجرجانية وبين الجرجانية ، وكان في المدينة جُسور عند أبوابها ترفع ، وعليها حصن وخندق ومجس وأبواب محدودة ، والجامع ظريف ، وقد اشتهرت لأنّ الزمخشري صاحب التفسير المعروف قد ولد فيها سنة سبع وستين وأربعمائة الهجرية (١٠٧٥ م) ، ومات سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة (١١٤٤ م) ، وهي على أربعة أميال من (كركانج) .

حاصلات إقليم خوارزم

أهم تجارات خوارزم ، الطعام والحبوب والفواكه ، وهي بلاد خصبة ، ويرتفع منها قطن كثير . ويصدر الإقليم صوف الأغنام ، التي ترعى في مناقعه قرب أراي في قطعان كبيرة من الماشية .

وكان يحمل منها أصناف كثيرة من التبن واللبن .

وفي أسواق الجرجانية أشهر أنواع الفراء وأغلاها التي تجلب إليها من بلاد البلغار على الفولجا .

ومما اشتملت عليه : فراء الدلق والسمور والثعالب ونوعين من القندس ، وكذلك فراء السنجاب والفنك وابن عرس ، وتعمل منها الحلل الطويلة والقصيرة . وتحمل من خوارزم جلود الأرناب والمعزى المدبوغة ، وكذلك جلود الحمر الوحشية .

ومن غلات خوارزم وصناعاتها : الشمع ، ولحاء الشجر ، والحوار الأبيض

المسمى (التوز) ، وهو يتخذ غلافاً للدروع . وغراء السمك ، وأسنان السمك والعنبر ، والخلنج ، والعسل ، والبندق ، والسيوف ، والدروع ، والقسي . وعرفت خوارزم أيضاً بالبزاة .

ويرتفع منها أيضاً ، العنب ، والعناب ، والسمسم ، بكميات كثيرة . ويعمل فيها البسط وثياب اللحف والديباج المنسوج من القطن والحرير ، وتحمل منها الأزر والمقانع من القطن والحرير وغيرها من الثياب الملونة . والحدارون يعملون فيها الاقفال الجيدة . وتنحت فيها السفن من جلدوع الأشجار ، وتتخذ للملاحة في الأنهار الصغيرة الكثيرة .

على أن أهم تجارات خوارزم في المئة الرابعة الهجرية (العاشرة الميلادية) كانت جلب الرقيق ، فقد كانوا يشترون أولاد وبنات الأتراك من بدو تلك البراري ، وبعد أن يعلموهم ويؤدبوهم ، يباعون في أسواق النخاسة .

وكان قسم من هؤلاء يعملون في الجيش ، وبالتدريج يتولون أكبر مناصب الدولة القيادية والسياسية والإدارية .

اقليم الصغانيان وبذخشان والختل

نهر (بذخشان) الذي يقال له نهر الضرعام ، يصب في جيحون فوق معبر آرهن ، وتحت هذا المعبر يستقبل نهر جيحون رافده الأيمن الكبير (وخشاب) ، وهو نهر (الوخش) . ونهر الوخش يفصل بلاد (الختل) وبلاد (الوخش) اللتين في شرقيه عن ناحيتي (القباذيان) و (الصغانيان) اللتين في غريبه .

ونهر وخشاب ، هو النهر المعروف اليوم بسرخاب ، أي النهر الأحمر . وفي الموضع الذي يتجه فيه نهر جيحون إلى الغرب ، بعد انعطافه حول (بذخشان) من ثلاثة جوانب ، يستقبل في يساره ، أي في ضفته الجنوبية ،

نهرى (الطايقان) و (قندز) الآتين من (طَخَارِسْتَان) ، وهذان النهران هما اللذان سماهما ابن رسته بنهر (ختلاب) ونهر (وتراب) ، ويلتقي نهرا القَبَاذِيَانِ والصغانيان الذي يمر بترمز بجيخون في ضفته الشمالية أي اليمنى ، ومخرج هذين النهرين في جبال (البُتَم) ، وتفصل هذه الجبال في الشمال مياه جيخون عن مياه زرفشان التي في الصغد .

تلك هي الأنهار التي تروى مناطق الصغانيان وبذخشان والختل ، وتحدد حدودها بصورة عامة .

أما مواقع هذه المناطق ووصفها العام ، فيأتي وشيكاً .

المدن

١- بلاد بَذَخْشَان :

تقع في شرقي طَخَارِسْتَان ، يحدق بها من ثلاثة جوانب المنعطف العظيم في نهر جيخون الأعلى ، وهي متاخمة لبلاد الترك ، بينها وبين (بَلْخ) ثلاث عشرة مرحلة ، ومثلها بينها وبين (تَرِيمِذ) ، لها رستاق كبير عامر جداً ، وبها كروم وأنهار ، وقصبتها باسمها ، ومن المحتمل أن يكون موقعها في الموقع الذي تقوم به اليوم مدينة فيض آباد (فيز آباد) قصبة البلاد الحالية .

٢- الخُتَل :

كان هذا الاسم يطلق دون قيد على جميع بلاد الكفر مما يلي شرق خُرَاسَان وشمالها ، وكانت الختل تشتمل على بلاد (الوَخْش) في قسمها الشمالي ، حيث مخرج نهر (وَخْشَاب) .

والوخش كلمة عجمية ومأخذها من العربية ، وهو أن الوخش رُذالة الشيء ، لا يُشْتَى ولا يُجْمَع ، يقال : امرأة وخش ، ورجل وخش ، وقوم وخش .
ووخش : بلدة من نواحي (بلخ) من (خَتَلَان) ، وختلان : بلاد مجتمعة وراء النهر قرب سمرقند .

و (وَخْش) أيضاً : كورة متصلة بختل حتى تجعللا كورة واحدة ، وهي على نهر جيحون .

وكانت قصبة الختل مدينة (هلبك) .

٣- الصغانيان :

تقع غربي نهر الوخش ، يحدّها من جنوبها نهر جيحون ، وكان القسم الشرقي من هذه الناحية يعرف بـ (القبّاذيان) نسبة إلى مدينة بهذا الاسم .
وقبّاذيان هي أصغر من (ترمذ) بكثير ، ونهر قبّاذيان الذي تقوم عليه المدينة في غاية الطول .

وفي أعالي نهر القبّاذيان وغرب قنطرة الحجارة تقع (واشجیرد) ، وهي نحو (ترمذ) في الكبر .

وعلى يسير من جنوبي (واشجیرد) تقع (شوّمّان) ، وهي من أمهات المدن ، عامرة طيبة ، من الثغور الإسلامية ، وفي أهلها قوّة وامتناع عن السلطان وهي اصغر من (ترمذ)

ومدينة الصغانيان هي مدينة (سر آسيا) الحديثة على ما يحتمل تقع في أعالي نهر الصغانيان ، أكبر من (ترمذ) ، إلا أنّ (ترمذ) أكثر أهلاً ومالا ، لها قلعة كانت تقوم على جانبي النهر ، وجامعها وسط السوق ، وهي من معادن أجناس الطيور وموضع الصيد ، حولها عدد كبير جداً من القرى .

وكانت مدينة (باسنّد) الصغيرة تبعد مرحلتين عن مدينة (الصغانيان) تقوم في الجبال المشرفة على النهر ، وهي رحبة كثيرة البساتين .

وعلى نهر الصغانيان أسفل من (باسنّد) في نحو من نصف الطريق بين الصغانيان وترمذ ، كانت (دارزنج) : فيها رباط جليل ، وعامة أهلها صوّافون يعملون الأكسية ، والجامع وسط الأسواق .

وفي جنوب (دار رنج) على نهر الصغانيان تقع مدينة (صرمنجان) ،
فيها رباط جليل أيضاً .

على أن أجل مدن الصغانيان ، هي مدينة (ترمذ) التي تقع في
شمالي مضيق نهر جيحون وهو آت من (بلخ) بالقرب من ملتقى نهر الصغانيان
به ، وهي مدينة مشهورة من أمهات المدن ، تقع على نهر جيحون من جانبه
الشرقي ، لها قلعة فيها دار الامارة ، والربض حول المدينة التي كان عليها سور
داخل وعلى الربض سور ثان ، ومسجدها الجامع من اللبن في أسواق المدينة .
وكانت أسواقها بالآجر ، ومعظم سككها مفروشة بالآجر .

وكانت ترمذ فرضة التجارات المحمولة من الشمال إلى خراسان .

وللمدينة ثلاثة أبواب حصينة منيعة .

وفي يمين نهر جيحون ، على بعد يسير من أسفل (ترمذ) ، تقع مدينة
(نوبدة) ، وفيها يعبر النهر من أراد (سمرقند) من (بلخ) ، وفيها مسجد
جامع في وسط البلد ، وهي آخر ما على نهر جيحون من مدن الصغانيان .

وعلى مرحلة من شمال غربي (ترمذ) في طريق (كيش) و (نخشب)
في الصغد مدينة (هاشم جرد) التي كان لها شأن في المئة الرابعة الهجرية
(العاشرة الميلادية) .

وعلى مرحلتين من شمالها ، كان الطريق يجتاز (باب الحديد) المشهور ،
وهو مضيق جبلي فيه مدينة بهذا الاسم ، يقال لها بالفارسية (دراهنين) .

وهذا المضيق يبدو كأنه قدته يد الانسان ، وتسمى الجبال على جانبيه إلى
علو شاهق ، والدرب فيه ممهد عميق جداً .

وفي وسط الدرب قرية يرتفع الجبل وراءها إلى علو عظيم ، ويقال لهذا
الدرب : أبواب الحديد .

ولا ترى في كل هذه الجبال درباً آخر غيره ، فهو يحمي (سمرقند) من ناحية الهند .

وتدرّ أبواب الحديد هذه دخلاً لمن يسيطر عليها ، لأن كل التجار القادمين من الهند يمرون بهذا الدرب ، ولن يسيطر عليه أن يتقاضى أجراً من المارين .

حاصلات إقليم الصغانيان وبدة خشان والختل

١- بدة خشان :

كانت بذخشان تشتهر منذ القديم بأحجارها الكريمة ، لا سيما معدن الباخش المقاوم للياقوت ، وبها معدن اللازورد ، والباور وحجر البازهر ، وحجر الفتيلة (الأسبست) وهو لا تحرقه النار ، وضرب من الحجر الفسفوري الذي يجعل في البيت المظلم فيضيء .

٢- الختل :

في غاية الخصب ، وفيها الخيول ودواب الحمل ، ويكثر فيها القمح والفواكه .

٣- الصغانيان :

أ . قباذيان : يرتفع منها القوة ، وهو عبارة عن جذور النبات المسمى : (قوة) أو (روييا) ، تستخرج منها مادة للصبغ بالأحمر ، إلى الهند تصدر .

ب . واشجيرد : يرتفع منها الزعفران ويحمل إلى سائر الآفاق .

ج . شوّمان : ينبت في أراضيها الزعفران ، ويصدّر إلى الخارج .

إقليم قرغانة

الموقع :

هو إقليم من أقاليم نهر سيحون الذي يخرج من بلد الترك ، والذي يعظم من أنهار تجتمع إليه ، تأتي من الجبال ، ويدخل سيحون وادي قرغانة العظيم

من طرفه الشرقيّ في حدود (أَوْزْ كَنْد) . ويمتدّ إقليم فرغانة نحواً من مئتي ميل ونيف إلى شمال وجنوب مجراه الأعلى ، فإذا ما جرى نهر سيحون شرقاً استقبل روافد عديدة وهو يتخلّل فرغانة . فإذا جاوز (أَخْسِيَكْت) القصبة وصل سيحون إلى (خُجَنْدَة) ، وعندها يبارح نهائياً إقليم فرغانة .

المدن

١- فرغانة :

مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تُرْكِسْتان ، كثيرة الخير واسعة الرستاق ، بينها وبين سمرقند خمسون فرسخاً . وبفرغانة في الجبال الممتدة بين بلاد الترك ، وفيها من الأعناب والجوز والتفاح وسائر الفواكه والورد والبنفسج وأنواع الرياحين مباح ذلك كله لا مال لك له ولا مانع يمنع الآخذ منه ، وكذلك في جبالها وجبال كثيرة بما وراء النهر الفُسْتَق المباح ما ليس ببلد غيره .

وقال الاصطخري : فرغانة اسم الإقليم ، وهو عريض موضوع على سعة مدنها وقراها ، وقصبتها (أَخْسِيَكْت) ، وليس بما وراء النهر أكثر من قرى فرغانة ، وربما بلغ حدّ القرية مرحلةً لكثرة أهلها وانتشار مواشيهم وزروعهم .

٢- أَخْسِيَكْت :

قصة إقليم فرغانة ، تقوم على ضفة نهر سيحون الشمالية ، وهي مدينة واسعة ، لها قلعة ، وفيها الجامع ودار الإمارة والحبس ، وللمدينة ربض واسع . والمدينة الداخلة ميل في مثله ، وفيها مياه جارية وحياض كثيرة . وفي المدينة وفي ربضها أسواق ، وعلى ربضها سور .

وللمدينة الداخلة خمسة أبواب ، وكانت البساتين تحفّ بالمدينة بمقدار فرسخين مما يلي أبواب ربضها .

وخرائب هذه المدينة شاخصة حتى اليوم .

٣- أُنْدُكَان :

أصبحت هذه المدينة قصبة الإقليم بعد (أَخْسِيكَث) ، ولا تفاصيل عنها

٤- قُبَاء :

مدينة كبيرة من إقليم فرغانة قرب الشَّاش ، وينبغي أن تكون قريبة من (أُنْدُكَان) ، تقارب (أَخْسِيكَث) في الكبر ، وهي من أنزه المدن ، ولها قلعة مكيئة فيها الجامع في وسط ميدانها ، ولها ربض فيه دار الإمارة والحبس ، وكان على الربض سور محيط به ، وفيها أسواق كثيرة عامرة .

٥- أُوش :

تقع شرقي قُبَاء ، وهي مدينة لها قاعة فيها دار الإمارة والحبس ، وحول المدينة ربض ، وعلى الربض سور ، وهي ملاصقة للجبل ، ولها ثلاثة أبواب ، وجامعها في رحبة واسعة وسط الأسواق .
والمدينة كثيرة الأنهار التي تسقى أراضيها ، وبالقرب منها جبل عليه مرصد لمراقبة تحركات الترك .

مركز تحقيق كميوتير علوم راسدي

٦- أُوْزْكَنْد :

آخر مدن فرغانة شرقاً ، مساحتها نحو ثلثي (أُوش) ، لها قلعة و بساتين ومياه جارية .

ولها ربض والأسواق فيه ، وهي متجر على باب الأتراك ، وعلى باب المدينة نهر ، يحيط بربضها حائط له أربعة أبواب ، وجامعها في الأسواق .

٧- مَرَّغِينَان :

مدينة صغيرة في جنوب نهر سيحون ، وجامعها ناء عن السوق .

٨- رِشْتَان :

في غربي مرغينان ، كانت كبيرة ، ولها جامع حسن .

٩- خُوَاقَنْد :

هي مدينة (خُوَاقَنْد) التي صارت في الأزمنة الحديثة قصبة فرغانة ونسبت إليها خانيتها : خانية خوقند . وكانت في القديم بلد من بلدان فرغانة ، لا أهمية تذكر لها .

١٠- خُجَنْدَة :

بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطئ سيحون ، بينها وبين سمرقند عشرة أيام مشرقا ، وهي مدينة نزهة ليس بذلك الصُّقْعُ أنزه منها ولا أحسن فواكه ، وفي وسطها نهر جارٍ ، والجبل متصل بها . وهي أول مدن فرغانة من الغرب إذا جئت من سمرقند ، تقوم على ضفة نهر سيحون اليسرى .

والمدينة طولها أكثر من عرضها ، ولها قلعة قوية فيها السجن ، وجامعها داخل المدينة .

وعلى فرسخ من جنوبيها : (كَنْد) ، وهي ربض خجندة ، ودار الإمارة في الميدان بالربض وأهل خجندة لهم سفن يسافرون بها في سيحون ، وكان ربض (كَنْد) الخارج يقال له : (كَنْد با دَام) ، أي كند اللوز ، لأن بها لوزاً كثيراً ، وهو لوز عجيب ينقشر إذا فرك باليد .

١١- وَاَنْكَتْ :

مدينة تقع على سبعة فراسخ من غربي (أخسيكث) وعلى فرسخ من يمين سيحون في شمالي فرغانة ، لا تبعد كثيراً عن (إيلاق) ، وكان لها جامع وأسواق حسنة .

١٢- خَيْرَ لَمْ - خَيْلَام :

تقع إلى شمالي (وانكث) في وسط الجبال ، وهي مدينة في رستاق (مَيَان)

رُودان) أي : ما بين الأنهار ، لها جامع حسن في وسط الأسواق .
وميان رودان هذه ناحية في أقصى ما وراء النهر قرب أوزكند .

١٣- شِكِت :

تقع في شمالي (خير لَم) ، كثيرة الجوز ، ولكثرته يباع رخيصاً ، وجامعها في السوق ، وهي في أقصى إقليم فرغانة .

١٤- قاسان :

مدينة تقوم في ناحية مسمّاة باسمها ، تقع شمالي (شِكِت) ، كانت عامرة أهلة كثيرة الخيرات ، واسعة الساحات ، متهدّلة الأشجار ، حسنة النواحي والأقطار ، في حدود بلاد الترك ، خربت بغلبة الترك عليها كما يقول ياقوت . ولكنها استعادت عمارتها ، ولا زالت قائمة .

حاصلات إقليم فرغانة

يرتفع من إقليم فرغانة الذهب والفضة والفيروزج والزئبق والحديد والنحاس والنوشادر والنفط والقيير (الزيت) .
واشتهرت فرغانة بخيـجر الأرحاء والفحم الحجري للوقود .
وكان يرتفع من بساتينها ويحمل إلى الآفاق : الأعناب ، والتفاح ، والجوز ، ومن الرياحين : الورد والبنفسج .

إقليم الشّاش

الموقع :

يقع إقليم الشّاش غربي إقليم فرغانة ، على ضفة نهر سيحون اليمنى ، أي الشمالية الشرقيّة .

والخرائب المعروفة اليوم بـ (طشقند) القديمة هي موضع المدينة التي سمّاها العرب : الشّاش ، والفرس : (چاچ) ، وكان يقال لمدينة الشّاش (بِنَكْث) أو (بِيَكْث) ، وهي قصبة إقليم الشّاش ، وقد كان لكثير من أسماء المدن

في بلاد ما وراء النهر تسميتان : إيرانية وتورانية .
ومقدار عرض إقليم الشّاش مسيرة يومين في ثلاثة أيام ، وليس بخارسان
وبلاذ ما وراء النهر إقليم على مقدار إقليم الشّاش من المساحة ولا أكثر منابر منها
ولا أوفر قرى وعمارة .

وإقليم الشّاش عموماً في أرض سهلة ، ليس في هذه العمارة المتصلة جبل
ولا أرض مرتفعة ، وهي أكبر ثغر في وجه الترك ، وأبنيتهم واسعة من طين ، وعامة
دورهم يجري فيها الماء ، وهي كلّها مستترة بالخضرة ، من أنزه بلاد ما وراء النهر
وعلى ذلك فالشّاش إقليم يطلقه العرب على قصبتها : بِنَكْت .

المدن

١- الشّاش :

هي مدينة (بِنَكْت) ، وكان عايتها أسوار كثيرة ، فقد كان لها مدينة
داخلة ، لها قاعة تلاصقها ، عليهما سور .
وفي خارج المدينة الداخلة ، الرّبط الداخلي ، وعلى هذا الرّبط سور .
ويليه أيضاً الرّبط الخارج ، وفيه بساتين وحقول كثيرة ، وحوله سور ثالث .
وأخيراً السّور الكبير على غرار ما كان لبخاري ، يحمي الناحية كلّها ،
فيكون حول الشّاش من ناحية الشمال بهيئة نصف دائرة ، يصل ما بين ضفة
نهر الترك في الشّرق وسيحون في الغرب .
فإذا عدنا إلى المدينة الداخلة والقلعة ، وجدنا أن في القلعة دار الإمارة والحبس ،
وللقلعة بابان : أحدهما يفضي إلى المدينة الداخلة ، والآخر إلى الرّبط .
وكان المسجد الجامع على سور القلعة .

والمدينة الداخلة فرسخ في مثله ، وفيها بعض الأسواق ، ولها ثلاثة أبواب :
باب أبي العباس ، وباب (كِش) يفضي إلى الجنوب ، حيث يصل الطريق
القادم من سمرقند ، وأخيراً باب الجنيد .

وكان لسور الرّبط الداخل عشرة أبواب ، وللبض الخارج سبعة أبواب ، وكان في الرّبط الداخل أسواق المدينة .

ويشقّ البلد أنهار وقنوات كثيرة ، تسقى البساتين والأشجار التي في داخل الأسوار .

أما السّور الكبير ، فإنه في أقرب نقطة منه إلى البلد ، كان يبعد فرسخاً واحداً عن باب الرّبط الخارج . وهذا السّور يبدأ في الشرق من جبل على نهر الترك يقال له جبل (سابلغ) ، وبُني هذا السّور لحماية المدينة من غارات الترك في الشمال . وكان هناك على بعد فرسخ مما يليه ، خندق عميق يمتدّ من الجبل على نهر الترك إلى حافة سيحون في الغرب ، وكان الطريق من شمال الشّاش إلى (اسيجاب) يخترق هذا السور عند باب الحديد .

٢- بناكت :

ثاني مدن إقليم الشّاش ، تقوم على ضفة سيحون اليمنى ، حيث كان طريق خراسان القادم من سمرقند يعبر النهر إلى الشّاش ، والجامع في سوقها .

٣- جينانجكث :

كان الطريق من (بناكت) إلى الشّاش ، يخترق مدينة (جينانجكث) وهي على ضفة نهر الترك الجنوبية أي اليسرى ، على فرسخين فوق ملتقاه هو وسيحون وكانت هذه المدينة كبيرة ليس عليها حصن ، بنيانها خشب وأبن .

٤- إيلاق :

مدينة من إقليم الشّاش المتصلة ببلاد الترك على عشرة فراسخ من مدينة الشّاش ، أنزه بلاد الله وأحسنها .

وإيلاق ناحية أيضاً مختلطة بأقليم الشّاش لافرق بينهما ، وقصبتها (تونكث) ،

اللواء الركن محمود شيت خطاب

وبإيلاق معدن الذهب والفضة في جبالها ، ويتصل ظهر هذا الجبل بحسود
فرغانة .

وناحية إيلاق تقع في جنوبي نهر إيلاق وشمالى المنعطف الكبير لنهر
سيحون أسفل خُجَنْدَة ، وتشمل على ما يقرب من عشرين مدينة ، وكانت
البلاد من الشاش إلى إيلاق متصلة العمارة مختلطة العمل .
٥- تُونَكْت :

قصة ناحية إيلاق ، تقع على نهر إيلاق على نحو من ثمانية فراسخ من
الشاش ، وهي نحو نصف بِنَكْت قصة الشاش ، وكان لها قلعة ومدينة داخلية
حولها ربض يحيط به سور ، وفي القلعة دار الإمارة والحبس والمسجد الجامع ،
والأخيران عند باب القلعة ، وأسواقها داخل المدينة وفي الربض ، وفيهما ماء جارٍ .
٦- خاشت :

مدينة آهلة ، تقع قرب معادن الفضة في جبال إيلاق على حد فرغانة ،
وتحف بالمدينة قرى عديدة .
٧- أسيجاب :

ناحية تقع في شمالي الشاش من يمين سيجون فشرقاً ، وقصبتها باسمه ،
والمدينة تقع على نهر (أريس) ، وهو رافد من روافد سيجون اليمنى ، وكانت نحو
الثلث من بِنَكْت ، وتشمل على مدينة وقلعة وربض ، وعلى المدينة الداخلية
سور ، وعلى الربض سور أيضاً يحيط به مقداره فرسخ ، وهي في أرض سهلة ،
بينها وبين أقرب الجبال إليها نحو ثلاثة فراسخ ، وفي خارجها مياه وبساتين .
وكان للمدينة أربعة أبواب ، على كل باب رباط ، وفي المدينة وربضها أسواق ،
وفي المدينة الداخلية دار الإمارة والحبس والجامع .
٨- أَسْبَانِيَكْت :

من مدن ناحية أسيجاب ، بينهما مرحلة كبيرة .

٩- جَمَكِنْتُ :

من مدن ناحية أسبيجاب ، كبيرة عليها حصن ، والجامع في الحصن ،
والأسواق بالربض .

١٠- بارآب = فاراب :

تقع على ضفة سيحون الشرقية ، أسفل انصباب نهر جمكنت فيه مباشرة ،
عند معبر سيحون . والاسم يطلق على الناحية والمدينة ، وهي مدينة كبيرة عليها
حصن فيه الجامع ، ولها أسواق وأرباض ، وأرضها سبخة ذات غياض .

١١- وَسِيْج :

بلدة صغيرة محصنة على فرسخين من باراب = فاراب ، وفي سوقها المسجد
الجامع .

وينسب إلى فاراب أبو نصر الفارابي المتوفى سنة ٣٣٩ هـ (٩٥٠ م) ، وهو
أشهر فلاسفة المسلمين قبل ابن سينا ، على أن ابن حوقل قد نسب مولد الفارابي
إلى (وسيج) لا إلى (فاراب) .

١٢- شَاوْغَر :

محافظة كوتلوك (باراب) على ضفة سيحون اليمنى ، وهي
مدينة تقع على مرحلة من شمال (باراب) على ضفة سيحون اليمنى ، وهي
كبيرة واسعة الرستاق ، عليها حصن ، والجامع على طرف السوق ، وهي من الجادة
بمعزل .

١٣- صَبْرَان :

مدينة تقع على مرحلة يوم من شمال شَاوْغَر ، وهي ما زالت قائمة حتى اليوم ،
وكانت ثغراً أمام الغز ، ويجتمع بها الغزيرة للصالح والهدنة والتجارات .

١٤- جَنْدُ :

اسم مدينة عظيمة في بلاد تركستان ، بينها وبين حُوارزم عشرة أيام تلقاء
بلاد الترك مما وراء النهر ، قريب من نهر سيحون .

١٥- طَرَارَ بَنَد :

مدينة من وراء سيحون من أقصى بلاد الشَّاش مما يلي تركستان ، وهي آخر بلاد الإسلام مما يلي ما وراء النهر . وأهل تلك البلاد يسقطون شطر الاسم فيقولون : طَرَار وأَطَرَار .

١٦- طِرَاز :

بلد قريب من اسبيجاب من ثغور الترك وقريب من (طَرَارَ بَنَد) ، وهي مدينة جليلة ، حصينة ، كثيرة البساتين ، مشتبكة العمارة ، لها خندق وأربعة أبواب ، ولها ربض عامر ، على باب المدينة نهر كبير ، والجامع في الأسواق ، وهي متجر للمسلمين من الأتراك ، وهي مدينة طيبة التربة لطيفة الهواء ، وأهلها مشهورون بالجمال .

١٧- كُولان :

تقع بالقرب من (طِرَاز) ، وكانت قرية كبيرة محصنة ، ولها جامع ، وتعدّ موضعاً ذا شأن كبير ، ~~تحتلّ خيود بلاد الترك~~ .

حاصلات إقليم الشَّاش

يرتفع من الشَّاش ثياب بيض رقيقة ، وسيوف وغيرها من السَّلاح ، وآلات النُّحاس والحديد كالإبر والمقاريض والقذور .

ويرتفع منها أيضاً جلود الحُمُر الوحشية الرفيعة والجعاب والقسّ الجيدة ، والجلود التي تجلب من الترك وتدبغ محلياً والمصليات والأخبية .

ويرتفع منها الرز والكتّان والقطن .

ويرتفع من (طِرَاز) في بلاد الترك جلود المعز ، واشتهرت في كل وقت بالخيول والبغال التركستانية .

ويرتفع منها الذهب والفضة وبخاصة من إيلاق .

أنهار بلاد ما وراء النهر

نهر جيحون :

كان نهر جيحون القديم ، يُعدّ الحدّ الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والأقوام الناطقة بالتركية ، أي إيران وتوران ، فما كان في شماله من أقاليم سمّاها العرب : ما وراء النهر — وهو نهر جيحون — وكذلك سمّوها : الهيطل ، وهم الذين يعرفون بالهون البيض .

وأطلق العرب في القرون الوسطى على نهر (أوكسس Oxus) اسم جيحون ، وفي أواخر القرون الوسطى في نحو من زمن الغارة المغولية ، كاد يبطل استعمال اسم : جيحون ، فعرف : أمّوية أو أمتودريّا .

ومن الملاحظ أنّ العرب قد سمّوا الأنهار بأسماء المدن الكبيرة التي تقع عليها ، فكان جيحون يعرف في الغالب بنهر بلخ وإن قامت هذه المدينة على بضعة أميال من ضفته الجنوبية .

ومنابع نهر جيحون من بحيرة في التبت الصغرى وفي الفامر (Pamir) ولجيحون أربعة روافد ذكرها الاصطخري ، فعمود نهر جيحون الأعلى كان بنهر (جرياب) وهو اليوم نهر (بنج) ، وكان يصل إلى بدخشان من الشرق ، ويخرج من بلاد وخّان ، وكان يقال لنهر جرياب أيضاً نهر وخّان . وكان عمود جيحون هذا ينحدر من الهضاب الشرقية ويدور دورة كبيرة حول (بدخشان) ويضرب نحو الشمال ، ثم يتجه غرباً فجنوباً قبل أن يباغ أطراف (خلّم) .

وينصب في يمين مجراه الذي يؤلّف ثلاثة أرباع الدائرة ، كثيرٌ من الروافد الكبيرة ، أولها نهر (أنديجاراغ) ، وقرب ملتقاه بجيحون مدينة باسمه ، والظاهر أنه هو نفسه نهر (برتنك) اليوم .

ثم يلتقي معه نهر (فارغر) ، وهو ينحدر من بلاد الخُتَل ، ويطابق نهر (ونج) اليوم .

وفي أسفله يستقبل نهر أخشوا (أخشن) ، وهو يقابل عمود نهر جيحون ، وعليه مدينة (هُلْبُك) قصبة بلاد الخُتَل .

ومن منابعه : نهر (بلبان) أو (بربان) .

وهذه الأنهار المتحدة تعرف اليوم باسمها التركي : آق صو ، أي النهر الأبيض . هذه هي روافد نهر جيحون العليا الأربعة ، على ما جاءت في الاصطخري ، وقد قال : إنَّ هذه المياه تجتمع كلها فيه فوق معبر النهر في (آرهن) .

وفوق هذا المعبر أيضاً ، ولكن في يسار النهر ، يصبّ في جيحون نهر بدخشان ، ويقال له نهر الضرغام .

وتحت معبر آرهن يستقبل نهر جيحون رافده الأيمن الكبير (وخشاب) ، وهو نهر الوحش ، وهذا النهر يفصل بلاد الخُتَل وبلاد الوحش اللتين في شرقه عن ناحيتي القباذيان والصغانيان اللتين في غربه .

ونهر وخشاب ، هو النهر المعروف اليوم بسرخاب ، أي النهر الأحمر .

وفي الموضع الذي يتّجه فيه نهر جيحون إلى الغرب ، بعد انعطافه حول بدخشان من ثلاثة جوانب ، يستقبل في يساره ، أي في ضفته الجنوبية نهري الطايقان وقندز الآيتين من طخارستان ، وهذان النهران هما اللذان سماهما ابن رسته بنهر ختلاب ونهر وتراب ، ويلتقي نهرا القباذيان والصغانيان والآخر ، وهو يمر بترمذ ، قد سماه ابن رسته بنهر زامل — بجيحون في ضفته الشمالية ، أي اليمنى .

وتفصل جبال (البُتَم) في الشمال مياه جيحون عن مياه زرفشان التي في الصغد .

وهذه هي آخر روافد النهر العظيم ، لأنّ نهر جيحون لا يستقبل غيرها من الأنهار إذا ما جاوز غرب (بَلْخ) ، فيجري في المفازة باتجاه غربي وشمال غربي حتى دلتاه في جنوب بحر آرال .

ويجمد نهر جيحون في الشتاء . وكانت القوافل الموقرة تعبره ماشيةً فوق السطح المنجمد ، وقد يبلغ ثخن الجليد خمسة أشبار أو أكثر . ولقد ذكر القزويني أنّ أهل خوارزم كانوا يحفرون آباراً بالمعاول حتى يخرقوه إلى الماء ، ثم يسقون منها كما يسقون من البئر لشربهم ويحملونه في الجرار .

نهر سِيحُون :

أطلق العرب على نهر (جَاكَزَرْتِس Jaxartes) اسم نهر سيحون في القرون الوسطى .

وفي أواخر العصور الوسطى ، في نحو من زمن الغارة المغولية ، كاد يبطل استعمال اسم سيحون ، فعرف بنهر سير دريا .

على أنّ اسم النهر الأكثر شيوعاً عند العرب كان نهر الشاش ، والشاش القديمة هي مدينة (طَشْقَنْد) وإنما سمي بهذا الاسم لوقوع المدينة المهمة الشاش بالقرب من ضفافه .

وذكر ابن حوقل ، أنّ نهر سيحون ، يخرج من بلد الترك ، وهو يعظم من أنهار تجتمع إليه ، تأتي من الجبال ، ولا يدخل وادي فرغانة العظيم من طرفه الشرقي في حدود (أَوْزْ كَنْد) . ويمتدّ إقليم فرغانة نحواً من مائتي ميل وينفّ إلى شمال وجنوب مجراه الأعلى ، فإذا ما جرى نهر سيحون شرقاً استقبل روافد عديدة وهو يتخالّل فرغانة وهي نهر خرشان ونهر أورست وقباً وكذلك نهر جِدْغِل ولعله هو نهر (نرين) الحالي ، وأنهاراً أخرى غيرها . فإذا جاوز أسوار (أَخْسِيْكْت) القصبة وصل سيحون إلى (خُجَنْدَة) ، وعندها يغادر نهائياً إقليم فرغانة .

ثمّ ينعطف شمالاً ، فيستقبل في يمينه نهرين يقال لهما نهر (إيلاق) ونهر (تورك) ، ويمرّ بغرب رستاق إيلاق والشّاش . وفي ما يلي ذلك ، ينتهي سيحون إلى رساتيق اسبيجاب ، ثمّ إذا اجتاز مفاوز الغز والترك ، توزّعت مياهه على أنهار عديدة حتى يقع في بحر آرال في القسم الشمالي الشرقي منه .

وقد ذكر البلدانون العرب ، أنّ نهر سيحون صالح لسير السفن كنهر جيحون ، وأنّ سيحون يجمد شتاءً مدة أطول من جيحون ، فكانت القوافل تعبره على مائه المنجمد ، وكان بعدُ نحو ثلثي جيحون .

ويعتبر إقليم فرغانة من أقاليم نهر سيحون .

كما يعتبر إقليم الشّاش من أقاليم هذا النهر العظيم أيضاً .

أما إقليم أشروسنة ، فيمكن اعتباره من أقاليم نهر سيحون ، كما يمكن اعتباره من إقليم الصّغد ، لأنه يقع شرقي سمرقند بين الرساتيق الممتدة في محاذاة يمين نهر الصّغد والرساتيق التي في يسار نهر سيحون ، دون أن يدخل هذان النهران ضمن إقليم أشروسنة .

التاريخ القديم لبلاد ما وراء النهر قبل الفتح الإسلامي وفي أيامه الأولى

١- بلاد ما وراء النهر جزء من تركستان الغربية التي تضمّ في الوقت الحاضر جمهورية أوزبكستان وجمهورية تاجيكستان الحالية .

وهناك اصطلاح : آسيا الوسطى ، وهو عبارة عن تركستان الغربية والشرقية معاً ، وهما الوطن الأصلي للأتراك كلّهم ، وهذه حقيقة تذكرها كلّ المصادر التاريخية والأبحاث الأثرية التي أجريت في بعض مناطق آسيا الصغرى ، فأرجعت تاريخ آسيا الوسطى إلى ما قبل تسعة آلاف سنة خلت ، وأثبتت نتائج الأبحاث الأثرية وجود حضارة عظيمة في آسيا الصغرى قبل تسعة آلاف سنة ، وأنّ هذه المنطقة من العالم كان يسكنها أناس بلغوا من المدينة شأواً عظيماً .

وأغاب الحفريات أجريت في تركستان الغربية ، ولكن تركستان الغربية والشرقية سواء من ناحية الظروف الطبيعية والتاريخية والسياسية والاقتصادية والبشرية ، وتخضع لنفس العوامل وتضم بقايا نفس المدنية والحضارة ، فما ينطبق على الغربية ينطبق على الشرقية أيضاً .

وأول من سكن هذه المنطقة هم : التُّرك ، والآثار القديمة المكتشفة تثبت قيام دولة تركية عريقة من سنة (٥٠٠٠ ق.م. إلى سنة ٢٠٠٠ ق.م .) .
والتُّرك الأول الذين أقاموا هذه الدولة ، ورد ذكرهم عند (هيردوت) باسم : (اسكيت) ، وباسم (توران) في المصادر الفارسية ، وباسم : (ساكا) في المصادر الهندية .

و (توران) صيغة جمع لكلمة (تركي) ، والصيغة الاملائية في اللغة السنسكريتية لمعنى : (تركي) هي : (تورشكا) .

والمصادر الصينية تطابق على الترك اسم : (هسيونغ - نو) ، أي : الهون الشرقيون ، وتاريخ الترك الموثق يبدأ بالهون الشرقيين .

وكانت هناك امبراطورية للهون في تركستان (٢٢٠ ق.م. - ٢١٦ م) اصطدمت بالصينيين مرات وبغيرهم ، وكانت تدعى : خاقانية الهون ، وكانت الحرب بينها وبين الصين سجالات .

وتسجل المصادر التاريخية لأول مرة استعمال كلمة : (ترك) التي نلفظها اليوم في عهد دولة (كول تورك) التي استمرت من (٥٥٢ م - ٧٤٥ م) ، وكانت الحروب بينها وبين الصينيين سجالات أيضاً .

وتسجل تلك المصادر أن هذه الدولة التركية استعانت بالمسلمين في حرب الصينيين ، فأحرزت نصراً بمعاونتهم على حكام الصين .

٢- وقد سكن بلاد ما وراء النهر الإيرانيون أيضاً ، ويبدو أنهم اغتصبوا تلك

الأصقاع من الترك ، لأن الترك سبقوهم في سكنها .

وأقدم المستعمرات التي سكنها الإيرانيون هناك ، كانت تلك المنطقة من الأرض التي تمتد من (أَخْسِيْكَث) القديمة عند حدود (فرغانة) الشرقية حتى بُخارى . وهذه المنطقة التي تضم أغلب بلاد ما وراء النهر الخصبة تتخللها أنهار وقنوات طبيعية واصطناعية عديدة وقد عدّ البلخي أسماء جبالها وغدرانها وأنهارها ومدنها ونواحيها وقراها ، وجميع تلك الأسماء فارسية قديمة في أصلها . وحال دون انتشار الحضارة الفارسية من هذه المنطقة إلى ما بعد بخارى غرباً تلك الكثبان الرملية التي تعد امتداداً لصحراء (خلطه) ، فظهرت (قراقول = البحيرة السوداء) وكذلك (بِيْكَسَنْد) = (مدينة الأمير) من بَعْدُ كما ينبىء بذلك اسماهما التركيان .

وكان الإيرانيون يستقرون ما وسعهم الاستقرار وبعد عنهم خطر غارات التورانيين ، ويؤدي استقرارهم إلى نشاطهم الحضاري . وأيضاً ما كان من ميل القوم الغريزي إلى ممارسة الحرف والفنون الجميلة أو من تأثرهم بجيرانهم الصينيين أصحاب الإبداع ، فالثابت المعروف أن تجارة الحرير وجدت بين أبناء آسيا الوسطى من يقبل على العمل بها في غيرة وجد ، ولم يكن هؤلاء من التورانيين على وجه اليقين . ويروي النرشخي في كتابه : تاريخ بخاري ، أن تجار بِيْكَسَنْد كانوا هم الوسطاء بين الصين والبحر الغربي (قزوين) ، وتقول المصادر البيزنطية أن أهل بخارى والصغد كانوا في القرنين الخامس والسادس الميلاديين يسرون بقوافل الحرير العظيمة عبر الامبراطورية الساسانية إلى شرق بلاد الامبراطورية الرومانية . وحين شق المسلمون من بعد ذلك طريقهم عبر جيحون وجدوا هناك نشاطاً صناعياً وزراعياً مهماً .

وليس لنا أن ننسى أن المدنية الإيرانية قد تعرضت منذ العصور الأولى لغارات التورانيين فيما وراء جيحون ، ففي الوقت الذي أقام فيه الإيرانيون مدنهم على

ضفاف سيحون وجيحون واستقروا فيها ، كان بدو التورانيين في ذيك الوقت البعيد يتجولون على وجه اليقين ، في مناطق السهوب المجاورة لها .
وليس ثمة دليل نستدل به على الوقت الذي بدأت فيه غارات التورانيين الأولى على المناطق الزراعية ببلاذ ما وراء النهر ، بعد أن استقرّ فيها الإيرانيون وعمروها ، ولكن هناك من يذكر أن الترك كانوا قد انطلقوا سنة (٧٠٠ ق.م .) عبر جيحون ، وهو الحد القديم الذي كان يفصل بين إيران وتوران ، فباغوا حدود الهند :

وقد تدفّق الترك عبر جيحون في القرن الثاني قبل الميلاد ، ومما يؤيد ذلك وجود كلمة (بلّخ) ، وهي كلمة (بالق) أو (بالخ) التركية القديمة ، ومعناها المدينة أو العاصمة ، وهو الاسم الذي كان يطلقه الترك على مقر أميرهم . وفعل المغول مثل ذلك بعد عدة قرون ، فكانوا يعرفون مقرّ خانهم الأعظم باسم : خان بالق ، ويقصدون : مدينة الخان .

وكذلك نجد على الشاطئ الآخر لسيحون دليلاً آخر على وجود العناصر التركية في زمن مبكر هناك ، وذلك في تسمية العاصمة : بخارى ، وهذا اللفظ تركي في أصله ، ونظيره أيضاً كلمة (بيكند) وهي تركية أيضاً ، وكلمة (آمو) اسم نهر (جيحون) وهي تركية أيضاً ومعناها : النهر .

والذي يبدو أن السيطرة على بلاد ما وراء النهر كانت سجالات بين الترك والفرس وقد حُكمت هذه البلاد من الجانبين قبل الفتح الإسلامي العظيم :

٣- أما عن أحوال سكّان بلاد ما وراء النهر الدينية ، فإنّ عقائد زرادشت هي ديانة السكّان الإيرانيين ، واعتنق هذه العقيدة قسم من الأتراك أيضاً ، فقد انتشرت تعاليم زرادشت من بيوت النار في بلاد ما وراء النهر صوب الشرق فبلغت منازل بدو الترك عند (تيان شان) ، كما انتشرت كذلك صوب الشمال حتى شواطئ بحر آرال .

وقد تعرّضت الزرادشتية قبل فجر التاريخ إلى ضربة شديدة في بلاد ما وراء

النهر بفعل البوذية القادمة من الشرق ، فأصبح غالبية التورانيين يعبدون الأوثان .
ويحتمل كل الاحتمال ، أن النضال بين البوذية والزرادشتية في بلاد ما
وراء النهر ، اتخذ صورته بين عرقين لا بين عقيدتين حسب ، وكان أولياء
العقيدة الأولى التورانيون الذين تلقوها في (التبت) ، وبإزائهم طفق الإيرانيون
يدافعون في حمية طبيعية عن ديانتهم القومية .

ولا نعلم التاريخ الذي أطلق فيه الاسم التوراني : (بخارى) على المدينة
الإيرانية القديمة : (جموكت) ، ذلك لأن (بخار) لا يزال حتى اليوم علماً
مغولياً على المعبد أو الدير البوذي . وعلى ضوء ما كان من انتشار نفوذ الصين بين
أتراك الشمال ، فيما بين صحراء (جوبي) حتى بحر (قزوين) ، ذلك النفوذ
الذي كان يقوم قبل المسيح عليه السلام وإبان حكم أسرة (هان) في الصين
(١٦٣ ق.م - ١٩٦ م) ، فإن لنا أن نستنتج أن العقائد البوذية قد وجدت لها
أتباعاً على ضفاف زرفشان (أي نهر (الصغد) في القرون المسيحية الأولى .

وقد ذكر الرحالة البوذيون عن ازدهار البوذية في تركستان الشرقية في
القرن الخامس الميلادي ، ذلك الازدهار الذي لا يستبعد امتداده حتى مناطق
سيحون وجيحون . وقد وجد الفاتحون المسلمون الأولون آثار البوذية آخر الأمر
ببلاد ما وراء النهر عند الفتح الإسلامي ، وحين فتحوا (بيكند) ، كان من بين
ما غنمه المسلمون من الأوثان صنم عظيم الحجم من الذهب الخالص استرعى
انتباههم ، إذ كان له عيان من الجوهر الثمين .

وكان في بلاد ما وراء النهر أقلية من النساطرة المسيحيين ، نزحوا إليها هرباً
من بلاد الروم نتيجة لمطاردة الامبراطورية البيزنطية للنساطرة المنشقين على الكنيسة ،
تلك المطاردة التي قامت بسبب الخلافات المذهبية المريبة ، فانطلق أولئك
المضطهدون يلتمسون مجالاً لنشاطهم في الشرق الأقصى ، فمهّدت كراهيتهم
للبيزنطيين لكسب عطف الساسانيين عليهم ، وقد اتخذت المسيحية مركزاً في

سمرقند حيث أنشأت لها اسقفية بابوية فيما بين سنتي (٤١١ م و ٤١٥ م)
٤- ولعلّ من المفيد أن نذكر شيئاً عن حكام قسم من بلاد ما وراء النهر
الذين التقوا المسلمين الفاتحين في أيام الفتح ، فتردّت أسماؤهم كثيراً في
المصادر التاريخية العربية المعتمدة بخاصة والمصادر التي نقلت عنها بعامّة .

عندما توفى (بندون) أو (بيدون) : بخار خداة ، وهو لقب ملوك بخارى ،
ترك طفلاً رضيعاً اسمه (طغشاد) أو (طغشادة) ، فانفردت بشؤون الملك زوجة
(بندون) التي يدعونها السيّدة المصون (خاتون) التي كانت أم الطفل (طغشاد) ،
ويقال : إنّ حكمها استمرّ خمسين سنة ظهر المسلمون خلالها في بلاد ما وراء
النهر .

ويقال : إنه لم يكن في عصر من العصور من هو أصوب رأياً منها ، فكانت
تحكم بصائب الرأي وينقاد لها الناس ، وقد ذاع صيت هذه السيدة لحكمتها
 وإجلال الناس لها .

وكان من عادة (خاتون) أن تخرج بكلّ يوم من حصن بخارى على ظهر
جوادها وتقف على (باب السهل = ريكستان) ، وقد سمي هذا الباب بباب
العلاّفين فيما بعد ، حيث كانت تجلس على تختٍ وأمامها الغلمان والخصيان
والاشراف والحشم .

وكانت قد فرضت على أهل الرستاق أن يجيء لخدمتها مائتا شاب من
الدهاقين والأمراء ، متمنطقين بمناطق ذهبية ويحملون السيوف ، ويقفون من بعيد .
وعند خروج (الخاتون) من الحصن كانوا يحيّونها ويقفون في صفين وهي تنظر
في أمور المملكة وتأمر وتنهى وتخلع على من تريد وتعاقب من تريد ، وتظلّ
هكذا من الصباح إلى الضحى ، ثمّ تعزّد إلى الحصن ، وترسل المواد وتطعم جميع
الخدم والحشم .

وعندما يأتي المساء ، كانت تخرج على هذه الصورة ، وتجلس على التخت

وقد اصطفَ أَمامها الدهاقين والأمرء في صفين للتحية ، وتبقى تقيم العدل بين الناس إلى موعد غروب الشمس ، وحينئذ تنهض وتمتطي جوادها وتعود أدراجها إلى قصرها في الحصن ، ويذهب حراسها إلى مواطنهم في الرستاق .

وفي اليوم التالي ، يأتي قوم آخرون للخدمة بنفس الطريقة ، وهكذا دواليك حتى تأتي النوبة على أولئك القوم ثانية ، وكان يتحتم على كل منهم أن يجيء في السنة أربعة أيام على هذا المنوال .

ويبدو أنه كان في بخارى تسعون أسرة من الأسر المرموقة ، لكي تأتي النوبة أربع مرات على كل شاب من حرس (خاتون) في السنة الواحدة .

ولما توفيت هذه الخاتون ، كان ابنها طغشاد قد كبر وأستأهل الملك ، بينما كان كثيرون يطمعون في هذا الملك .

وقد كان ثمة وزير أصابه من التركستان ، يسمى : (وَرْدَان خُداة) ، وكانت له إمرة (وَرْدَانة) وهي قرية من قرى بُخارى ، وقد خاض ضده قُتَيْبَةُ بن مُسْلِم الباهلي حروباً كثيرة إلى أن مات (وردان خداة) هذا وفتح قتيبة بخارى بعد أن أخرج وردان خداة مراراً من هذه الولاية حتى هرب إلى التركستان ومات هناك ، فأعطى قتيبة بخارى لطغشاد ثانية وأجلسه على العرش ، وصفا له الملك وكفّ عنه أيدي جميع أعدائه .

وكان طغشاد قد أسلم على يدي قتيبة ، فظلّ يحكم بخاري طيلة حياة قتيبة ، ثم بقي ملكُ بخارى في يديه بعد عهد قتيبة إلى أن توفاه الله ، وملك بخارى اثنتين وثلاثين سنة .

وأنجب طغشاد وهو في الإسلام ولداً أسماه : قتيبة ، محبةً في قتيبة بن مسلم وتقديراً لمزاياه وأفضاله ، فخلف قتيبة أباه طغشاد على عرش بخاري ، وبقي على الإسلام مدةً ، ثم ارتدّ عن الإسلام في أيام الفتن التي شملت خراسان وبلاد ما وراء النهر ، وكان ذلك في أيام سيطرة أبي مُسْلِم الخراساني على تلك

الأرجاء في أواخر عهد بني أمية ، فعلم أبو مسلم بالأمر فقتل قتيبة وأهلك أخاه وأهله .

وتولى عرش بخارى (بنيات بن طغشاد) ، وكان قد ولد في الإسلام وظلّ عليه مدّة من الزمن ، فلما ظهر (المقتنع) في رستاق بخارى ، انجرف بنيات بتيار الفتنة ، فمال إلى المقتنع ، وأعان أصحابه ، حتى طالت أيديهم وتغلّبوا . وأخبر صاحبُ البريد الخليفةَ ، وكان الخليفة إذ ذاك (المهدي) العباسي ، فلما فرغ المهدي من القضاء على فتنة المقتنع ، أرسل الفرسان إلى بنيات ، فقتلوه في قصره سنة مئة وست وستين الهجرية (٧٨٢ م) على الردة .

وظلّت أملاك وضياع تلك العائلة بأيدي أبنائها أولاد (بخار خداة) ، وكان آخر من خرجت من يديه تلك الأملاك والضياع هو أبو اسحق ابراهيم بن خالد ابن بنيات ، وكان ابراهيم يقيم ببخارى والأملاك والضياع بحوزته ، يرسل بخارجها إلى أمير المؤمنين المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بن الموفق بن المتوكّل بن المعتصم بن هرون الرشيد (٢٨٢ هـ - ٣٢٠ هـ) ، (٨٩٥ م - ٩٣٢ م) ، وقد توفي ابراهيم سنة إحدى وثلاثمائة الهجرية (٩٢٣ م) وبقي أولاده في بخارى وقراها . تلك هي لمحة عن أسرة من الأسر الحاكمة التي صادفها المسلمون في أيام الفتح ، قد تعطي صورة للأسر الحاكمة حينذاك ، وللمعاملة التي عوملت بها من الفاتحين . وهذه اللّوحة ، هي المعاومات المتيسرة في المصادر التاريخية ، تكررت أسماء بعض منتسبيها كالخاتون كثيراً في المصادر التاريخية العربية ، دون أن تعطي تلك المصادر تفاصيل حياتها .

وقد ظلّت (خاتون) في الحكم خمسين سنة قضت شطراً منها في ظلّ الحكم الإسلامي دون أن تعتنق الإسلام ، فام يحملها أحد من الفاتحين على الإسلام ، ما دامت تفي بشروط الصلح وتلتزم بها ، وهذا دليل واقعي على كذب ادعاء الذين يدّعون أنّ الإسلام انتشر بحدّ السيف .

والذين قتلوا من أحفادها قتلوا على الردّة لا على عدم الإسلام .

وكثيراً ما يرد في الفتح هذان المصطلحان : خاقان وطرخان ، فمن المفيد أن نعرف معاني هذين المصطلحين ، فقد يفيدنا ذلك في تفهم سير حوادث الفتح .
وخاقان : لقب من ألقاب السيادة التي تطلق على أباطرة المغول والترك العظام ، ومعناه : ملك الملوك ، تمييزاً له عن : الخان ، وهو الحاكم الإقليمي لبعض الولايات التي كانت تتكوّن منها الإمبراطورية المغولية في آسيا الوسطى (تركستان) في أيام الفتح الإسلامي ، وقد استخدم هذا اللقب السلاطين المسلمون من المغول والترك ، كما استخدمه السلاطين العثمانيون .

أما طَرُخَان ، فكان يطلق في الدولة المغولية اصطلاحاً على الأشراف من الرجال الذين يمنحهم الخاقان امتيازات خاصة تشمل الاعفاء من الضرائب مع الحق في أخذ نصيب من غنائم المعركة ، ومنها كذلك الدخول إلى بلاط الخاقان بدون استئذان .

وقد شاع في الدول التركية .

وطَرُخُون ، صيغة أخرى من طرخان ، وله امتيازات الاعفاء من الضرائب والامتيازات الأخرى ، فهما لفظان لمعنى واحد .

ومعناه كما جاء في المصادر التاريخية العربية القديمة كالطبري : ملك من ملوك ما وراء النهر ، يتبع خاقان الترك ، وعلى الخصوص هو ملك الصغد ، فيقال : طرخون الصغد ، والطرخون نيزك ، أي طرخون الصغد المسمى نيزك .

وعندما قدم العرب المسلمون فاتحين في بلاد ما وراء النهر ، كان عدد من الطراخين يحكمون في (بِيكَنْد) وسمرقند وغيرهما . ولا تفصح المصادر عما إذا كان هؤلاء الأمراء والرؤساء مستقلين في بلادهم أو كانوا تابعين للخاقان ، ولكنها تنصّ بصراحة على استنجد طرخون بخاقان وبالأخرين من بني جلدته في تركستان

وفرغانة ، كما فعلت خاتون وطرخون سمرقند حين أطبق على بخارى وسمرقند المسلمون الفاتحون ، وكان الخاقان والملوك الآخرون يسارعون إلى النجدة خفافا ، فاشتبكوا بالمسلمين عدة مرّات ، وتكبّد الطرفان خسائر فادحة بالأرواح والأموال ، وكانت النتيجة انتصار الفاتحين .

ويبدو أنّ ملوك بلاد ما وراء النهر كانوا مستقّين استقلالاً ذاتياً ، ولكنهم كانوا جميعاً يدينون بالولاء للهاقان ، لأنه ملك الملوك (عملياً) إذا كان قوياً ، و (نظرياً) إذا كان ضعيفاً .

وملوك بلاد ما وراء النهر ، كانوا كملوك الطوائف ، اهتم استقلالهم الذاتي في أوقات السّلام ، ولكن الحرب تجمعهم ليصبحوا صفّاً واحداً على عدوّهم المشترك في الدفاع عن مصالحهم المشتركة .

فتح بلاد ما وراء النهر واستعادة فتحها

القاعدة المتقدمة :

١- استطاع الأحنف بن قيس التميمي فتح (خراسان) سنة ثمانى عشرة الهجرية (٦٣٩ م) ، وفي قول آخر سنة اثنتين وعشرين الهجرية (٦٤٢ م) على عهد عمر بن الخطّاب رضي الله عنه .

ولكن (خاقان) ملك الترك ، ومعه (يزدجرد) آخر ملوك السّاسانيين ، عبر نهر جيّحون إلى مدينة (بلّخ) التي كان المسلمون قد فتحوها قريباً ، وأعاد هذه المدينة إلى سيطرة يزدجرد .

وقد استنجد يزدجرد بهاقان بعد اكتساح المسلمين بلاده وتقدّمهم من نصر الى نصر فاتحين ، فسار معه خاقان على رأس جيشه ، واستعاد مدينة (بلّخ) من المسلمين ، لأنه قاتل حاميتها المحلية ولم يقاتل جيش المسلمين الأصلي ، فانتصر خاقان على الحامية المحلية .

ولا يمكن أن نعزو انتصار خاقان ليزدجرد ، لأنه حليفه أو لأسباب عاطفية في دعم ملك الترك لملك الفرس ، بل كان لخاقان مصلحة في إبعاد المسلمين الفاتحين عن مدينة (بَلْخ) ، لأن هذه المدينة هي مفتاح السيطرة على بلاد ما وراء النهر بخاصة ومنها بلاد خاقان ، فليس من مصلحة خاقان أن يفتح المسلمون مدينة بَلْخ ، لأن الخطوة التالية لفتحها هو عبور المسلمين نهر جيحون وفتح بلاد ما وراء النهر وتهديد بلاد خاقان تهديداً مباشراً بعد ذلك .

ولم يسكت المسلمون على اندحار حامية بَلْخ المحلية أمام جيش خاقان ، فبادروا فوراً بالزحف على بَلْخ بقيادة الأحنف بن قيس التميمي على رأس قواته الضاربة الأصلية ، فقاتل المسلمون جيش خاقان وانتصروا عليه بسهولة ويسر ، وأجبروه على الانسحاب عن (بَلْخ) ، فعاد خاقان إلى بلاده فيما وراء النهر ومعه يزدجرد .

واستعاد الأحنف بن قيس فتح مدينة بَلْخ وسائر خراسان ، فكتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالفتح .

وجمع عمر بن الخطاب الناس حين تسلّم كتاب الأحنف بالفتح ، فبشّروهم بهذا الفتح وخطبهم ، وأمر بكتاب الفتح فقرأ على الناس ، وقال في خطبته : « ألا إنّ الله قد أهلك ملك المجوسية وفرّق شملهم ، فليسوا يملكون من بلادهم شبراً يضرّ بمسلم . ألا وإنّ الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبنائهم لينظر كيف تعملون ، والله بالغ أمره ومنجز وعده ومتبع آخر ذلك أوّله ، فقوموا في أمره على رجلٍ يعرف لكم بعده ويؤتكم وعده ، ولا تبدّلوا ولا تتغيروا فيستبدل الله بكم غيركم ، فإنّي لا أخاف على هذه الأمة أن تؤتني إلاّ من قبلكم » .

٢- ولما قُتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، نقض أهل خراسان وغدروا ، فاستعاد عبدالله بن عامر بن كُرَيْز القرشيّ العبشميّ فتح خراسان ثانية

بمعاونة الأحنف بن قيس التميمي سنة إحدى وثلاثين الهجرية (٦٥١ م) على عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وانتقضت بعض مناطق خراسان حين نشب الاقتتال الداخلي بين المسلمين أيام الفتنة الكبرى بعد استشهاد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكانت مدينة بلخ من المدن الخرسانية التي انتقضت حينذاك .

وفي سنة إحدى وخمسين الهجرية (٦٧١ م) ، أصبح الربيع بن زياد الحارثي على خراسان لزياد بن أبي سفيان الذي كان على العراقيين لمعاوية بن أبي سفيان ، فغزا الربيع مدينة بلخ وفتحها صلحاً من جديد .

ومدينة بلخ على الدوام باب بلاد ما وراء النهر الجنوبي ، وكانت باستمرار عرضة لهجمات الترك القادمين من بلاد ما وراء النهر ، يعبرون إليها نهر جيحون الذي كان يسمى : نهر بلخ أيضاً فيغزونها ، فلا عجب أن يقرر المسلمون فتح بلاد ما وراء النهر للدفاع عن بلخ بخاصة وخراسان بعامة ، لأن الهجوم أنجع وسائل الدفاع .

وكانت بلخ هي القاعدة المتقدمة للمسلمين في فتح بلاد ما وراء النهر .

فتح الحَكَم بن عمرو الغِفاريّ

١- في سنة خمس وأربعين الهجرية (٦٦٥ م) وليّ زياد بن أبي سفيان خراسان الحكم بن عمرو الغِفاري على عهد معاوية بن أبي سفيان .

وفي سنة ثمان وأربعين الهجرية (٦٦٨ م) أو سنة تسع وأربعين الهجرية فتح الحكم (الصَغَانِيَان) ، وهو إقليم من أقاليم ما وراء النهر .

قال عبدالله بن المبارك لرجل من الصَغَانِيَان : « مَنْ فتح بلادك ؟ » ، فقال الرجل : « لا أدري ! ! » ، فقال ابن المبارك : « فتحها الحكم بن عمرو الغِفاريّ » .

فتح عبيد الله بن زياد

في سنة ثلاث وخمسين الهجرية (٦٧٣ م) ، ولّى معاوية بن أبي سفيان خُراسان عبيد الله بن زياد .

وفي سنة أربع وخمسين الهجرية (٦٧٣ م) ، قطع عبيد الله النهر (جيحون) إلى جبال (بخارى) على الإبل في أربعة وعشرين ألفاً ، فكان عبيد الله أول مَنْ قطع إليهم جبال بخارى في جند ، ففتح (راميشن) و (نَسَف) و (بِيكَنْد) وأرسلت (خاتون) ملكة بخارى إلى الترك تستمدّهم ، فجاءها منهم عدد كبير ، حيث التقى بهم المسلمون وهزموهم بعد قتال شديد ، وانتصروا عليهم .
وبعثت خاتون تطلب الصلح والأمان من المسلمين على أن يعودوا عن بخارى ، فصالحها عبيد الله على ألف ألف درهم .
وعاد المسلمون إلى خُراسان دون أن يفتحوا بخارى .

٢- وخاتون ملكة بخارى ، هي زوجة الملك (بندون) ملك بخارى الذي توفي عنها وخلف من خاتون ولدًا حديثاً يدعى (طغشاد) ، فانفردت خاتون بشؤون الملك وصيّة على ابنها الحدث .

وقد دام حكمها خمسين سنة ، ظهر المسلمون في اثنائها في ديارها .
وخاتون ليس اسمها ، بل صيغة من صيغ التوقير للسيدات من ذوات المقام الرفيع ، أصل الكلمة فارسي أو تركي ، ولا يزال هذا اللقب يستعمل حتى اليوم بين الأتراك .

ومعنى كلمة خاتون : السيدة الوجيّه ، أو ما يقارب هذا المعنى .

وقد ذاع صيت هذه السيدة وإجلال الناس لها ، وكانت تغادر مقرّها كلّ يوم بعد شروق الشمس مباشرة ، فتقصد باب السّهل (الريكستان) ، فتجلس

فوق عرش ومن حولها رجال البلاد والأعيان ، وتقيم العدل بين الناس .
وكان يقوم على حراستها في الحضرة كل يوم مئتا شاب يتمنطقون بالذهب ،
ومعهم سيوفهم الذهبية كذلك ، وكانوا يستبدلون بغيرهم كل يوم ، وعلى هذا
الوضع كانت تتيح لكل قبيلة تحكمها أن تشارك في أداء واجب حراستها أربع
مرات كل سنة .

وبهذه السيدة انتهى الحكم الفعلي لأول أسرة حاكمة في بخارى ، وقد
احتفظ ابنها طغشاد باستقلاله لمدة اثنتين وثلاثين سنة لاعتناقه الإسلام .

واشتبك طغشاد في حروب ضد الترك إلى جانب المسلمين الذين ثبتوا ابنه
من بعده على العرش تكريماً له ، وكان قد سمى ابنه : قُتَيْبَةَ ، تيمناً باسم
قتيبة بن مُسْلِم . ولكن قتيبة هذا لم يخلص للإسلام والمسلمين إخلاص أبيه
طغشاد ، إذ كان يتظاهر بالإسلام ويخفي ممارسة طقوس المجوس ، فقتل متهماً
بالزندقة .

تلك هي مجمل سيرة خاتون وذويها ، وقد نجحت خاتون في صرف عبيد
الله بن زياد عن بخارى بالصلح إلى حين ، فمهد عبيدالله للمسلمين الفاتحين
فتحها في الوقت المناسب .

فتح سعيد بن عثمان بن عفان

١- ولي معاوية بن أبي سفيان سنة ست وخمسين الهجرية (٦٧٥ م) خراسان
سعيد بن عثمان بن عفان وعزل عبيدالله بن زياد .

وقدم سعيد خراسان ، فقطع النهر إلى (سَمَرْقَنْد) ، فكان أول مَنْ قطع
نهر (بَلْخ) من العرب .

وباغ خاتون ملكة بخارى عبوره النهر ، فحملت إليه الصلح الذي صالحت
عليه عبيدالله بن زياد .

وأقبل أهل (الصُّغْد) و (كِش) و (نَسَف) إلى سعيد في مئة ألف وعشرين ألفاً ، فالتقوا ببخارى ، وقد ندمت خاتون على أدائها الجزية ، فنكثت العهد . ولكن قسماً من الحشود المجتمعة لقتال سعيد انصرفوا قبل مباشرة القتال ، فأثر انصرافهم في معنويات الآخرين واهترت معنوياتهم ، فلما رأت خاتون ذلك ، أعادت الصلح ، فدخل سعيد مدينة بخارى فاتحاً .

وطلب سعيد من خاتون أن تبعث إليه برهائن ضماناً لتنفيذ ما تصالحا عليه ، فبعث إليه بثمانين من أعيان بلادها ممن كانوا على رأس الخارجين عليها ، ومن تخشى غدرهم بها وتهديدهم لعرشها ، فتخلّصت بذلك من أشد أعدائها خطراً على عرشها وحاضرها ومستقبلها .

وحين تمّ الصلح بين خاتون وسعيد ، زارت خاتون سعيداً في مقرّه ، فطلعت عليه في زينتها الملكية ، وكانت نادرة الجمال على ما يقال ، فادّعى أهل بخارى أن القائد العربيّ أعجب بجمالها أيّما إعجاب ، وجرى ذكر إعجاب سعيد بها في الأغاني الشعبية التي لا يزال أهل بخارى يردّونها ويتغنّون بها حتى اليوم . ولكن هذا الإعجاب لا يذكر له في المصادر العربية والإسلامية المعتمدة ، ومن الواضح أنه أقرب إلى خيال الأدباء والفنانين منه إلى حقائق المؤرخين .

٢- وغزا سعيد سمرقند ، فأعانت خاتون بأهل بخارى ، فنزل على باب سمرقند وحلف ألاّ يبرح أو يفتحها .

وقاتل المسلمون أهل سمرقند ثلاثة أيام ، وكان أشدّ قتالهم في اليوم الثالث حيث فُتّت عين سعيد .

ولزم أهل سمرقند مدينتهم وقد فشت فيهم الجراح ، فأتاه رجل دلّله على قصر فيه أبناء ملوكهم وعظمائهم ، فسار إليهم وحصرهم . وخاف أهل سمرقند أن يفتح سعيد ذلك القصر عنوة ويقتل من فيه ،

فطلبوا الصلح ، فصالحهم على سبعمائة ألف درهم ، وعلى أن يعطوه رهناً من أبناء عظمائهم ، وعلى أن يدخل المدينة ومن شاء ويخرج من الباب الآخر ، فأعطوه خمسة وعشرين من أبناء ملوكهم ، ويقال : إنهم أعطوه أربعين من أبناء ملوكهم ، ويقال : ثمانين .

وكان معه من الأمراء ، المهلب بن أبي صفرة الأزدي وغيره .
واستشهد معه يومئذ قُثم بن العباس بن عبدالمطلب ، وكان يُشَبَّه بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو آخر من طلع من لحد النبي صلى الله عليه وسلم عند دفنه .

وانصرف سعيد إلى (ترمذ) ، ففتحها صلحاً .

فتح سَلَم بن زياد

عزل معاوية بن أبي سفيان عن خراسان سعيد بن عثمان بن عفان سنة سبع وخمسين الهجرية (٦٧٦ م) وأضيف إلى ولاية عبيدالله بن زياد في رواية .

وفي رواية أخرى ، أن معاوية ولي عايبها عبدالرحمن بن زياد ، وكان شريفاً فلم يصنع شيئاً يذكر في مجال الفتح .

ومات معاوية وعلى خراسان عبدالرحمن بن زياد .

وولي يزيد بن معاوية خراسان سَلَم بن زياد سنة إحدى وستين الهجرية (٦٨٥ م) ، فغزا خوارزم ، فصالحه على أربعمائة ألف درهم وحملوها إليه .

وقطع سلم النهر ومعه امرأته أم محمد بنت عبدالله بن عثمان بن أبي العاص الثقفي ، وكانت أول امرأة عربية عُبر بها النهر ، فوجد (خاتون) ملكة بخارى قد نقضت العهد ، فأتى سمرقند فصالحه أهلها ، فعاد إلى بخارى .

واستنجدت (خاتون) مرة أخرى بجيرانها في الصغد ، كما استنجدت

بأترارك الشمال ، فجاء (طرخون) على جيش الصغد ، كما جاء ملك الترك في عسكر لجب كثيف .

ولم تؤثر تلك الحشود الضخمة من الجيوش المعادية في معنويات المسلمين ، فحاصروا بخارى دون الهجوم عليها ، ليقفوا أولاً على تفاصيل قوات أعدائهم ومواضعها ، وهي متربصة بهم في مواضع ليست بعيدة عن بخارى .

وأمر سلم المهلب بن أبي صفرة الأزدي أن يستطلع أحوال العدو ، فاقترح المهلب أن يكلف غيره بهذه المهمة ، لأنه معروف المكانة بين المسلمين ، وقد يُفشى تغيبه عن معسكر المسلمين سرّ الواجب الذي كلف به دون مسوغ ، وهذا الواجب ينبغي أن يبقى سرّاً مكتوماً ، وإفشائه لا يخلو من خطر جسيم .

ولكن سلم بن زياد ، أصرّ على إيفاد المهلب دون سواه في هذا الواجب الحيوي الذي قد يعجز غيره عن النهوض به كما ينبغي ، وأرسل معه ابن عمه ورجلاً من كلّ لواء من ألوية المسلمين ، فاشتراط المهلب على سلم ألا يخبر أحداً بمهمته ، ثم مضى إلى سبيله ليلاً ، وكَمَن في موضع مستور ، واستطلع جيش العدو دون أن يشعر العدو بمكانه المخفي المستور .

ويبدو ان المسلمين افتقدوا المهلب في صلاة الفجر ، فما كان تغيب مثله ليخفى على أحد ، فألحوا على سلم بالسؤال وألحفوا عليه ، فما استطاع أن يكتم أمره وأخبرهم أنه أرسله ليلة أمس في مهمة استطلاعية !

وفشا الخبر بسرعة خاطفة في العسكر ، فأسرع جمع من المسلمين بالركوب وتوجّهوا إلى موضع المهلب المستور ، فكشفوا موضعه وموضع رجاله للعدو .

وأبصرهم المهلب مقبلين يتسابقون بدون نظام ، فلامهم أشدّ اللوم على ما أقدموا عليه ، لأنهم كشفوا جماعة استطلاعهم للعدو ، وعرضوهم لخطر محقق أكيد .

وأصبح موقف المهلب ومن معه من المسلمين في خطر محقق ، فبذل المهلب

قصارى جهده لمعالجة موقفه الخطير .

وأحصى المهلب المسلمين الذين التحقوا به ، فكانوا تسعمائة ، فقال : « والله لتندمنَّ على ما فعلتم ! » .

وحدث ما توقعه المهلب ، فما كاد ينظّم المسلمين صفوفاً ، حتى هاجمهم الترك وأبادوا منهم اربعمائة مجاهد ، ولاذ الباكون منهم بالفرار .

وأُحيط بالمهلب ومن بقي معه من مفرزته الإستطلاعية ذات العدد المحدود ، ولكنه ثبت ثباتاً راسخاً ، فالموت بالنسبة لأمثاله أهون من الفرار .

وصاح المهلب بصوته الجمهوري القوي مستغيثاً ، فسُمع صوته في معسكر المسلمين القريب ، الذي كان على بُعد نصف فرسخ من موضعه المواجه للعدو .

وبادر فوراً إلى نجدة فريق من قومه ، فشاغلوا الترك ريثما أقبل المسلمون خفافاً على عجل .

ونشب القتال بين الجانبين ، فقاتل المسلمون الترك حتى هزموهم هزيمة منكرة ، فتركوا ساحة القتال تاركين أموالهم وأثقالهم ، فغنمها المسلمون حتى أصاب كل فارس ألفين وأربعمائة درهم في رواية ، وعشرة آلاف درهم في رواية أخرى . وطارد المسلمون الترك المنهزمين ، فلم يتّج منهم إلاّ الشريد ، وكان من بين القتلى (بندون) أو (بيدون) الصغدئ ملك الصغد .

وأعادت خاتون الصلح مع سلم بن زياد ، فاستعاد فتح بخارى . وبعث سلم وهو بالصغد جيشاً إلى (خُجَنْدَة) وفيهم الشاعر أعشى همدان ، فهزّم المسلمون ، فقال الأعشى :

لَيْتَ خَيْلِي يَوْمَ الْخُجَنْدَةِ لَمْ يَهْـ زَمْ وَغَوْدِرْتُ فِي الْمُكْرِّ سَلَيْبَا
تَحْضُرُ الطَّيْرَ مَصْرَعِي وَتَرْوَحُ تُ إِلَى اللَّهِ فِي الدِّمَاءِ خَضِيْبَا
وعاد سلم إلى (مرو) بعد جهاد هذه السنة .

ويبدو أن سلم قطع النهر ثانية في سنة ثلاث وستين الهجرية (٦٨٢ م) ،
لأنه علم بأن الصغد قد جمعت له ، فقاتلها .

ومات يزيد بن معاوية سنة أربع وستين الهجرية (٦٨٣ م) ، فأخرج
سلم بن زياد من خراسان ، إذ اختاف المسلمون في خراسان ، فقال قائلهم :
« بش ما ظن سلم ، إن ظن أنه يتأمر علينا في الجماعة والفتنة !! » ، فرحل
عن خراسان .

ونشب الخلاف الشديد بين القبائل العربية في خراسان ، فأصبحت سيوفهم
عليهم لا على أعدائهم .

فتح أمية بن عبدالله

١- تولّى خراسان بعد سلم بن زياد عبدالله بن خازم السلمي ، فقد تلقى
عبدالله سلم منصرفه من خراسان بنيسابور ، فكتب له سلم عهداً على خراسان ،
وأعانه بمائة ألف درهم .

ولكنّ جمعاً كثيراً من بكر بن وائل وغيرهم رفضوا ولاية ابن خازم ،
فأغاروا على ثقله ، فقاتلوهم عنه حتى كفوا .

وأرسل سليمان بن مرثد أحد بني سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن عكابة
من المرائد بن ربيعة ، إلى ابن خازم أن العهد الذي معك لو استطاع صاحبه أن
يقيم بخراسان لم يخرج عنها ويوجهك ! .

ونزل سليمان بمشركة سليمان ، ونزل ابن خازم بمرو ، واتفقا أن يكتبا إلى
ابن الزبير ، فأيتهما أمره فهو الأمير .

وكتبا إلى عبدالله بن الزبير ، فولى عبدالله بن خازم خراسان ، فأبى سليمان
أن يقبل ذلك .

ونشب القتال بين الجانبين ، فقتل سليمان .

واجتمع فل سايماں إلى عمر بن مرثد بالطايقان ، فسار إلى ابن خازم ،
فقتل عمر .

واجتمعت ربيعة إلى أوس بن ثعلبة بهرة ، فسار إليه ابن خازم ، فاقتتلا
قتلاً شديداً ، وأصاب أوساً جراحات وهو عليل ، فمات بعد أيام .

واغتنتم الترك هذه الفرصة ، فكانت تغير على المسلمين ، حتى بلغت قرب
نيسابور ! !

وولى ابن خازم ابنه محمداً (هرة) ، فهاج بنو تميم وقتلوا محمداً ، فقتل
ابن خازم أحد رؤساء بني تميم وأحد رجالهم ، فأعلن بنو تميم الثورة على ابن خازم
وخلعوه .

وبعث عبد الملك بن مروان بولاية خراسان إلى ابن خازم ، فلم يقبل ولاية
عبد الملك ، لأنه تولى من عبدالله بن الزبير .

وقتل ابن خازم في معركة بينه وبين بكير بن وشاح الذي ولاه عبد الملك
خراسان بعد رفض ابن خازم لولايته .

وتعصب قوم لابن خازم ، ووقع الاختلاف ، وصارت طائفة مع بكير بن
وشاح ، وطائفة عليه ، فكتب وجوه خراسان وخيارهم إلى عبد الملك يعلمونه أنه
لا تصلح خراسان بعد الفتنة إلا على رجل من قريش .

٢- وفي سنة أربع وسبعين الهجرية (٦٩٣ م) استجاب عبد الملك بن مروان
لنصيحة وجوه خراسان وخيارهم ، فولاها أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد بن
أبي العيص بن أمية وعزل بكير بن وشاح عنها ، وكانت ولاية بكير
ستين .

وبذل أمية قصارى جهده في إصلاح ما فسد في خراسان حتى سنة سبع
وسبعين الهجرية (٦٩٦ م) ، فلما استتب له الأمر ، عزم على غزو بخارى
وإتيان مرسى بن عبدالله بن خازم المستقل في (الترمذ) ، لتوحيد خراسان كلها

والقضاء نهائياً على الانقسامات الداخلية التي أضعف المسامحين وأوقفت الفتح
وجرأت البلاد المفتوحة على العصيان .

وولى أمية ابنه على (مرو) ، وتوجه على رأس جيشه إلى بخارى ، ولكن
بكير بن وشاح انصرف إلى (مرو) وأخذ ابن أمية وحبسه ، فبلغ ذلك
أمية ، فصالح أهل بخارى على فدية قليلة ، واتخذ السفن ، وقد كان بكير
أحرقها ، واجع إلى (مرو) ، تاركاً موسى بن عبدالله بن خازم ، الذي قاتله
بكير ثم صالحه على أن يوليه أي ناحية شاء .

ووصل أمية إلى (مرو) ، وقاتل بكير بن وشاح ، وحاصر (مرو) أياماً ،
ثم صالح بكير بن وشاح .

وبلغ أمية أن بكير بن وشاح يريد خلعه ، فقتله أمية .

٣- وغزا أمية في أوائل سنة ثمان وسبعين الهجرية (٦٩٧ م) الخُتَل وقد
نقضوا بعد أن صالحهم سعيد بن عثمان بن عفان ، فافتتحها .

فتح المهلب بن أبي صفرة الأزدي

في سنة ثمان وسبعين الهجرية (٦٩٧ م) عزّل عبد الملك بن مروان عن خراسان
أمية بن عبدالله بن خالد وضمها إلى أعمال الحجاج بن يوسف الثقفي .
وبعث في هذه السنة الحجاج على خراسان المهلب بن أبي صفرة الأزدي
بعد أن فرغ من حرب الأزارقة .

وقطع المهلب سنة ثمانين الهجرية (٦٩٩ م) نهر بلخ على رأس جيش
تعداده ثمانية آلاف رجل ، فحاصر مدينة (كيش) ، فأناه ابن عم ملك
(الخُتَل) ودعاه إلى غزوها ، فوجه معه ابنه يزيد بن المهلب ، فحاصر يزيد
قلعة ملك الخُتَل ، فصالحوه على فدية حملت إليه ، ثم رجع يزيد إلى المهلب ،
وكانت الخُتَل قد انتقضت .

كما فتح خُجَنْدَة ، وأدّت إليه الصُّغد الأتاوة ، وغزا كيش وصالحها بعد

بعد حصار طويل ، كما غزا مدينة نَسَف .

لقد غزا المهلب غزوات كثيرة ، واستطاع أن يعيد الأمن والاستقرار إلى كثير من ربوع بلاد ما وراء النهر .

فتح يزيد بن المهلب

توفي المهلب بن أبي صفرة سنة اثنتين وثمانين الهجرية (٧٠١ م) ، فاستخلف ابنه يزيد بن المهلب ، فأقرّ الحجاج يزيد على خراسان .

وغزا يزيد مغازي كثيرة وفتح (البتّم) على يد مُخلّد بن يزيد بن المهلب . وغزا يزيد خُوارزَم وأصاب سبياً .

ولولا انشغاله بالفتن الداخلية ، لكان له في الفتوح شأن كبير .

فتح المفضل بن المهلب

وفي سنة خمس وثمانين الهجرية (٧٠٤ م) عزل الحجاج عن خراسان يزيد بن المهلب وولّى مكانه أخاه المفضل بن المهلب . وبقي المفضل في منصبه تسعة أشهر فقط ، ففتح (بادغيس) وقسد انتقضت ، كما فتح (سُومان) و (أخرون) ، وأصاب غنائم قسمها بين الناس ، ولكنّ أبرز أعمال المفضل وأبقاها ، هو قضاؤه على موسى بن عبدالله بن خازم الذي سيطر على بلاد ما وراء النهر لا ينازعه فيها أحد .

وقصة مرسى بن عبدالله طويلة لا صلة لها بالفتح ، فلما عزل يزيد بن المهلب وولي المفضل ، قرر أن يضع حداً لانفصال موسى بن عبدالله بن خازم عن الدولة الذي استمر خمس عشرة سنة ، فسير عثمان بن مسعود إليه ، وكتب إلى مُدرك بن المهلب وهو ببغداد يأمره بالمسير معه ، فعبر النهر في خمسة عشر ألفاً ، وكتب إلى السبل وإلى طرخون (١) فقدموا عليه ، فحصروا مرسى

(١) السبل : ملك الختل ، وطرخون ملك الصغد

وضيّقوا عليه وعلى أصحابه في (ترمذ) .

ومكث موسى شهرين في ضيق شديد ، وقد خندق عثمان عليه وحذر البيات ، فقال موسى لأصحابه : « اخرجوا بنا ، حتى متى نصبر ! فاجعلوا يومكم معهم ، إما ظفرتهم وإما قُتِلتم » .

وخرج موسى وأصحابه ، وخلف على المدينة النّضر بن عبدالله بن خازم ، وقال له : « إن قُتِلت فلا تدفعنّ المدينة إلى عثمان ، وادفعها إلى مُدرك بن المهلب » .

وجعل موسى ثلث أصحابه بإزاء عثمان ، وأمرهم ألاّ يقاتلوه إلّا إذا قاتلهم ، وقصد بمن معه لطرخون وأصحابه ، فصدّقوهم القتال ، فانهزم طرخون وأخذوا عسكرهم .

وزحفت الترك والصّغند ، فحالوا بين موسى وحصن ترمذ .

وقاتلهم موسى ، ففقدوا فرسه ، فسقط على الأرض ، فحمله أحد مواليه على فرسه ، فلما نظر إليه عثمان حين وثب قال : « وثبة موسى وربّ الكعبة » . وقصد عثمان إلى موسى ، وعقرت دابة موسى ، فسقط هو ومولاه ، فقتلوه . ونادى منادى عثمان : من لقيتموه فخذوه أسيراً ولا تقتلوا أحداً » ، فقتل ذلك اليوم من الأسرى خلقاً كثيراً من العرب خاصة ، فكان يقتل العرب ويضرب المولى ويطلق سراحه .

وقتل موسى سنة خمس وثمانين الهجرية ، بعد أن سيطر على بلاد ما وراء النهر خمس عشرة سنة لا ينازعه فيها منازع .

وبذلك مهّد المفضل لقتيبة أن يفتح ما شاء في بلاد ما وراء النهر ، فكان قتيبة حسنة من حسنات المفضل بلا مرأ .

فتح قُتَيْبَةِ بن مُسْلِمِ البَاهِلِيِّ

١- عزل الحجاج بن يوسف الثقفي عن خراسان المفضل بن المهلب سنة ست وثمانين الهجرية (٧٠٥ م) في خلافة الوليد بن عبد الملك ، وولى مكانه قُتَيْبَةَ بن مُسْلِمِ البَاهِلِيِّ ، فقدم قتيبة خراسان والمفضل يعرض الجند للغزاة . وعرض قتيبة الجند وحثهم على الجهاد وسار غازيا ، فلما كان بالطالقان أتاه دهاقين بلسخ وساروا معه ، فقطع نهر (جيحون) ، فتلقاه ملك الصغانيان بهدايا ومفاتيح من ذهب ، ودعاه إلى بلاده وسلمها إليه ، لأن ملك (شومان) و (آخرون) كان يسيء جواره .

وسار قتيبة إلى (آخرون) و (شومان) وهما من الصغانيان ، فصالحه ملكها على فدية أداها إليه ، فقبلها قتيبة ، ثم انصرف عائداً إلى (مرو) .

واستخلف قتيبة على الجند أخاه صالح بن مسلم ، ففتح صالح بعد رجوع قتيبة (كاشان) و (أورشت) وهي مدينة من مدن فرغانة ، وفتح (أخسيكث) وهي مدينة فرغانة القديمة .

وبهذا الفتح الكبير ، استهل قتيبة ولايته لخراسان سنة ست وثمانين الهجرية (٧٠٥ م) .

٢- وفي سنة سبع وثمانين الهجرية (٧٠٥ م) ، غزا قتيبة (بيكند) وهي أدنى مدائن بخارى إلى النهر ، فسار من (مرو) ، وأتى (مرو الروذ) ، ثم أتى (آمل) ، ثم مضى إلى (زم) ، فقطع النهر وسار إلى (بيكند) التي يقال لها : مدينة التجار ، على رأس المفازة من بخارى .

ولما نزل قتيبة بساحتهم ، استنصروا (الصغد) واستمدوا من حولهم ، فأتوهم في جمع كثير ، وأخذوا بالطريق ، فلم ينفذ لقتيبة رسول ولم يصل إليه رسول ولا خبر شهرين .

وأبطأ خبر قتيبة على الحجاج ، فأشفق على الجند ، وأمر الناس بالدعاء

لهم في المساجد ، وكتب بذلك إلى الأمصار .

وكان قتيبة يقاتل عدوه كل يوم ، وكان له عين من العجم ، فأعطاه أهل بخارى مالاً ليردّ عنهم قتيبة ، فأثاه وقال له سرّاً من الناس : « الحجّاج قد عزل ، وقد أتى عامل إلى خراسان ، فلو رجعت بالناس كان أصالح » ، فأمر بقتله خوفاً من أن يظهر الخبر ، فيهلك الناس ثمّ قال لرجل كان عنده هو ضرار بن حُصَيْن الضَّبِّي حين جاءه العين بهذا الخبر : « لم يبق أحد يعلم هذا الخبر غيري وغيرك ، وإني أعطي الله عهداً لأنّ ظهر هذا الحديث من أحد حتى تنقضي حربنا هذه لأُحقنك به ، فاملكُ لسانك ، فإنّ انتشار هذا الحديث يفتّ من اعضاء الناس » .

وأمر قتيبة أصحابه بالجدّ في القتال ، فقاتلهم قتالاً شديداً . وانهزم أعداؤه يريدون المدينة ، وأتبعهم المسلمون فشغلوهم عن دخول المدينة ، فتفرّقوا . وركبهم المسلمون في مطاردة عنيفة ، فقتلوا منهم منّ قتلوا ، وأسروا منهم منّ أسروا .

واعتصم منّ دخل المدينة وهم قليل ، فوضع قتيبة الفعلة لهدم سورها ، فسأله المحصورون الصلح ، فصالحهم واستعمل عليهم عاملاً .

وارتحل قتيبة عنهم يريد الرجوع ، فلما سار خمسة فراسخ ، نقضوا الصلح وقد تحصّنوا ، فقاتلهم شهراً ، ثم وضع الفعلة فنقبوا سورها ، فسألوهم الصلح فلم يقبل ، ودخل المدينة عنوةً ، وقتل منّ كان فيها من المقاتلة . وكان فيمن أخذوا في المدينة رجل أعور ، كان هو الذي استجاش الترك على المسلمين ، فقال لقتيبة « أنا أفدي نفسي » ، فقال سليم الناصح : « ما تبذل » ، فقال : « خمسة آلاف حريرة صينية قيمتها ألف ألف » ، فقال قتيبة : « ما ترون ؟ » ، فقالوا : « إنّ فداه زيادة في غنائم المسلمين ، وما عسى أن يبلغ من كيد هذا ؟ ! » ، فقال : « لا والله ! لا تروّع بك مسلمة أبداً » ، وأمر به ، فقتل .

اللواء الركن محمود شيت خطاب

وأصاب المسلمون في بيكند من آنية الذهب والفضة مالا يُحصى ، وأصابوا شيئاً كثيراً لم يصيبوا مثله حتى بخراسان .

ورجع قتيبة إلى (مرو) ، وقوي المسلمون فاشترى السلاح والخيول ، وجلبت إليهم الدواب . وتنافسوا في حسن الهيئة والعدة ، وغالوا بالسلاح حتى بلغ سعر الرمح سبعين درهما .

وكان في الخزائن سلاح وآلة من آلة الحرب كثيرة ، فكتب قتيبة إلى الحجاج يستأذنه في توزيع السلاح على الجند ، فأذن له . وأخرجوا ما كان في الخزائن من عُدّة الحرب وآلة السفر ، فقسّمه في الناس .

٣- استقرّ قتيبة في (مرو) أيام الشتاء للراحة وإنجاز الاستحضارات الإدارية لجيشه وإعداد رجاله للقتال ، فلما كانت أيام الربيع من سنة ثمان وثمانين الهجرية (٧٠٦ م) ، ندب الناس وقال : « إني أغزيكم قبل أن تحتاجوا إلى حمل الزاد ، وأنتقلكم قبل أن تحتاجوا إلى الإدفاء » ، فسار من (زَم) إلى بخارى ، فأتى (نَومشك) وهي من بخارى ، فصالحوه .

وسار قتيبة إلى (اميشن) ، فصالحه أهلها أيضاً ، فانصرف عنهم .

وفي طريق عودة قتيبة إلى (مرو) ، زحف إليه الترك ومعهم (الصغد) وأهل فرغانة في مائتي ألف بقيادة ملك الترك (كور بغانيون) ابن اخت ملك الصين ، فهدّوا السّاقة التي كانت بقيادة عبدالرحمن بن مسلم الباهلي ، وكان بينه وبين قتيبة وأوائل العسكر ميل واحد . ولما قرب العدو من السّاقة ، أرسل قائدها رسولاً إلى قتيبة يخبره بزحف الترك ، ولكنّ الترك هاجموا في أثناء ذلك وقاتلوه . وأتى الرسولُ قتيبةَ فرجع قتيبة بالناس ، وانتهى إلى السّاقة وهي مشتبكة بالقتال ، وقد كاد الترك يسحقونها .

وحين رأى الناس قتيبة ، طابت أنفسهم ، فصبروا وقاتلوا إلى الظهر ، وأبلى يومئذ (نيزك) وهو مع قتيبة ، فانهزم الترك .

ورجع قتيبة ، فقطع النهر عند (تَرْمِذ) ، وأتى (مرو) .

٤- أمر الحجاج سنة تسع وثمانين الهجرية (٧٠٧ م) بغزو بخاري ، وملكها يومئذ (وَرْدَان خُدَاة) الذي اغتصب الملك من طغشاد بن خاتون .

وعبر قتيبة النهر من (زَم) ، فلقبه الصغد وأهل كِشَّ ونَسَف في طريق المفازة وقاتلوه ، ولكنه انتصر عليهم .

ومضى إلى بخارى ، فنزل (خَرَقَانة) السفلى ، فلقوه بجمع كثيف ، فقاتلهم يومين وليلتين ، وانتصر عليهم .

وغزا (وردان خُدَاة) فلم يظفر بشيء ، فرجع إلى (مرو) .

وكتب قتيبة إلى الحجاج بخبره ، فكتب إليه الحجاج يأمره بالتوبة مما كان من انصرافه عن (وردان خُدَاة) قبل الظفر به ويعرفه الموضع الذي ينبغي أن يأتي بلده منه .

وفي سنة تسعين الهجرية (٧٠٨ م) ، خرج قتيبة من (مرو) غازيا ، فأرسل (وردان خُدَاة) إلى الصغد والترك ومن حولهم يستنصرهم ، فأتوه وقد سبق إليه قتيبة وحصره بحقيقته في يوم ردى

ووردت الامدادات إلى ملك بخارى ، فقالت الأزد : اجعلونا وحدنا وخلّوا بيننا وبين قتالهم . فقال قتيبة : « تقدّموا » فتقدّموا يقاتلونهم قتالا شديداً ، ولكنهم انهزموا حتى دخلوا عسكر قتيبة وجاوزوه فضرب النساء وجوه الخيل وبكين ، فكروا راجعين .

وأطبقت مجنبتا جيش المسلمين على الترك ، فقاتلوه حتى ردّوهم إلى مواقعهم السابقة .

ووقف الترك على نشر من الأرض ، فقال قتيبة : « من يزيلهم عن هذا الموضع ؟ ! » فلم يُقدم عليهم أحد ! فأتى قتيبة بني تَمِيم وقال لهم : « يوماً

كأيامكم . . . » ، فأخذ وكيعُ بن حَسَّان بن قيس التميمي اللواء وقال :
« يا بني تميم ! أتسلمونني اليوم ؟ ! » ، فقالوا : لا ، يا أبا مُطَرِّف » ، وكان
هُرَيْم بن أبي طَحْمَةَ المجاشعيّ على خيل بني تميم ، ووکیع رأسهم ، فقال
وكيع : « يا هريم ! قدّم خيلك . . . » ، ودفع إليه الراية . وتقدّم هريم ،
في الرجالة فأنتهى هريم إلى نهر بينهم وبين الترك ، فوقف ، فقال له وكيع :
« إقحم يا هريم ! » ، فضرب هريم فرسه وأقحمه ، وعبر بالخيّل .

وانتهى وكيع إلى النهر ، فشدّ عليه جسراً من خشب ، وقال لأصحابه :
« مَنْ وَطَّن نفسه على الموت ، فليعبر ، وإلاّ فليثبت مكانه » ، فمأبر معه
إلاّ ثمانمائة رجل .

ودنا وكيع من العدو ، فقال لهريم : « إني مطاعنهم ، فأشغلهم عنا بالخيّل » ،
فطاعنهم ولم يزالوا يقاتلونهم حتى أراحوهم عن مواضعهم .
ونادى قتيبة : « أما ترون العدو منهزمين ! ؟ » ، فأتبعهم الناس .
ونادى قتيبة : « مَنْ جَاءَ بِرَأْسٍ فَلَهُ مِئَةٌ » ، فَأَتَى بِرُؤُوس كثيرة ، وجرح
يومئذٍ . (خاقان) ملك الترك وابنه .

وفتح الله على المسلمين بخارى ، فكتب بالفتح إلى الحجّاج .

٥- وقضى قتيبة سنة إحدى وتسعين الهجرية (٧٥٩ م) في القضاء على
فتنة (نيزك) (١) طرخان أحد ملوك الأعاجم الذين نقضوا العهد وخانوا الذمة
وفي هذه السنة أيضاً ، سار قتيبة إلى (شومان) ، وكان سبب ذلك أن
ملكها طرد عامل قتيبة من عنده ، فأرسل قتيبة رسولين : أحدهما من العرب اسمه
عِيَّاش بن عبد الله الغنويّ ، والآخر من أهل خراسان ، يدعوان ملك (شومان)
إلى أن يؤدي ما كان عليه ، فقدم (شومان) ، فخرج أهلها ورموهما ، فانصرف

(١) صاحب باذغيس ، انظر ابن الاثير (٥٢٧/٤)

الخرساني ، وقتلهم عيَّاش ، فقتلوه ، ووجدوا به ستين جراحة .
وباغ قتيبة قتله ، فسار إليهم بنفسه ، فلما أتاه أرسل صالح بن مسلم أخاه
إلى ملكها - وكان صديقاً له ، يأمره بانطاعة ويضمن له رضا قتيبة إن رجع
إلى الصلح ، فأبى وقال : « أتخوفني من قتيبة ، وأنا أمنع الملوك حصناً ؟ ! » ،
فأتاه قتيبة وقد تحصَّن ببلده ، فوضع عليه المجانيق ، ورمى الحصن ، فهشمه .
وخاف الملك أن يظهر عليه قتيبة ، فجمع ما في الحصن من مال وجوهر ،
ورمى به في بئر بالقلعة لا يُدرك قعرها ، ثم فتح القلعة وخرج إلى المسلمين
فقاتلهم حتى قُتل .

وفتح قتيبة القاعة عَنَوَة ، فقتل المقاتلة وسبى الذرية .
وسار إلى (كِش) و (نَسَف) ، ففتحهما صلحا .
وامتنعت عليه (الفَارِيَّاب) ، فأحرقها ، فسميت المتحركة .
وسير من (نَسَف) و (كِش) أخاه عبدالرحمن إلى (الصُّغْد) وملكها
لقبه (طرخون) ، فقبض عبدالرحمن من طرخون ما كان صالحه عليه قتيبة ،
ورجع إلى قتيبة ببخارى ، فرتجعوا إلى (مرو) .

٦- وقضى قتيبة سنة اثنتين وتسعين الهجرية (٧١٠ م) في غزو سِجِسْتَان ،
فصالح أهلها واستعمل عليها أحد رجاله .

وفي سنة ثلاث وتسعين الهجرية (٧١١ م) ، صالح قتيبة ملك خُوَارِزْم ،
وكان سبب ذلك ، أن الملك كان ضعيفاً ، فغلبه أخوه (خُرَّزَاد) الذي كان
أصغر منه على أمره ، وعاث في الرعيَّة وسلبهم أموالهم وأهليهم ، فكتب ملك
خوارزم إلى قتيبة يدعوه إلى أرضه ليسلمها إليه ، على أن يمكِّنه من أخيه
وأصحابه ليحكم فيهم بما يرى .

ولم يُطاع ملك خوارزم أحداً من مرارته على ذلك ، فأجابه قتيبة إلى ما طالب ،
وتجهَّز للغزو .

وأظهر أنه يريد الصغد، فأقبل أهل خوارزم على شأنهم ، ولم يحتفلوا بغزوه
وفجأة نزل قتيبة بجيشه قريباً من خوارزم ، فجاء أصحاب ملك خوارزم إلى
ملكهم ودعوه للقتال ، فقال : « ليس لنا به طاقة ، ولكن نصالحه على شيء
نعطيه كما فعل غيرنا » ، فوافقوه .

وسار ملك خوارزم حتى نزل بمدينة (الفيّل) - وكانت مدينة خوارزم
وهي أحصن بلاده ، فصالح قتيبة على عشرة آلاف رأسٍ وعيّنٍ ومتاع ، وعلى
أن يعينه على (خام جرد) ، فقبل قتيبة ذلك ، وقيل : صالحه على مئة ألف
رأس .

وبعث قتيبة أخاه عبدالرحمن إلى (خام جرد) ، وكان يُغازي ملك خوارزم ،
فقاتله وقتله وغلب على أرضه .

وسلم قتيبة إلى ملك خوارزم أخاه ومن كان يخالفه من أمرائه ، فقتلهم
ودفع أموالهم إلى قتيبة .

٧- وفي سنة ثلاث وتسعين الهجرية (٧١١م) أيضاً ، سار إلى (سمرقند)
فبعد أن قبض صالح خوارزم ، قام إليه المُجشّر بن مُزاحم السَلَمِيّ وقال
له سِرّاً : « إن أردت الصغد يوماً من الدّهر ، فالآن ، فانهم آمنون من أن تأتيهم
من عاملك هذا ، وإنما بينك وبينهم عشرة أيام » . فقال قتيبة : « أشار بهذا
عليك أحد ؟ » ، قال « لا ! » ، قال : « فأعلمته أحداً ؟ » ، قال : « لا ! »
فقال قتيبة : « والله لئن تكلم به أحد ، لأضربنّ عنقك » .

وأقام قتيبة يومه ذلك ، فلما أصبح من الغد ، دعا أخاه عبدالرحمن وقال :
« سِرّ في الفرسان والرماة ، وقدّم الأثقال إلى (مرو) » ، فوجّه الأثقال إلى (مرو) ،
ومضى عبدالرحمن يتبع الأثقال يريد (مرو) يومه كلّه ، فلما أمسى كتب
إليه قتيبة : « إذا أصبحت ، فوجّه الأثقال إلى (مرو) » ، وسرّ بالفرسان والرماة
نحو الصغد ، واكتم الأخبار ، فإني بالأثر .

وبلغ قتيبة الصغد بعد عبدالرحمن بثلاثة أيام أو أربعة ، وقدّم معه أهل خوارزم وبخارى ، فحصرهم شهراً ، وقاتلهم في حصارهم مراراً من وجه واحد . وكتب أهل الصغد إلى ملك الشّاش وملك فرغانة : « إنّ العرب إن ظفروا بنا عادوا عليكم بمثل ما أتونا به ، فانظروا لأنفسكم ، ومهما كان عندكم من قوّة فابذلوها » .

واستقرّ رأيا ملكي الشّاش وفرغانة على إمداد أهل الصغد ، فأرسلوا إليهم : « أرسلوا من يشغلهم حتى نبيّت عسكرهم » ، وانتخبوا من أولاد الملوك وأهل النجدة من أبناء المرازبة والأساورة والأبطال ، وأمرهم أن يأتوا عسكر قتيبة ويبيّتوه ، لأنه مشغول عنهم بحصار سمرقند .

وبلغ قتيبة الخبر ، فانتخب من عسكره اربعمائة مجاهد ، وقيل : ستمائة مجاهد من أهل النجدة والشّجاعة وأعلمهم الخبر ، وأمرهم بالمسير إلى عدوهم ، فساروا وعليهم أخوه صالح بن مسلم ، ونزلوا على فرسخين من العسكر على طريق القوم .

وأرسل صالح عيونه ، فأخبروه أنّ العدو سيصل إليه ليلاً ، ففرّق خيله ثلاث فرق : جعل كمينين في موضعين ، وأقام هو وبعض فرسانه على قارعة الطريق . وطرقهم العدو ليلاً وهم لا يعلمون بمكان صالح ، وهم آمنون في أنفسهم من أن يلقاهم أحد دون العسكر ، فلم يعلموا بصالح حتى غشوه ، فشدّوا على قوّته حتى إذا اختلفت الرماح بينهم خرج الكمينان فقاتلوا العدو . قال أحدهم : « إنّنا لنقاتلهم إذ رأيت تحت الليل قتيبة وقد جاء سرّاً ، فضربتُ ضربة أعجبتني ، فقلت : كيف ترى بأمي وأبي ؟ ! فقال : اسكت ! فضّ الله فاك » .

واستطاع فرسان صالح أن يتغلّبوا على عدوهم ، فلم يفلت منهم إلاّ الشريد ، وأسروا بعض الأسرى ، وغنموا خيلهم وسلاحهم .

وعلم الصغد باندحار القوة التي جاءت مدداً لهم ، فأثر ذلك في معنوياتهم أسوأ الأثر .

٨- ونصب قتيبة حول سمرقند المجانيق ، فرماها بها وثام ثامة فسدوها بغرائر الدُّخُن ، وقام عليها رجل ، فشم قتيبة . وكان مع قتيبة قوم رماة ، فأمر قتيبة رجلاً منهم رمى شاتمته ، فلم يخطئ عينه .

وسمع قسم من المسلمين قتيبة وهو يناجي نفسه بقوله : « حتى متى يا سمرقند ، يعشعش فيك الشيطان لي ؟ ! أما والله لئن أصبحت لأحاولن من أهلك أقصى غاية » .

وأصبح قتيبة ، وميز أهل البأس ، فجمعهم يعرضهم بنفسه . ودعا العرفاء ، فجعل يدعو برجل ، فيقول : « ما عندك ؟ » ، فيقول العريف : « شجاع » ، ويقول : « ما هذا ؟ » ، فيقول : « مختصراً » ، ويقول : « ما هذا ؟ » ، فيقول « جبان ! » ، فأخذ قتيبة خيل الجبناء وجيّد سلاحهم ، وأعطاه الشجعان والمختصرين ، وترك للجبناء تحت السلاح .

وأمر الناس بالجدّ في القتال ، فقاتلوههم أشدّ القتال .

وأمرهم قتيبة أن يبلغوا ثامة المدينة قائلاً : « ألحوا عليهم حتى تعبروا على الكلمة فقاتلهم حتى صاروا على ثامة المدينة .

ورماهم الصغد بالنشاب ، فوضعوا أترستهم على وجوههم ولم يبرحوا ، فأرسل الصغد إلى قتيبة من يقول له : « انصرف عنا اليوم ، حتى نصالحك غداً » ، فقال قتيبة : « لا نصالحهم إلاّ ورجالنا على الثمة » ، وقيل بل قال : « جزع العبيد ! انصرفوا على ظفركم » . .

وصالحهم قتيبة من الغد على ألفي ألف ومائتي ألف مثقال في كل عام ، وأن يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف فارس ، وأن يخلوا المدينة لقتيبة فلا يكون لهم

فيها مقاتل ، فيني فيها مسجداً ، ويدخل ويصلي ويخطب ويتغدى ويخرج .
وتمّ الصلح ، وأخلوا المدينة ، وبنوا المسجد ، فدخل قتيبة سمرقند في أربعة
آلاف انتخبهم ، فصلّى في المسجد ، وخطب ، وأكل طعاماً ، ثمّ أرسل إلى
الصغد : « من أراد منكم أن يأخذ متاعه فليأخذه ، فإنني لست خارجاً منها ،
ولست أخذ منكم إلاّ ما صالحتكم عليه ، غير أنّ الجند يقيمون فيها » .

وقيل : إنّ شرط عليهم في الصلح مئة ألف فارس وبيوت النيران وحلّة
الأصنام ، فقبض ذلك ، فكانت كالقصر العظيم ، فأخذ ما عليها وأمر
بأحراقها ، فجاءه (غوزك) ملك الصغد ، فقال : « إنّ شركك عليّ واجب !
لا تتعرض لهذه الأصنام ، فإنّ فيها أصناماً من أحرقها هلك ! ! » ، فقال
قتيبة : « أنا أحرقها بيدي » ، فدعا بالنار ، ثمّ كبّر ، وأشعلها ، فاحترقت ،
فوجدوا من بقايا مسامير الذهب خمسين ألف مثقال ! !

وصنع (غوزك) طعاماً ، ودعا قتيبة ، فأثابه في عددٍ من أصحابه ، فلما
تغدى قال للملك : « انتقل عنها » ، يعني عن سمرقند ، فانتقل (غوزك) عنها .
وأرسل قتيبة إلى الحجّاج بفتح سمرقند ، ثمّ رجع إلى (مرو) .

وكان أهل خراسان يقولون : إنّ قتيبة غدر بأهل سمرقند ، فملكها غدرًا .

٩- وفي سنة أربع وتسعين الهجرية (٧١٢ م) ، قطع قتيبة نهر جيحون ،
وفرض على أهل بخارى وكيش ونسّف وخوارزم عشرين ألف مقاتل ، فساروا
معه فوجّهم إلى الشّاش ، وتوجّه هو إلى فرغانة .

واصطدم قتيبة بالعدو في (خُجَنْدَة) حيث جمع له أهلها ، فلقوه واقتتلوا
مراراً ، في كلّ مرة يكرن الظفر للمسلمين .

وفتح الجند الذين ساروا إلى الشّاش الاقليم وهذه المدينة وأحرقوها ، ثمّ
رجعوا إلى قتيبة ، فرجع بالنّاس إلى (مرو) .

١٠- وبعث الحجاج سنة خمس وتسعين الهجرية (٧١٣ م) إلى قتيبة جيشاً من العراق ، فغزا بهم ، فلما كان بالشّاش أتاه موتُ الحجاج ، فغمته ذلك وقفل راجعاً إلى (مرو) .

وتفرّق الناس ، فخلّف في بخارى قوماً ، ووجه قوماً إلى كِشّ ونَسَف . وفي (مرو) أتاه كتاب الوليد بن عبد الملك : « وقد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجدّك واجتهادك في جهاد اعداء المسلمين ، وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك الذي يجب لك ، فأتيمّ مغازيك ، وانتظر ثواب ربك ، ولا تغبّ عن أمير المؤمنين كتبك ، حتى كأني أنظر إلى بلائك والثغر الذي أنت فيه » .

١١- وفي سنة ست وتسعين الهجرية (٧١٤ م) ، غزا قتيبة (كاشغر) وهي أدنى مدائن الصين ، فسار وحمل مع الناس عيالاتهم ليضعهم في سمرقند ، فلما عبر النهر استعمل رجلاً على معبر النهر ليمنع من يرجع من جنده إلاّ بجواز منه . . . ومضى إلى فرغانة ، وأرسل إلى شعب يؤدي إلى (كاشغر) من يسهل الطريق إليها .

وبعث قتيبة مقدّمته إلى (كاشغر) ، فغنموا وسبوا .

وأوغل قتيبة حتى قارب الصّين ، فكتب إليه ملك الصّين : « إبعث إليّ رجلاً شريفاً يخبرني عنكم وعن دينكم » ، فاختر قتيبة اثني عشر رجلاً لهم جمال وألسن وبأس وقتل وصلاح ، وأمر لهم بعدّة حسنة ومتاع حسن من الخبز وغير ذلك وخيول حسنة ، وكان منهم هُبَيْرَة بن المُشَمَّرَج الكِلَابِيّ مفوّهاً سايط اللّسان ، وقال لهم : « إذا دخلتم على ملك الصّين ، فأعلموه أنني قد حلفت : أنني لا أنصرف حتى أطأ بلادهم ، وأختم ملوكهم ، وأجبي خراجهم » .

وسار وفد قتيبة عايهم هُبَيْرَة ، فلما قدموا الصّين ، دعاهم ملكها ، فلبسوا ثياباً بياضاً تحتها الغلائل ، وتطيّبوا ولبسوا النّعال والأردية ، ودخلوا عليه

عظماء قومه ، فجلسوا فام يكلمهم الملك ولا أحد ممن عنده . وقال الملك لمن حضره بعد انصراف الوفد : « كيف رأيتم هؤلاء ؟ ! » ، فقالوا : « رأينا قوماً ما هم إلا نساء ! ما بقى منا أحد حين رأهم ووجد رائحتهم إلا انتشر ما عنده » .

وفي غد دعاهم ، فلبسوا الوشى وعمائم الخز والمطارف (ألبسة من خز مربعة لها أعلام) وغدوا عليه ، فلما دخلوا قيل لهم : « ارجعوا » . وقال الملك لأصحابه : « كيف رأيتم هذه الهيئة ؟ » ، فقالوا : « هذه أشبه بهيئة الرجال من تلك » .

وفي اليوم الثالث دعاهم ، فشدوا سلاحهم ولبسوا البيض (الخوذ) والمغافر (جمع مغفر وهو زرد ينسج على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة) وأخذوا السيوف والرماح والقسي وركبوا ، فنظر إليهم ملك الصين ، فرأى أمثال الجبال مقبلة - فلما دنوا ركزوا رماحهم ثم أقبلوا نحوهم مشمرين ، فقيل لهم قبل أن يدخلوا : « ارجعوا » ، لئلا يدخل في قلوبهم من خوفهم ، فانصرفوا راكبين خيولهم ، وأخذوا رماحهم ، ودفعوا خيلهم كأنهم يتطاردون ، فقال الملك لأصحابه : « كيف ترونهم ؟ » ، فقالوا : « ما رأينا مثل هؤلاء ! ! » .

وفي مساء نفس اليوم ، بعث ملك الصين إليهم : « ابعثوا إلي زعيمكم » ، فبعثوا إليه هبيرة ، فقالوا له : « قد رأيتم عظم ملكي ، وأنه ليس أحد يمنعكم مني ، وأنت في يدي بمنزلة البيضة في كفي ، وإني سائلكم عن أمر ، فإن لم تصدقوني قتلتمكم » . فقال : « اسأل » ، فقال : لئما صنعتما ما صنعتما في الزي في الأول والثاني والثالث ؟ » ، فقال : « أما زيّنا الأول ، فاباسنا في أهاليّنا وريحنا عندهم . وأما يومنا الثاني فإذا أتينا أمراءنا . وأما الثالث فزيّنا لعدونا » . فقال : « ما أحسن ما دبّرتم دهركم ، فانصرفوا إلى صاحبكم ، فقولوا له ينصرف ، فإنني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه وإلا بعثت عايكم من يهلككم ويهلكه » ، فقال هبيرة : « كيف يكون قايل الأصحاب من أول خياه في بلادك

وآخرها في منابت الزيتون ؟ ! وكيف يكون حريصاً مَنْ خَلَفَ الدنيا قادراً عليها وغزاك ؟ ! وأما تخويفك لنا بالقتل ، فإنّ لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل ، فلسنا نرهبه ولا نخافه ! ! » . قال : « فما الذي يرضى صاحبك ؟ » ، قال : « إنه قد حلف ألاّ ينصرف حتى يطأ أرضكم ويختتم ملوكهم ويُعطى الجزية » ، قال الملك : « فإنّا نخرجه من يمينه : نبعث إليه بتراب من تراب أرضنا فيطأه ، ونبعث أبناءنا فيختتمهم ، ونبعث لهم بجزية نرضاها » .

ودعا الملك بصحاف من ذهب فيها تراب ، وبعث بحريز وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ، ثم أجاز الوفد فأحسن جوائزهم ، فقدموا على قتيبة ، فقبل الجزية ، وختم الغلمان وردّوهم ، ووطئ التراب .

وفي هذه الغزاة ، وصل الخبر إلى قتيبة بموت الوليد بن عبد الملك وتولي سليمان ابن عبد الملك مكانه ، فعاد قتيبة أدراجه ، فقتل في فرغانة .

فتح عبدالرحمن بن مسلم الباهلي

١- كان عبدالرحمن من أقوى أعوان أخيه وأخلصهم ومن أبرز قاداته الذين عاونوه في تحمّل أعباء واجباته قائداً فاتحاً وإدارياً .

وقد شهد عبدالرحمن تحت لواء أخيه قتيبة غزواته كافة قائداً مرؤوساً تحت إمرة قتيبة تارة ، وقائداً مستقلاً تارة أخرى .

ففي سنة ثمان وثمانين الهجرية (٧٠٦ م) ، سار قتيبة إلى (ارميشن) بالقرب من بخارى فصالحه أهلها .

وانصرف قتيبة إلى (مرو) ، وفي طريق عودته زحف إليه الترك ومعهم الصغد وأهل فرغانة في مائتي ألف بقيادة ملك الترك (كوربغانيون) ابن أخت ملك الصين ، فهدّوا السّاقة التي كانت بقيادة عبدالرحمن . وكان بين السّاقة وقتيبة الذي كان على رأس (القسم الأكبر) من الجيش ميل واحد ، فلما

قربوا من السّاقة ، أرسل عبدالرحمن رسولاً إلى قتيبة يخبره بزحف الترك ، واكنّ الترك هاجموا السّاقة في أثناء ذلك وقاتلوه .

وأتى الرسول قتيبة ، فرجع بالناس ، وانتهى إلى السّاقة وهي مشتبكة بالقتال ، وقد كاد الترك يسحقونها سحقاً ، فلما رأى الناس قتيبة طابت أنفسهم فصبروا وقاتلوا إلى الظهر ، حتى انهزم الترك .

٢- وفي سنة تسعين الهجرية (٧٠٨ م) وسنة إحدى وتسعين الهجرية (٧٠٩ م) ، كان لعبدالرحمن نشاط مرموق في القضاء على انتفاض (نيزك) ملك طخارستان ، واستعادة السيطرة على هذه البلاد ، وقتل (نيزك) في آخر المطاف .

وفي هذه السنة أيضاً ، أي سنة إحدى وتسعين الهجرية ، سير قتيبة أخاه عبدالرحمن إلى الصّغد وملكها طرخون ، فقبض عبدالرحمن من طرخون ما كان صالحه عليه قتيبة ورجع إلى (مرو) .

٣- وفي سنة ثلاث وتسعين الهجرية (٧١١ م) ، صالح قتيبة ملك (خوارزم) على أن يعينه على (خام جرد) أيحد ملوك منطقة من مناطق خوارزم ، وكان يعادي ملك خوارزم ويسبّب له المشاكل ويغازيه .

وبعث قتيبة عبدالرحمن إلى بلاد الملك (خام جرد) في خوارزم ، فقاتل عبدالرحمن (خام جرد) وقتله وغلب على أرضه .

٤- وفي سنة ثلاث وتسعين الهجرية (٧١١ م) أيضاً ، دعا قتيبة أخاه عبدالرحمن بعد صلح خوارزم ، وقال له : « سير في الفرسان والرماة ، وقدم الأتقال إلى مرو » ، فوجه عبدالرحمن الأتقال إلى مرو ، ومضى يتبع الأتقال يريد مرو أيضاً ، فأمضى اليوم كله ، فلما أمسى كتب إليه قتيبة : « إذا أصبحت فوجه الأتقال إلى مرو ، وسير بالفرسان والرماة نحو الصّغد ، واكتم الأخبار ، فأنني بالآثر » .

و بلغ قتيبة (الصُّغْد) بعد عبدالرحمن بثلاث ايامٍ أو أربع ، وبعد قتال عنيف وحصار طويل ، صالحهم قتيبة ودخل (سمرقند) .

فتح صالح بن مُسْلِم الباهليّ

١- كان صالح السّاعد الأيمن لأخيه قتيبة ، شهد معه معاركه التي خاضها كافة في الفتوح .

ففي سنة ست وثمانين الهجرية (٧٠٥ م) ، انصرف قتيبة إلى (مرو) بعد استعادة طخارستان ، فاستخلف على الجند أخاه صالحاً ، ففتح صالح بعد رجوع قتيبة إلى (مرو) مساحات شاسعة من إقايم (فَرْغَانَة) : (كاشان) و (أورشت) و (أَخْسِيْكْت) بما وراء النهر .

٢- وفي سنة إحدى وتسعين الهجرية (٧٠٩ م) ، سار قتيبة إلى (سُومَان) لتأديب ملكها الذي طرد عامل المسلمين من سُومَان ، فلما أتاه أرسل أخاه صالحاً إلى ملكها ، وكان صالح صديقاً للملك ، فأمره بالطاعة وضمن له رضا قتيبة إن رجع إلى الصلح ، ولكن الملك أبى وقال : « تخوِّفني من قتيبة ، وأنا أُمْنَع الملوک حصناً ؟ ؟ » ، فأتاه قتيبة وقد تحصّن ببلاده ، فوضع عليه المجانيق ورمى الحصن فهشمه .

وخاف الملك أن يظهر عليه قتيبة ، فجمع ما في الحصن من مال وجوهر ، ورمى به في بئر بالقلعة لا تدرك ، ثمّ فتح باب القلعة وخرج إلى المسلمين فقاتلهم حتى قُتِل .

٣- وفي سنة ثلاث وتسعين الهجرية (٧١١ م) قصد قتيبة الصُّغْد بعد أن صالح خُوارزْمِشاه وقبض صالح خُوارزْم ، فأمد أهل الشّاش وفَرْغَانَة أهل الصُّغْد ، وأرسلوا إليهم : « أرسلوا مَنْ يشغلهم ، حتى نبئت عسكرهم » ، وانتخبوا من أولاد الملوک وأهل النجدة من أبناء المرازبة والأساورة والأبطال ، وأمروهم أن

يأتوا عسكر قتيبة ويبيّتوه ، لأنه مشغول عنهم بحصار سمرقند .

وبلغ قتيبة الخبر ، فانتخب من عسكره أربعمئة رجل ، وقيل : ستمائة رجل من أهل النجدة والشّجاعة ، وأعلمهم الخبر ، وأمرهم بالمسير إلى عدوهم . وسار هؤلاء الرجال المنتخبون وعليهم أخوه صالح ونزلوا على فرسخين من معسكر أعدائهم على طريق القوم .

وأرسل صالح عيونه ، فأخبروه أنّ العدو سيصل إليهم ليلاً . وفرّق صالح خيله ثلاث فرق : جعل كمينين في موضعين ، وأقام هو وبعض فرسانه على قارعة الطريق .

وطرقهم العدو ليلاً وهم لا يعلمون بمكان صالح ، وهم آمنون في أنفسهم من أن يلقاهم أحد دون معسكر قتيبة ، فلم يعلموا بصالح حتى غشوه .

وشدّ العدو على فرسان صالح ، حتى إذا اختلفت الرماح بينهم ، خرج الكمينان اللذان جعلهما صالح في موضعين مختلفين حسب الخطّة المرسومة ، فاقتتلا قتالاً شديداً .

واستطاع فرسان صالح أن يتغلبوا على عدوهم ، فلم يفلت منهم إلاّ الشريد ، وأسروا بعض الأسرى ، وغنموا خيلهم وسلاحهم .

وعام الصغد باندحار القوّة التي جاءت مدداً لهم ، فأثر ذلك في معوياتهم تأثيراً سيئاً وفتّ في عضدهم ، مما اضطرهم إلى الصلح .

ودخل المسلمون سمرقند صلحاً ، وكان لصالح في فتح هذه المدينة أثر كبير .

عبرة الفتح واستعادة الفتح

كثيراً ما قرأنا في كتب المؤرخين الأجانب وبحوثهم ، أنّ أسباب انتصار الفاتحين في الفتح واستعادة الفتح هو : « لعدم وجود جيش منظم قوي ، يستطيع صدّ الفتح الإسلامي ويحمي البلاد المفتوحة ، ولأنّ الحرب الساسانية البيزنطية

قد استنزفت قوى الدواتين ، وأنّ مصاولة الفاتحين اقتصر على السكّان المحليين بطاقتهم المحدودة » ، كما يردّد قسم من المستشرقين المغرضين ويردّد أعداء العرب والمسلمين من المؤرخين الأجانب .

ومن المؤسف حقاً ، أنّ قسماً من المؤرخين العرب والمسلمين ، نقلوا نقلاً حرفياً بكل أمانة ، مزاعم أوائلك الأعداء والمغرضين إلى المدارس والمعاهد العربية والإسلامية والجامعات ، فسمّوا بها أفكار التلاميذ العرب والمسلمين والطلاب والقراء بمزاعم باطلة لا يقرّها المنطق ولا يصدّقها العقل وتناقض وقائع التاريخ . والهدف من هذه المزاعم ، هو التهوين من شأن الفتح الإسلامي الذي يعتبره المسلمون من أول مفاخرهم ، والتهوين من شأن الفاتحين باعتبار أنّ الفتح كان سهلاً يستطيع النهوض به غيرهم ، والتهوين من أثر الإسلام عقيدة بدّلت العقول والنفوس من حال إلى حال .

وبمجرد قراءة فتح بلاد ما وراء النهر وحدها ، نجد مثلاً حياً عملياً ينطبق على فتوح البلاد الأخرى ، يوضّح ما عاناه المسلمون في الفتح واستعادة الفتح ، فقد لاقى المسلمون مقاومة عنيفة جداً ، ولم يحققوا النصر إلاّ بالتضحيات الجسام . لقد قاومت البلاد المفتوحة بضراوة وعنف شديدين ، ولعلّ من أسباب تلك المقاومة : مناعة البلاد الطبيعية والاصطناعية ، وتفوّق المقاومين من أهل البلاد على الفاتحين عدّاداً وعدّاداً ، والدفاع عن النفس والعقيدة والتقاليد ، ودفاع الحكّام عن سلطتهم وسلطانهم .

كما أنّ طول خطوط مواصلات المسلمين ، وتغلغلهم بعيداً عن قواعدهم الرئيسة والأمامية والمتقدّمة ، ساعد أعداءهم على مقاومتهم بشدّة وعنّف . لقد كانت كلّ العوامل العسكرية المتميّزة إلى جانب أعداء المسلمين ، ولكنّ المسلمين كانوا متفوّقين على أعدائهم بالعقيدة الراسخة ، فكانت انتصاراتهم انتصارات عقيدة بلا مرأ .

وفي الوقت الذي كان غزو الإسكندر المقدوني والفرس والروم والتتار والاستعمار الحديث سحابة صيف ، لأنه ليس فتحاً بل استعباداً ، بقي الفتح الإسلامي فتحاً مستداماً في أيام قوّته وأيام ضعفه أيضاً ، وسيبقى واضح المعالم بارز الأثر في البلاد المفتوحة ما بقي التاريخ والبشر في الأرض ، لانه فتح مبادئ لا فتح سيوف ، والمبادئ تبقى والقوة تزول .

إنّ الفتح الإسلامي ، واستعادة الفتح ، لم يكن نزهة للترفيه كما يصوّره المغرضون والحاقدون والجهلة ، وكما يردده المستشرقون والمستغربون ، بل كان فتح عقيدة راسخة منشئة ببناءة ذات عنها حماة قادرون من قادة الفتح وجنوده وقادة الفكر وجنوده معاً .

تلك هي العبرة الأولى ، تفضح ادعاءات أعداء العرب والمسلمين ومن سار على نهجهم من العرب والمسلمين عمداً أو جهلاً .

والعبرة الثانية ، هي أنّ المسلمين لا يُكرهون غيرهم على اعتناق الإسلام ، فقد بقيت (الخاتون) مثلاً على دينها خمسين سنة تحكم في ظلّ الفتح الإسلامي ، ومن الواضح أنّ المسلمين كانوا يستطيعون إكراهها على اعتناق الإسلام ، وكانت تستجيب للوعد والوعيد ، ولكنهم لم يفعلوا ، وإنّ يفعلوا : (لا إكراه في الدين ، قد تبين الرُّشْدُ من الغي) .

وقد اعتنق ابن الخاتون الإسلام من بعدها ، وقاتل مع المسلمين ، وسمّى ابنه : قتيبة ، ولم يذكر أحدٌ أنه أُجبر على اعتناق الدين الجديد .

وكان بإمكان المسلمين الفاتحين إكراه الأمم المغلوبة على أمرها لاعتناق الدين الإسلامي ، ولكنهم لم يفعلوا . وأكبر دليل على تسامح المسلمين وتطبيقهم مبدأ : حرية العقيدة ، هو بقاء كثير من الأديان الغابرة التي كانت قبل الإسلام موجودة حتى اليوم في بلاد المسلمين المفتوحة وبين مجتمع الأغلبية من المسلمين الفاتحين .

وإذا صحّ افتراء المغرضين المتهافت ، أنّ الإسلام انتشر بالسيف في البلاد المفتوحة ، فكيف إذا انتشر هذا الدين في البلاد غير المفتوحة في الشرق والغرب ؟ ! مع العلم أنّ تعداد المسلمين في البلاد غير المفتوحة ، هي أكبر من تعدادهم في البلاد المفتوحة ، كما تدل على ذلك أحدث الإحصائيات .

وكيف أصبح التتار مثلاً مسلمين بعد أن اكتسحوا البلاد الإسلامية ، وكانوا هم الغالبين ، وكان المسلمون هم المغلوبين ؟ ! .

وحين انتصر الإسبان في الأندلس على المسلمين ، أجبروا المسلمين على التنصّر بالقسر والضغط والشدة ومحاكم التفتيش ، كما يشهد على ذلك كلّ المؤرخين الأسبان والأجانب ، ولا نقول كما يشهد المؤرخون العرب والمسلمون !

ولو كان المسلمون يُكرهون أحداً على الإسلام ، لما بقى الإسبان النصارى في الأندلس يعيشون مع المسلمين بضعة قرون ، ثم استطاعوا استعادة الأندلس من المسلمين بعد أن غير المسلمون ما بأنفسهم ، فلم يبقوا أهلاً للسيادة كما كان أسلافهم الفاتحون .

إنّ المسلمين يعرضون الإسلام على غير المسلمين بالحكمة والموعظة الحسنة والحسنى والقدوة والتشجيع وبناء المساجد ، كما فعل قتيبة بن مسلم مع أهل بخارى مثلاً ، وكما فعل غيره من المسلمين .

إنّ المسلمين حملوا الإسلام إلى الأمم الأخرى بالفتح .

ولكنهم لم يحملوا الناس على الإسلام بهذا الفتح .

والعبرة الثالثة ، أنّ الفتح واستعادة الفتح يقوى ويشدّ ويعلو مدّة حين تشمل الوحدة المسلمين : يقاتلون تحت قيادة موحّدة واحدة ، لتحقيق هدف موحّد واحد ، هو إعلاء كلمة الله ، ونشر المثل العليا بين الناس .

وأنّ البلاد المفتوحة تنتفض وتضطرب ويسودها الفوضى والفتن ، حين يختلف المسلمون وتتفرّق صفوفهم ، فيقاتلون تحت قيادات شتى ، لتحقيق أهداف شتى .

إنّ سيوفهم بالوحدة ، تكون لهم على أعدائهم .
وسيوفهم بالفرقة ، تكون عليهم لا على أعدائهم .
وقد توقّف الفتح واستعادة الفتح أيام تفرّق المسلمين ، وكانت خسائرهم
بالأرواح في اقتتالهم الداخليّ ، أضعاف خسائرهم بالأرواح في قتال أعدائهم
للفتح واستعادة الفتح .

وإحصاء الخسائر في معارك الفتن الداخليّة والاضطرابات المحلية ، التي
سجّتها المؤرخون القدامى ، خير دليل .

تلك هي مجمل عبرة فتح بلاد ما وراء النهر واستعادة فتحها ، وهي تنطبق
على سائر الفتوح واستعادة الفتوح شرقاً وغرباً .

فما أحرانا أن نستوعب هذه العبرة استيعاباً (عملياً) لا (نظرياً) ، ونأخذ
منها الدروس لحاضرنا ومستقبلنا عربياً ومسلمين .

ولا أريد أن أشقّ على أحد ولا أن أكلف أحداً فوق ما يطيق .

إنّ الذي أرجوه من إخوتي المؤرخين العرب والمسلمين ، هو أن يعودوا إلى
مصادرنا التاريخيّة المعتمدة ، قبل أن ينقلوا عن الأجانب ، فلا يفهم القضايا
العربية الإسلامية كالعربيّ المسلم ، فإذا استوثق مما سطره الأجنبيّ فهماً وحقائق ،
فلا بأس من نقله ونشره ، وإذا كان الفهم سقيماً والحقائق مشوشة جرّاء سوء
الفهم أو جرّاء إشاعة الكذب والدس ، فلا أقلّ من فضحها بالحقائق الناصعة
والفهم السليم ، وإلاّ فالسكوت عنها وهذا أضعف الإيمان .

إنّ للمغرضين من الأجانب أهدافاً مفضوحة في تشويش التاريخ العربيّ
الإسلامي تسوّغ لهم قلب الحقائق رأساً على عقب .

فما هو المسوّغ لنقل تلك الافتراءات والأكاذيب عن أولئك المغرضين بالنسبة
للمؤرخ العربيّ المسلم ؟ !

أخشى ألاّ يكون المسوّغ غير الجهل المطبق ، أو تلويث عقول الناقلين ! !

النَّبَاتُ فِي الْعَجَمَاتِ الْعَرَبِيَّةِ

الشيخ محمد حسن آل ياسين

(عضو المجمع)

(القسم الرابع)

(حرف الزاي)

النبات

الأرز

شَجَرُ الصَّنَوْبَرِ ، وقيل : هو ذَكَرُهُ الذي لا يثمر ، وهو شجر يطول طولاً شديداً ويغلظ . ويستخرج من أعجاز الأرز وعروقه الزفت ، ويستصبح بخشبه كما يستصبح بالشمع ، وأكثر ما يستعمل هذا الزفت في تزفيت المراكب ، لأن القار لا يقاوم ماء البحر ، ينتثر ، والزفت يقاومه . فأما الزفت الذي يقع في الأدوية فليس من هذا ، ذاك شيء يخرج من الأرض . وقد ظن بعضهم أن القطران هو عصير ثمر الصنوبر ، وإنما هو اسم لوزّه وإن شجرته سُميت صنوبراً به .

وقيل : الأرز هو العرعر .

وعرف بعضهم الأرزة بأنها شجرة الأرز .

الأُرُرُ : نبات معروف ينبت بأرض العرب ، وهو عندهم ضَرْبٌ من البُرِّ ، وهو أنواع : مصري وفارسي وهندي ، وأجوده المصري ، ويقال لما يُسْحَل من قشره : السُّحَالَة . ويسمى هذا النبات الأُرُرَ والأُرُرَ والأُرُرَ والرُّرَ والرُّنَزَ أيضاً .

التُّوزُ : شَجَرٌ .

الجَرَازُ : نباتٌ يظهر مثل القَرَعَةِ ، لا ورق له ، ثم يعظم حتى يكون كأنسان قاعد ، ثم يدقُّ رأسه ويتفرق وينور نوراً كالدفلى ، تبهج من حسنه الجبال وهي منابته ، ولا يرعى ولا ينتفع فيه ، وهو رخوٌ مثل الدُّبَاءِ يُرمى بالحجر فيغيب فيه .

حَبَا جُعَيْرَان : نبتٌ ، وقد سبق ذكره في حرف الراء باسم (حَبَا جُعَيْرَان) .

الجِلَّوزُ : نبتٌ له حَبٌّ إلى الطُّول ما هو ، ويؤكل مُخَهُ ، شبه الفُسْتُق . وقيل : هو ضَرْبٌ من البُنْدُق أو البُنْدُق نفسه . وقيل : هو حَبُّ الصَّنَوْبَرِ الكِبَارِ .

الجُمَزَانُ : ضَرْبٌ من التَّمْرِ .

الجُمَيْرُ : ضَرْبان : ضَرْبٌ منه هو شجرٌ عظام يحمل حملاً كالتين في الخلقة ، ويعظم عظم الفِرْصاد ، وورقه أصغر من ورقة التين ، وتينها صغار أصفر وأسود ، ويسمى التين الذَّكَرَ ، والأصفر

منه حُلُو ، والأسود يُدَمِّي الفمَ ، وليس لتيْنها
عِلاَقَة ، وهو لاصِقٌ بالعود .

وَضَرْبٌ آخَرُ منه هو تين حلو رطبٌ له معاليق
طوال ، ويزبب ، ويقال له : تين الجُمَيْر .

الْجَوْزُ : ثَمَرٌ معروف ، وهو الذي يؤكَل ، وشَجَرُهُ

كثير بأرض العرب من بلاد اليمن ، ورائحة ورقه
طيبة ، يُحْمَل وَيُرَبَّى ، وبالسَّروَات شجرُ
جَوْزٍ لا يُرَبَّى وقيل : هو الضَّبِرُ ، وخَشَبُهُ
موصوف بالصَّلابة والقوَّة . ويسمى الجَوْزُ
الخَسَفُ بِلُغَةِ اهل الشَّحَر .

جَوْزُ الْقَيِّءِ : ثَمَرٌ يشبه الخَرْبَقَ الأبيض ، وهو من الأدوية .

جَوْزُ مَائِلٍ : مُخَدَّرٌ ، عليه شوك صغار غلاظ ، وحبُّه

مُرَّ حَمِيضٌ كَحَبِّ الْأُتْرُجِّ ، وهو من الأدوية .

جَوْزُ بُوَيَّ : هو في مقدار العَفْص ، سهْلُ المَكْسَرِ ،

رقيقُ القِشْرِ ، طيبُ الرائحة ، حادٌ ، وأجودُه
الأحمرُ الأسودُ القِشْرِ الرِّزِينُ . وهو من الأدوية .

الْجَوْزَةُ : ضَرْبٌ من العِنَبِ ليس بعَظِيمِ الحَبِّ ، ولكنه

يصفرُّ جدًّا إذا أَيْنَعَ .

الْحَوْفَزَانُ : نَبْتُ .

ضَرْبٌ من الحُبُوبِ يُزْرَعُ بالشَّامِ .

وقيل : هو ضَرْبٌ من الشَّجَرِ صِغارٌ .

الْحَمْزَةُ : بَقْلَةٌ حَرِيْفَةٌ في طَعْمِهَا لَذَعٌ لِلِّسَانِ .

- الحَوْزَةُ : عَيْنَبٌ لَيْسَ بِعَظِيمِ الْحَبِّ . وَأَظْنُهُ تَصْحِيفُ
(الْجَوْزَةُ) الَّتِي تَقْدَمُ ذِكْرُهَا .
- الخُبَّازِي : نَبَتٌ مَعْرُوفٌ ، مِنْ ذُكُورِ الْبَقْلِ ، أَصْغَرُ
شَجَرًا وَوَرَقًا مِنَ الْخَطْمِيِّ ، وَيَنْضَمُّ وَرَقُهُ
بِاللَّيْلِ ، وَهُوَ بِقَلَّةٍ عَرِيضَةُ الْوَرَقِ ، لَهَا
ثَمَرَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ ، وَعَدَّةُ بَعْضِهِمْ نَوْعًا مِنْ
الْمُلُوحِيَّةِ ، وَالْمُلُوحِيَّةُ هُوَ الْبُسْتَانِيُّ وَالْخُبَّازِيُّ
هُوَ الْبَرِّيُّ .
- الخِرْبِزُ : الْبَطِيخُ .
- الخِرْزَةُ : نَبَاتٌ مِنَ النَّجِيلِ ، تَرْتَفِعُ قَدَرُ الذَّرَاعِ ،
خَضِرَاءُ تَرْتَفِعُ خَيْطَانًا مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ ،
لَا وَرَقَ لَهَا ، لَكِنَّهَا مَنْظُومَةٌ مِنْ أَعْلَاهَا إِلَى
أَسْفَلِهَا حَبًّا مُدَوَّرًا أَخْضَرَ فِي غَيْرِ عِلَاقَةٍ ،
كَأَنَّهُ خِرْزٌ مَنْظُومٌ فِي سِلْكٍ . وَهِيَ تَقْتُلُ
الْأَبْلَ ، وَمَنَابِتُهَا مَنَابِتُ الْحَمْضِ .
- الخَازِبَاز : بَقْلَتَانِ : الدَّرْمَاءُ وَالْكَحْلَاءُ . وَقِيلَ : هُوَ
ثَمَرُ الْعُنْصُلَةِ .
- الرُّزُّ : هُوَ الْأُرْزُ الْمَارُّ الذَّكْرُ .
- الرَّزِينُ : نَبَتٌ يُصْبَغُ بِهِ .
- الرُّنْزُ : لُغَةٌ فِي الْأُرْزِ الْمَتَقَدِّمِ الذَّكْرِ .
- السُّهْرِينُ : نَوْعٌ مِنَ الثَّمَرِ مَعْرُوفٌ ، يَوْجَدُ بِالْبَصْرَةِ كَثِيرًا
أُخِذَ اسْمُهُ مِنْ حُمْرَةِ اللَّوْنِ . وَيُقَالُ لَهُ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

ضم العين والقاف في العنقر بمعنى القَصَب ،
واحتمل بعضهم أن يكون ذلك تصحيف العُنْقَرُ -
بالراء المهملة - .

الغَرَزُ : الأسَلُ الذي تُتَّخَذُ منه الغَرَابِيلُ ، لا وَرَقَ له ، وقيل : له وَرَقٌ .

وقيل : هو ضَرْبٌ من الثَّمَامِ أصغر منه ، ينبت على شُطُوطِ الأنهار وفي سهولة الأرض ، لا ورق له ، إنما هي أُنَابِيْبٌ مُرَكَّبٌ بعضها في بعض ، كلُّ أُنْبُوبَةٍ منها أُمُصُوخَةٌ ، وهو من الحَمَضِ ، ويُعَدُّ من وَخِيمِ المَرْعَى ، وذلك أنَّ الناقة التي ترعاه تُنْجَرُ فيُوجَدُ الغَرَزُ في كَرَشِهَا مُتَمَيِّزاً عن الماء لا يَتَفَشَّى ، ولا يُورِثُ المَالِ قُوَّةً .

التَّغَارِيْزُ : الطَّرَائِيْثُ . وقيل : هي أطراف الطُّرُوثِ .

القَشْنِيْزَةُ : عَشْبَةٌ ذاتُ جَعَثِنَةٍ واسعةٍ ، تُخَطِّرُ خَطَرَةً كثيرةً ، وتُورِقُ وَرَقاً كَوَرَقِ الهِنْدِ بَاءِ الصَّغَارِ ، وهي خضراء حلوة كثيرة اللبن ، يأكلها الناسُ ، ويحبُّها الغنمُ جيداً .

القُعْفُوزُ : نبتٌ .

اللَّوْزُ : ثَمَرٌ معروفٌ ، من المِزْجِ أي الذي لا يوصل إلى أكله إلا بكَسْرٍ ، وهو في بلاد العرب كثير ، ويسمى القُمرُوصَ ايضاً ، وهو على نوعين : حُلْوٍ ومُرٍّ . ولكلٌّ من حُلْوِهِ ومُرِّهِ فوائدٌ طبية مجرَّبة .

الماحوزُ : نبتٌ طيبُ الريح ، له ورْدٌ أبيض ، يُشْبِهُ
المَرَوَ الدَّقَاقَ الورَقِ ، ويقال له : المَرَوُ
الماحوزي .

المازةُ : حِنْطَةٌ لا يكاد يُعْجَنُ دَقِيقُهَا لِرَخاوَتِهِ .

الموزُ : ثَمَرٌ معروف . وتنبت الموزةُ نباتَ البَرْدِيِّ ،
ولها ورقة طويلة عريضة تكونُ ثلاثةَ أذْوَاعٍ في
ذِرَاعَيْنِ ، وترتفعُ قامَةً ، ولا تزال فِرَاحُهَا
تنبت حولها ، كلُّ واحدٍ منها أصغر من صاحبه ،
فاذا أُجِرَتْ قُطِعَتِ الأُمُّ من أصلِها وطلَعَ
فِرَاحُهَا الذي كانَ لَحِيقَ بها فيصيرُ أُمًّا ،
وتبقى البواقي فِرَاحًا . وقينوه بِحَمَلٍ من
الثلاثين إلى خمسمائة موزة .

الوتزُ : مرزق من الشجر

ما يتعلق بالنبات :

الآرزةُ : الشجرةُ الثابتة في الأرض ، وقد أرزتِ الشجرةُ :
إذا ثبتت .

التارزةُ : الحَشَفَةُ اليابسة ، وتمرةُ تارزةُ : أي
حَشَفَةٌ يابسة .

التبازُ : الزَّرَّاعُ .

الجُرزةُ : الحزْمة من القَتِّ ونحوه .

جزازُ الزرعِ : حَصَادُهُ وَعَصْفُهُ . وجزازُ النخلِ : صَرْمُ
التمرِ وقَطْعُهُ . وجزرُ التمرِ : يَبَسُ . وأجزرُ

النَّخْلُ والبُرُّ : أي حانَ له أنْ يُجَزَّ . واستَجَزَّ البُرُّ : أي استَحْصَدَ .	
المَجَزُّ	: ما يُجَزُّ به .
الجَمَزُ	: ما يَبْقَى في أصلِ الطَّلَعِ من الفُحَّالِ .
الجُمَزَةُ	: بُرْعُومُ النَّبْتِ الذي فيه الحَبَّةُ .
المُحْتَجِزَةُ	: وهي ايضاً : الكُتْلَةُ من التَّمْرِ دون القِدْرَةِ .
حَزِيرُ الحَمَضِ	: النَّخْلَةُ التي تكون عُدُوقُها في قَلْبِها .
	: عَقْدَتُهُ . وقيل : حَزِيرُهُ ما نَبَتَ منه في غليظِ الأرضِ .
رُمَانَةٌ حَامِزَةٌ	: فيها حُمُوضَةٌ .
تَمَرٌ خَازٌ	: فيه شَيْءٌ من الحُمُوضَةِ .
الخَزِيرُ	: العَوَسُجُ الجافُّ جدّاً ، ويُسمَّى الرُّطْبُ منه ضَرِيحاً .
خَنَزَ الطَّعَامُ	: مَرَّتْهُ قَسَدٌ وَأَنْتَنَ ، وكذلك التَّمَرُ والجَوَزُ .
المَرَزَّةُ	: الموضعُ الذي يُجْمَعُ فيه الأُرْزُ ؛ كالكُدْسِ للقمحِ .
الرَّكْزَةُ	: الفَسِيلَةُ التي تُجْتَنُّ من الجِدْعِ فَتُغْرَسُ .
المُرْتَكِزُ	: من يابِسِ الحَشِيشِ ، وذلك أنْ تَرى ساقاً وقد طَارَ عنها وَرَقُها وأَغْصَانُها .
المِشْلَوَزُ	: المِشْمِشَةُ الحُلُوةُ المُنَحَّ ، أُخِذَ من المِشْمِشِ واللَّوْزِ .
الشَّيْزُ	: خَشَبٌ أَسْوَدُ تُتَّخَذُ منه الأَمْشَاطُ ونحوُها ، وقيل : هو من الدُّلْبِ .

- أَعْجَازُ النَّخْلِ : أَصْوَاهُهَا الَّتِي تَلِي الْأَرْضَ ، وَكَذَلِكَ أَعْجَازُ الشَّجَرِ .
- الْعُفَازَةُ : جَوْزَةُ الْقُطْنِ .
- الْعَوَزُ : الْحَبُّ مِنَ الْعِنَبِ ، يُقَالُ خَرَطْتُ الْعُنُقُودَ خَرَطًا : إِذَا أَخَذْتَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْعَوَزِ وَهُوَ الْحَبُّ مِنَ الْعِنَبِ بِجَمِيعِ أَصَابِعِكَ حَتَّى تُنْقِيَهُ مِنْ عَوَزِهِ .
- الْعُرُوزُ : الْأَغْصَانُ تُغَرِّزُ فِي قُضْبَانِ الْكَرْمِ لِلْوَصْلِ .
- التَّغَارِيزُ : مَا حَوَّلَ مِنْ فَسِيلِ النَّخْلِ وَغَيْرِهِ .
- أَغَزَتِ الشَّجَرَةَ : كَثُرَ شَوْكُهَا وَاشْتَدَّ وَالتَفَّ .
- شَجَرَةٌ مُتَقَعْفِزَةٌ : أَيُّ مُتَكَبِّبَةٍ .
- القُمُزَةُ : لُغَةٌ فِي الْجُمُزَةِ وَهِيَ الْكُتْلَةُ مِنَ التَّمْرِ ، وَالْبِيرُ عُومٌ الَّذِي فِيهِ الْحَبَّةُ .
- قَوَزَ النَّبْتُ : كَثُرَ .
- الْكِرْبِزُ : الْقِثَاءُ الْكِبَارُ .
- الْكُمُزَةُ : لُغَةٌ فِي الْجُمُزَةِ وَالْقُمُزَةِ وَهِيَ الْكُتْلَةُ مِنَ التَّمْرِ .
- كَنَّازُ التَّمْرِ : أَوَّانٌ كَنَزَهُ فِي الْجِلَالِ ، وَهُوَ أَنْ يُلْقَى جِرَابٌ أَسْفَلَ الْجِلَّةِ وَيُكْنَزَ قَوِيًّا حَتَّى يَدْخُلَ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ ، ثُمَّ جِرَابٌ بَعْدَ جِرَابٍ ، حَتَّى تَمْتَلِئَ الْجِلَّةُ مَكْنُوزَةً ، ثُمَّ تُخَاطَ بِالشَّرْطِ ، وَرَبَّمَا اسْتُعْمِلَ الْكَنَّازُ فِي الْبُرِّ . وَيُقَالُ لَهُ الْكِنَّازُ أَيْضًا .

شَجَرٌ مُتَلَاخِزٌ	:	أي مُتَضَايِقٌ دَخَلَ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ .
المُزُّ من الرُّمَّانِ	:	ما كَانَ طَعْمُهُ بَيْنَ حَلَاوَةٍ وَحُمُوضَةٍ .
النَّبْزُ	:	قِشْرُ النَخْلَةِ الْأَعْلَى وَهُوَ السَّعْفُ .
اهْتَزَّ النَّبَاتُ	:	تَحَرَّكَ وَطَالَ .
الْوَحْزُ	:	ما أُرْطَبَ مِنَ الْبُسْرِ .

(حرف السين)

النَّبات :

الْأَسُ	:	شَجَرٌ مَعْرُوفٌ ، وَهُوَ بِأَرْضِ الْعَرَبِ كَثِيرٌ ، يَنْبُتُ فِي السَّهْلِ وَالْجَبَلِ ، طَيِّبُ الرِّيحِ ، وَرَقُّهُ عَطِيرٌ ، وَخُضْرَتُهُ دَائِمَةٌ أَبَدًا ، يَسْمُو حَتَّى يَكُونَ شَجَرًا عَظَامًا ، وَلَهُ بَرَمَةٌ بِيضَاءُ طَيِّبَةُ الرِّيحِ ، وَثَمَرَةٌ تَسْوَدُّ إِذَا أُيْنَعَتْ وَتَحْلُو فِيهَا مَعَ ذَلِكَ عُلْيَقَةٌ ، وَتُسَمَّى الْفَطْسُ .
الْأَسُ	:	وَقِيلَ : الْأَسُ هُوَ الرَّندُ .

الْبِرْسُ	:	الْقُطْنُ ، وَشَجَرُهُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ كَثِيرٌ ، وَهُوَ مِمَّا يُزْدَرَعُ اِزْدِرَاعًا ، وَيُقَالُ بَضْمُ الْبَاءِ أَيْضًا .
الْبِرْسُ	:	وَقِيلَ : الْبِرْسُ شَبِيهُ الْقُطْنِ . وَقِيلَ : هُوَ قُطْنُ الْبَرْدِيِّ خَاصَّةً .

الْبَسُّ	:	شَجَرٌ .
الْبَسْبَسُ	:	شَجَرٌ تَتَّخَذُ مِنْهُ الرَّحَالُ .
الْبَسْبَاسَةُ	:	وَقِيلَ : هُوَ السَّيْسَبُ الْمَذْكُورُ فِي حَرْفِ الْبَاءِ .
الْبَسْبَاسَةُ	:	شَجَرَةٌ مِنْ أَحْرَارِ النَّبْتِ ، يَأْكُلُهَا النَّاسُ وَالْمَاشِيَةُ ،

طيبة الطعم والريح ، تذكرُ بها ریحَ الجزر
وطعمه اذا أكلتها ، ومنبتُها الحزون .

أوراقُ صُفْرُ طيبة الريح تُجَلَب من الهند . :

ويقال : إنها قشورُ جوزِ بُوى . وهذه هي
التي يستعملها الأطباء ويريدونها اذا أطلقوا ،
وهي غير البساسة المتقدم ذكرها .

شجرُ كالآس ورقاً وحباً ، منابتُه بلاد الروم ،
تُتخذ منه المغاليقُ والأبوابُ لمئاته وصلابته .
وقيل : هو شجرُ الشمشاذ نفسه .

ويقال في جملة فرائده انَّ نشارته معجونةٌ
بالعسل تقوي الشعرَ وتغزِّره اذا لُطِخَ به .

بصلُ الرند ، يشبه ورقه ورق السذاب . :

ثمينُ كالتيين ، يكثرُ باليمن . وقيل : هو

التيين نفسه . وقيل : هو التين اذا أدرك .

وقيل : البلس هو الثمرُ ؛ والشجرُ التين .

العدسُ المأكول . ويقال له البلسنُ أيضاً . :

شجرُ صغارُ كشجر الحناء ، كثيرُ الورق ،

يضرِبُ الى البياض ، شبيهُ بالسذاب في الرائحة ،

قيل : انه لا ينبتُ الا بعينِ شمسٍ ظاهرٍ

القاهرة ، واستُنبت في وادي الحجاز ، وأجودُ

عُودُه الأملسُ الأسمَرُ الحادُّ الطيبُ الرائحة .

وذكروا له منافع طيبة كثيرة ، وله حبٌ يجعلُ

في الدواء ، ولحبه دهنٌ حارٌ يتنافسُ فيه .

البَسَّاسَةُ

البَقْسُ

بَلْبُوسُ

البَلَسُ

البُلْسُ

البَلَسَانُ

- الآبِنُوسُ : هو السَّاسَم . وقيل : هو غيره .
- بَنَاقِيْسُ الطَّرْتُوثِ : شيءٌ صغيرٌ يَنْبُتُ مَعَهُ أَوَّلَ مَا يَرَى .
- التُّرْمُسُ : شجرةٌ لها حَبٌّ قِيلَ هو الباقيلاءُ المصريُّ وهو الجِرْجِرُ ؛ أو هو شبيهٌ بالباقلي . وجبُّها مضلعٌ مُحَزَّزٌ مُفَرَّطَحُ الشَّكْلِ مَرُّ الطَّعْمِ مَنْقُورُ الوَسَطِ ، والبرِّيُّ منه أَصْفَرُ وهو أَقْوَى ، وأجودُهُ الأَبْيَضُ الكُبَّارُ الرَّزِينُ . والتُّرْمُسُ إلى السِّدَّاءِ أَقْرَبُ مِنْهُ إلى الغِذاءِ . ويُسمَّى البَسِيْلَةَ أَيْضاً .
- لِحْيَةُ التَّيْسِ : نَبْتُ مَرَّ ذَكَرُهُ فِي حَرْفِ الْبَاءِ بِاسْمِ ذَنْبِ الْخَيْلِ .
- الْجَاوَرِسُ : حَبٌّ مَعْرُوفٌ يُوْكَلُ ، مِثْلُ الدُّخْنِ . وهو ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ أَجْوَدُهَا الْأَصْفَرُ الرَّزِينُ ، وَيُشَبَّهُ بِالْأَرُزِّ فِي قُوَّتِهِ وَيَكُونُ أَقْوَى قَبْضاً
- الْجِلْدَاسِيُّ : ضَرْبٌ مِنَ التَّيْنِ وهو أَجْوَدُهُ ، يَغْرِسُونَهُ غَرْساً ، وهو تَيْنٌ أَسْوَدٌ وَايِسٌ بِالْحَالِكِ ، فِيهِ طُولٌ ، وَإِذَا بَلَغَ انْقَلَعَ بِأَذْنَابِهِ ، وَبُطُونُهُ بَيْضٌ ، وهو أَحْلَى تَيْنِ الدُّنْيَا ، وَإِذَا امْتَلَأَ (تَمَلَّأَ) مِنْهُ الْآكِلُ أُسْكِرَهُ ، وَقَلَّ مَنْ يُقَدِّمُ عَلَى أَكْلِهِ عَلَى الرَّيْقِ لَشِدَّةِ حَلَاوَتِهِ .
- الْجُلْسَانُ : ضَرْبٌ مِنَ الرَّيْحَانِ . أو هو الْوَرْدُ الْأَبْيَضُ . وقيل : الْجُلْسَانُ قُبَّةٌ يُنْثَرُ عَلَيْهَا الْوَرْدُ وَالرَّيْحَانُ .

- الجمَامَيْسُ : جنسٌ من الكمأة .
- الجيَسْوَانُ : قيل : هو من أفخر النخل ، وله بُسرٌ جيّدٌ .
وقيل : هو من رديء تمر الحجاز ، وسُمي بذلك لطول شماريخه .
- ابو حنسا : يراجع (خَسُّ الحمار) الآتي .
- الخَسُّ : بقلٌ معروفٌ ، من احرار البقول ، عريضُ الورق ، لينٌ ، وأجودُه البُسْتَانِيُّ الطَّرِيُّ الأصْفَرُ العَرِيضُ . يقال : انَّ البرِّيَّ منه في قوَّة الخشخاش الأسود ، وانَّ البُسْتَانِيَّ منه باردٌ رطبٌ ، وانَّ أغذاه المطبوخ .
- خَسُّ الحِمَارِ : هو السنَجَارُ ، ويُقال له أيضاً : فيلدوسٌ وابو حنسا . وهو كورق الخس الرقيق ، كثير العُدَّة ، إلى السَّوَادِ ، وأوراقه لاصقة بالأصل ، ولونُ أصله إلى الحُمْرَةِ ، يصبغُ اليدَ والأرضَ .
- الخُنْسُ : نوعٌ من التمر بالمدينة ، صغارُ الحبِّ ، لاطئةُ الأقماع ، سُمي الخُنْسُ تشبيهاً له بالأنف .
- الدُّقْسَةُ : حبٌّ كالجاورس .
- الرَّيْبَاسُ : نبتٌ له عساليجٌ غضةٌ إلى الخضرة ، عراضُ الورق ، طعمها حامض شديد الحموضة مع قبضٍ ، ينبتُ في الجبالِ ذواتِ الثلوج والبلادِ الباردةٍ من غير زرعٍ . وله منافع طبية متعدّدة .
- الترجيسُ : (يراجع تركيب ن ر ج س) .

السَّليسةُ : عُشْبَةٌ قَرِيبَةٌ الشَّبَّهَ بالنَّصِيِّ ، الّا أَنَّ لَهَا حَبًّا كَحَبِّ السَّلْتِ ، وَإِذَا جَفَّتْ كَانَ لَهَا سَفًّا يَتَطَايَرُ إِذَا حُرِّكَتْ كَالسَّهَامِ يَرْتَزُّ فِي الْعُيُونِ وَالْمَنَاخِرِ ، وَكَثِيرًا مَا تُعْمِي السَّائِمَةَ ، وَمَنَابِتُهَا السَّهْلُ .

السُّوسُ : حَشِيشَةٌ تُشَبِّهُ الْقَتَّ ، ذَاتُ لَبَنٍ ، وَهِيَ رِبْعِيَّةٌ مَجَّاجَةٌ ، تَسْمَنُ عَلَيْهَا الْمَاشِيَةُ .

السُّوسُ : شَجَرٌ مَعْرُوفٌ ، فِي عُرْوَقِهِ حَلَاوَةٌ شَدِيدَةٌ ، وَفِي فُرُوعِهِ مَرَارَةٌ ، يَنْبْتُ وَرَقًا فِي غَيْرِ أَفْنَانٍ ، وَهُوَ شَجَرٌ تُغْمَى بِهِ الْبُيُوتُ ، وَيَدْخُلُ عَصِيرُهُ فِي الْأَدْوِيَةِ ، وَهُوَ بِلَادِ الْعَرَبِ كَثِيرٌ . وَيُقَالُ لَهُ الْمَتْنُكُ أَيْضًا .

السَّوَّاسُ : شَجَرٌ ، مِنْ الْعِضَاهِ ، وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ مَا اتَّخَذَ مِنْهُ زَنْدٌ ، لِأَنَّهُ يَكُونُ وَارِيًا وَقَلَّ مَا يَصْلُدُ ، وَهُوَ شَبِيهُ بِالْمَرْخِ ، وَلَهُ شَوْكٌ وَسَنْفَةٌ كَسَنْفَةِ الْمَرْخِ ، وَلَا وَرَقَ لَهُ ، يَطُولُ فِي السَّمَاءِ وَيُسْتَظَلُّ تَحْتَهُ ، وَيُتَّخَذُ مِنْهُ السَّلَالُ ، وَمِنْبَتُهُ الْقِفَافُ وَالْجِبَالُ ، وَقَدْ تَأْكُلُ الْإِبِلُ وَالْغَنَمُ أَطْرَافَ عِيدَانِهِ الدَّقِيقَةِ .

الشَّحْسُ : شَجَرٌ مِنْ شَجَرِ جِبَالِ عُمَانَ ، وَهُوَ مِثْلُ الْعُثْمِ إِلَّا أَنَّهُ أَطْوَلُ مِنْهُ ، وَلَا تُتَّخَذُ مِنْهُ الْقِيسِيُّ لِيُبْسِهِ وَصَلَابَتِهِ فَإِنَّ الْحَدِيدَ يَسْكُلُ عَنْهُ ، وَلَوْ صُنِعَتْ مِنْهُ الْقِيسِيُّ لَمْ تُؤَاتِ النَّزْعَ . وَيُقَالُ لَهُ زَيْتُونُ الْجَبَلِ .

الشَّرْسُ : ما صَغُرَ من شَجَرِ الشَّوْكَ ، وهو مِثْلُ الشُّبْرُمِ والحاجِ والشُّكَاغِي والقَتَادِ . ويُقالُ الشَّرْسُ - بالتحريك - أيضاً .

وقيل : الشَّرْسُ عِضَاهُ الجَبَلِ ، وله شَوْكٌ أَصْفَرٌ .

وقيل : الشَّرْسُ حَمَلٌ نَبَتَ ماءً .

وقيل : الشَّرْسُ اسْمٌ لما رَقَّ شَوْكُهُ وكانَ نَبَاتُهُ في الهُجُولِ والصَّحَارَى ولا يَنْبُتُ في قِيَعانِ الأودية .

نَبَتٌ بِشَعٍ الطَّعْمِ .

لغةٌ في الشَّتِّ المذكورِ في حرفِ التاء .

الكَرَوِيَا ، بِمَازِيَةٍ ، وتُسَمَّى التَّقْدَةُ كما مرَّ

في تحريفِ الدالِ

أغصانٌ شَبِهَ العَرَاجِينَ نَبَتٌ بالغَوَرِ في أَصُولِ الثُّمَامِ والشَّوْكَ ، طَوَالَ حُمْرٍ رَخِصَةٍ ، تَفَقَّعُ من تحتِ الأرضِ فيخضَرُ ما ظَهَرَ منها ، وما في الأرضِ منها خَيْرٌ من ذلك ؛ يأْكُلُهُ الناسُ . وتَخْرُجُ ساقاً ساقاً ، ليس لها وَرَقٌ ولا شُعَبٌ ، وما في الأرضِ منها حَاوٌ ، وما خَرَجَ منها حَامِضٌ . وقيل : هي نَبَاتٌ كَالهَلِيَّوْنَ يَنْبُتُ في أَصْلِ الثُّمَامِ ، يُسَلَّقُ بالخَلِّ والزَّيْتِ ويؤْكَلُ .

وقيل : هي الهَلِيَّوْنَ نَفْسُهُ ، وهو نَبَاتٌ ضَعِيفٌ ،

الشَّرِينِسُ

الشَّسُّ

الضَّغْسُ

الضَّغَابِينِسُ

- فاذا جَفَّ خَمَّتَهُ (حَتَّتَهُ) الرِّيحُ فَنَطِيرَتَهُ .
 وقيل : هي شِبْهُ صِغارِ القِثَاءِ أو القِثَاءِ الصَّغِيرِ
 نفسه ، تُؤْكَلُ . ويُقال لها الشَّعَارِيرُ أيضاً .
- العَبَسُ : نباتٌ . ويقال انه الذي يُسَمِّيهِ المصريُّون :
 البُرْنُوفَ .
- العَدَسُ : حَبٌّ معروفٌ . ويسمَّى البُلْسَ والعَلَسَ
 والبُلْسُنَ ايضاً .
- العَرُوسِيُّ : ضَرْبٌ مِنَ النَّخْلِ ، ويُقال له العَرُوسُ ايضاً .
 العَسْطُوسُ : شَجَرٌ يُشَبِّهُ الخَيْزُرَانَ ، أو هو الخيزرانُ نفسه .
- وقيل : هي شجرةٌ تُكونُ بالجزيرة ، أَيْنَةُ
 الأغصان . ويقال بفتح السين بلا تشديد
 أيضاً .
- العَضْرَسُ : عَشْبٌ أَشْهَبُ إلى الخُضْرَةِ ؛ إلى السَّوَادِ أَقْرَبُ ،
 يَحْتَمِلُ النَّدَى وَاحْتِمَالاً شَدِيداً ، وَنَوْرُهُ
 قَانِيءُ الحُمْرَةِ . وهو من ذُكُورِ النَّبْتِ .
- وقيل : هو نَبَاتٌ فِيهِ رَخَاوَةٌ تَسْوَدُّ مِنْهُ جَحَافِلُ
 الدَّوَابِّ إِذَا أَكَلَتْهُ ، وهو أَشَدُّ البَقْلِ كَلَّةً
 رُطوبَةً .
- العَضْرَسُ : قيل : هو شجر الخطمي . وقيل : هو شجرةٌ
 لها زهرةٌ حمراء .
- العَقَسُ : شُجيرةٌ تَنْبُتُ فِي المَرِّخِ والأَرَاكِ والثَّمَامِ ،
 تَلْتَوِي . وتُسَمَّى العَوَقَسَ والعَشَقَ ايضاً .

- العلّسُ : العَدَسُ .
- العلّسُ : حَبُّ يُوْكَل . وعلّه المتقدم الذكر أو الآتي .
- العلّسُ : ضَرْبٌ مِنَ الْبُرِّ جَيِّدٌ ، حَنْظَلُهُ سَمَرَاءُ عَسِيرَةُ
الاسْتِنْقَاءِ جَدًّا ، لَا تُنْقَى إِلَّا بِالْمَنَاحِيزِ ، وَهِيَ
طَيِّبَةُ الْخَبَزِ ، وَتُسَبِّحُ الْقُرْشِيَّةَ فِي الطَّحِينِ ،
يَجِيءُ دَقِيقُهَا خَشِنًا ، سُبُلُهَا لِيَافٍ ، وَهِيَ
مَعَ ذَلِكَ قَلِيلَةُ الرَّيْعِ ، وَتَكُونُ مُقْتَرَنَةً الْحَبِّ
كُلُّ حَبَّتَيْنِ مِنْهُ فِي كِمَامٍ . وَهُوَ طَعَامُ أَهْلِ
صَنْعَاءِ .
- العلّسيُّ : شَجَرَةُ الْمَقَرِّ ، وَهُوَ نَبَاتُ الصَّبْرِ ، وَلَهُ نَوْرٌ حَسَنٌ
مِثْلُ نَوْرِ السُّوسَنِ الْأَخْضَرِ ، وَنَبَاتُهُ نَبَاتُ
السُّوسَنِ الْأَخْضَرِ أَيْضًا إِلَّا أَنَّهُ أَعْظَمُ وَرَقًا
وَأَغْلَظُ .
- العلّسيُّ : وَقِيلَ بِهِيَ شَجَرَةٌ تُنْبِتُ عُرْجُونًا كَهَيْئَةِ عُرْجُونِ
النَّخْلِ .
- الغَضَسُ : نَبْتُ .
- الغَمِيسُ : وَقِيلَ : هُوَ الْحَبَّةُ الَّتِي تُسَمَّى الْكَرَوِيَا ، وَهِيَ
التَّقْرِدَةُ ، يَمَانِيَّةٌ .
- الغَمِيسُ : ضَرْبٌ مِنَ النَّبْتِ .
- الغَمِيسُ : نَبْتُ ، قِيلَ : هُوَ الْمَسْمِيُّ بِالشَّرَسِ ، وَقِيلَ :
هُوَ الْقَصْقَاصُ (الْقَصْقَاضُ) ، وَقِيلَ : هُوَ
الْحَبَنُ ، وَقِيلَ : هُوَ الشَّرْشُرُ ، وَقِيلَ : هُوَ
الْبَرُوقُ .

- الْفَرَّاسُ : تَمَرٌ أَسْرَدُ ، وليس بالشَّهْرِيزِ .
- الْفَسْفَاسُ : من البُقُولِ ، وهو نبتٌ أخضر خبيثُ الرِّيحِ ، له زهرةٌ بيضاء ، ينبُتُ في مَسَايلِ الماءِ .
- الْفَقْشُوسُ : البِطِّيخُ الشاميُّ في لُغَةِ أهلِ مصرَ ، وأهلُ اليَمَنِ يَسْمُونَهُ الحَبَّحَبَ .
- فَيْلُوسُ : هو الذي يُقالُ له السَّنَجَارُ وخَسُّ الحِمَارِ كما مرَّ .
- الْقَرَسُ : شَجَرٌ .
- الْقَسْفَاسُ : نبتٌ أخضر ، خبيثُ الرائحةِ ، ينبُتُ في مَسِيلِ الماءِ ، له زهرةٌ بيضاء .
- وقيل : هو بقلة تُشَبِّه الكَرْفَاسَ .
- أقول : لعله (الفسفاس) المارُّ الذكر وقد طرأ التصحيف على أحدهما .
- قُسْطَنَاسُ : مرزق حشيشة جبري .
- الْقُلُقَاسُ : أصلُ نباتٍ يؤكَل مطبوخاً ، ويُتداوى به .
- الْقَنَسُ : نباتٌ طيبُ الرائحةِ ، منه بُسْتَانِيٌّ ، ومنه نَوْعٌ كلُّ ورقةٍ منه من شِبْرِ إلى ذِرَاعٍ . ينْفَرِشُ على الأرضِ كالنَّمَامِ ، وأنفَعُهُ أصلُهُ ، وأجودُهُ الأخضرُ الغضُّ ، وله فوائدٌ طيبةٌ كثيرةٌ .
- الكَبَيْسُ : ضَرْبٌ من التَّمَرِ ، وهو ثَمَرُ النَّخْلَةِ التي يُقالُ لها أُمُّ جِرْدَانٍ ، وإنَّما يُقالُ له الكَبَيْسُ إذا جَفَّ ، فإذا كان رطباً فهو أُمُّ جِرْدَانٍ .

- الكُنْدُسُ : عُرُوقُ نَبَاتٍ دَاخِلُهُ أَصْفَرُ وَخَارِجُهُ أَسْوَدٌ ،
وله منافع طبية .
- الكَرْفَسُ : بَقْلٌ مَعْرُوفٌ ، مِنْ أَحْرَارِ الْبُقُولِ ، عَظِيمُ الْمَنَافِعِ .
وَيُسَمَّى التَّرَاجِيلَ بِلُغَةِ أَهْلِ السَّوَادِ .
- اللَّبَسَةُ : بَقْلَةٌ .
- اللِّسَانُ : عُشْبَةٌ مِنْ الْجَنَبَةِ ، لَهَا وَرَقٌ مُتَفَرِّشٌ
خَشِينٌ كَأَنَّهُ الْمَسَاحِلُ ، كَخَشُونَةِ لِسَانِ
الثَّوْرِ وَلَيْسَتْ بِهِ ، يَسْمُو مِنْ وَسْطِهَا قَضِيبٌ
كَالذَّرَاعِ طُولًا ، فِي رَأْسِهِ ذَوْرَةٌ كَحَلَاءٍ .
وَيُقَالُ إِنَّهَا دَوَاءٌ مِنْ أَوْجَاعِ اللِّسَانِ أَلْسِنَةِ النَّاسِ
وَالْأَلْسِنَةِ الْإِبِلِ مِنْ دَاءٍ يُسَمَّى الْحَارِشَ ، وَهُوَ
بُشُورٌ تَظْهَرُ بِالْأَلْسِنَةِ مِثْلَ حَبِّ الرُّمَّانِ .
- اللَّغْوَسُ : عُشْبَةٌ مِنَ الْمَرْعَى ، وَهُوَ عُشْبٌ لَيِّنٌ رَطْبٌ ،
يُؤْكَلُ سَرِيعًا .
- مَرَسِينُ : شَجَرَةُ الْآسِ ، بِلُغَةِ أَهْلِ مِصْرَ . وَذَكَرَهَا بَعْضُهُمْ
فِي النَّوْنِ .
- الإَمْلِيسُ : الرُّمَّانُ الْحُلُوُّ الطَّيِّبُ الَّذِي لَا عَجَمَ لَهُ ،
إِنَّمَا هُوَ مَاءٌ فِي قِشْرِ ، وَقِيلَ : هُوَ أَطْيَبُهُ
وَأَحْلَاهُ . وَيُسَمَّى الْإِمْلِيسِيَّ أَيْضًا .
- المَيْسُ : شَجَرٌ عِظَامٌ مِنْ أَجْوَدِ الشَّجَرِ وَأَصْلَبِهِ ، يُشَبَّهُ
فِي نَبَاتِهِ وَوَرَقِهِ بِالْغَرْبِ ، وَإِذَا كَانَ شَابًّا فَهُوَ
أَبْيَضُ الْجَوْفِ ، فَإِذَا تَقَادَمَ اسْوَدَّ فَصَارَ

كالآبنوس ، ويغلظ حتى تتخذ منه الموائد
الواسعة ، وتتخذ منه الرجال والزند أيضاً ،
وهو ريفي يغرس غرساً وليس ببري . وعمان
معدن الميس .

الميس

: ضرب من الكروم ينهض على ساقٍ بعض
النهوض ثم يتفرع ، وله ثمرة في خلة
الإجاصة الصغيرة ، وإليه ينسب الزبيب الذي
يسمى الميس . ومعدنه أرض سروج من
أرض الجزيرة ؛ وربما يكون بالطائف .

وقيل : إن الكرم الذي يعد الميس ضرباً
منه هو شجر فخرط منه الموائد وليس بشجر
العنب ، وهو المتقدم الذكر .

الترجيس

: من الزواجر ، ويسمى القهد والفغو أيضاً .

الترسيان

: من أجود التمر بالكوفة .

النواسي

: ضرب من العنب أبيض ، عظيم العناقيد
متشكّلها (متسلسلها) ، وعناقيد طوال
كأنها أذانب الثعالب ، وهو مدحرج الحب
كثير الماء حلو ، جيد الزبيب . ينبت بالسرّة ،
وقد ينبت بغيرها .

الهبس

: اسم الخيري ، ويسمى المنشور والنمام
أيضاً .

- الهَدَسُ : شَجَرُ الْآسِ فِي لُغَةِ أَهْلِ الْيَمَنِ .
- الْهَرَّاسُ : شَجَرٌ شَائِكٌ ، مِنْ ذَكَورِ الْبَقْلِ ، يُشْبِهُ الْقُطْبَ شَوْكُهُ كَأَنَّهُ حَسَكٌ أَوْ أَثْيَابٌ ، وَثَمَرُهُ كَالنَّبِقِ ، وَهُوَ مِنْ أَحْرَارِ الْبُقُولِ .
- الْوَرَسُ : نَبَاتٌ كَالسَّمْسِمِ ، أَصْفَرٌ ، لَيْسَ بِبَرِّيٍّ وَلَا يَكُونُ شَيْءٌ مِنْهُ بَرِّيًّا ، فَإِذَا جَفَّ عِنْدَ إِدْرَاكِهِ تَفْتَقَتْ خَرَائِطُهُ وَأَكِمَّتْهُ ، فَتُنْفَضُ فَيَتَفَضُّ مِنْهَا الْوَرَسُ ، وَلَا يُوجَدُ إِلَّا بِالْيَمَنِ وَمَا جَاوَرَهَا ، تَتَّخِذُ مِنْهُ الْغُمَرَةُ لِلْوَجْهِ . يُزْرَعُ سَنَةً فَيُقِيمُ عَشْرَ سِنِينَ أَوْ عَشْرِينَ سَنَةً وَلَا يَتَعَطَّلُ . وَجَيِّدُهُ أَوْ أَجُودُهُ يُسَمَّى الْبَادِرَةَ وَهُوَ الْحَدِيثُ النَّبَاتُ ، وَالْآخِرُ يُقَالُ لَهُ الْعَتِيقَةُ لِعَتَقِ شَجَرِهِ وَالْحَبَشِيُّ لِسَدَادٍ فِيهِ وَهُوَ آخِرُ الْوَرَسِ .
- وَالْحَبَشِيُّ يَخْرُجُ صَبْغُهُ أَصْفَرَ خَالِصَ الصُّفْرَةِ ، وَالْبَادِرَةُ فِي صَبْغِهَا حُمْرَةٌ .
- وَيُقَالُ لِلْوَرَسِ الْحُصُّ أَيْضًا .
- شَجَرٌ تَعْمَلُ مِنْهُ الْبَرَابِطُ وَالْأَعْوَادُ الَّتِي يُضْرَبُ بِهَا .
- الْوَعْسُ : مَا يَتَعَلَّقُ بِالنَّبَاتِ :
- الْآسُ : مِنْ أَسْمَاءِ الْبَسَاحِ .
- الْبَخْسُ : هُوَ الزَّرْعُ الَّذِي لَمْ يُسَقَّ بِمَاءٍ عَدٍ ؛ إِنَّمَا سَقَاهُ مَاءُ السَّمَاءِ .
- الْبِرْكَاسُ : الْقِطْعَةُ الْمُجْتَمِعَةُ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ .
- الْبَنَاقِيْسُ : مَا طَلَعَ مِنْ مُسْتَدِيرِ الْبُطَيْخِ .

- البَهْسُ : المَقْلُ ما دامَ رَطْباً ، والشين لغةٌ فيه .
- الجُعْسُوسُ : النَخْلُ في لغة هُذَيْلٍ . وقيل : هي الجَعَامِيْسُ
- الجلَسُ : الغليظ من الشجر .
- الجلَسَانُ : نثارُ الورْد في المَجْلِس ، يُنْتَف ورَقُ الورْد وَيُنْثَرُ على مَنْ في المجلس .
- نباتُ جامِس : ذَهَبَتْ غَضُوْضَتُهُ ورطوبَتُهُ فوَلَّى وجَساً .
- الجُمْسَةُ : البُسْرَةُ اذا ارْطَبَ كلُّها وهي صُلْبَةٌ لم تنهَضْ بعدُ ، وتُسمَّى مَكْرَةً أيضاً كما مرَّ .
- الجُمْسَةُ : القطعة اليابسة من التمر .
- الجامُوسُ : الكَمَاةُ .
- جَنَسَتِ الرُّطْبَةُ : اذا نَضِجَ كلُّها .
- كَلاءُ حابِس : اذا كانَ غامِراً لا تَتَجَاوَزُهُ راعِيَةٌ لاخْضِرارِهِ ، أي انه كثيرٌ يَحْبِسُ المالَ .
- الحَبَّاسُ : الطَّيْنُ يَجْمَعُ حَوْلَ النخلة كالحوَض وتُسْقَى فيه الماء .
- الحاسَةُ : الآفة التي تُصِيبُ الزرعَ والكلأ فتحرِّقه ، يُقال : نباتٌ محسُوسٌ ، أي أصابه بَرْدٌ فأحرقَه .
- وقيل : الحاسَةُ الرِّيحُ تحثي الترابَ في الغُدُر فتملأها منه فيَبْسُ الثرى ، أو جَرادٌ يأكلُ النباتَ .
- أحْلَسَ النَّباتُ : غَطَّى الأرضَ بكثرتِه وطُرَّاهِ ، ومثله استَحْلَسَ وعُشْبٌ مُسْتَحْلَسٌ : تَرى له طرائقَ بعضها تحت بعضٍ من تَرَاكُبيهِ وسَوادِهِ .

الحائسُ	:	يَبْيَسُ النّبت اذا كَثُرَ .
تَمَرٌ خَنْدَرِيْسٌ	:	قديمٌ ، وكذلك حِنطةٌ خَنْدَرِيْسٌ .
الخُرُسُ	:	كلُّ قَضِيْبٍ رطبٍ أو يابسٍ .
الْخَلْسُ	:	الْكَلَالُ الْيَابِسُ يَنْبُتُ فِي أَصْلِهِ الرُّطْبُ فَيَخْتَلِطُ بِهِ ، وكذلك الْخَلِيْسُ . وَأَخْلَسَ الْحَلِي : خَرَجَتْ فِيهِ خُضْرَةٌ طَرِيَّةٌ . وَأَخْلَسَ النّبتُ : اخْتَلَطَ رَطْبُهُ بِيَابِسِهِ . واذا كان الْعُشْبُ ؛ مِنْهُ الرُّطْبُ الْأَخْضَرُ وَمِنْهُ الْأَصْفَرُ الْهَائِجُ ؛ فَهُوَ خَلِيْسٌ وَمُخْلِيْسٌ ، وَخَصَّ بَعْضُهُمْ بِهِ الطَّرِيفَةَ وَالصَّلْيَانَ وَالْهَلْتَى وَالسَّحْمَ .
التَّخْمِيْسُ	:	من مصطلحات سَقْيِ الْأَرْضِ ، وَيُرَادُ بِهِ السَّقْيَةُ الَّتِي بَعْدَ التَّرْبِيعِ .
خَنَسَتِ النَّخْلُ	:	أَي تَأَخَّرَتْ عَنْ قَبُولِ التَّلْقِيحِ فَلَمْ يُؤَثَّرْ فِيهَا .
الْخُنَّاسُ	:	دَاءٌ يُصِيبُ الزَّرْعَ فَيَتَجَعَّنُ مِنْهُ فَلَا يَطْوُلُ .
الْخِيْسُ	:	مَنْبِتُ الطَّرَفَاءِ وَأَنْوَاعِ الشَّجَرِ . وَقِيلَ : هُوَ الْمُجْتَمِعُ مِنْ كُلِّ شَجَرٍ أَوْ الْمُلتَفُّ مِنَ الْقَصَبِ وَالْأَشْأِ وَالنَّخْلِ ، وَقِيلَ : لَا يَكُونُ خِيْسًا حَتَّى تَكُنَ فِيهِ حَلْفَاءٌ . وَقِيلَ : هُوَ كُلُّ شَجَرٍ مُلتَفٍّ لَيْسَ أَهْ شَوْكٌ . وَقِيلَ : الْخِيْسُ : الْأَجْمَةُ .
الدَّبْسُ	:	عَسَلُ التَّمَرِ وَعُصَارَتُهُ مِنْ غَيْرِ طَبَخٍ ؛ أَيْ مَا يَسِيلُ مِنْهُ ، وَيُسَمَّى أَهْلُ الْمَدِينَةِ الصَّقَرُ كَمَا مَرَّ فِي حَرْفِ الرَّاءِ .

- الدَّحْسُ : امتلاء أكمة السنبُل من الحَبِّ ، وقد دَحَسَ السنبُلُ وأدَحَسَ .
- الدَّخِينَسُ : المُلْتَفُّ من الكَلإِ الكثيرُ ، ويُقال له الدَّيَخَسُ أيضاً . وقد يَكْنَى الدَّيَخَسُ في اليَبِيسِ .
- دَرَسَ الطَّعَامَ : داسَهُ ، يمانِيَةً . والدَّرَاسُ هو الدِّيَاسُ بِلُغَةِ أَهْلِ الشَّامِ .
- الدَّعْسُ : القُطْنُ .
- حِنْطَةُ دُكَّاسٍ : كثيرةٌ . ودُكَّاسُ التَّمَرِ : مُلْتَقِّهِ .
- الدَّلَسُ : النبات الذي يُورِقُ في آخِرِ الصَّيْفِ .
- الأَدْلَاسُ : بقايا النبت والبقُل . وأدْلَاسُ الأَرْضِ : بقايا عَشْبِهَا . وأدْلَاسُ النَّصِيِّ : ظَهَرَ واخْضَرَ .
- الدَّهْسُ : النبتُ لم يَغْلِبْ عليه لونُ الخُضْرَةِ . وادهَسَ النبتُ : إذا صار أدهَسَ اللَّوْنِ ، والدَّهْسَةُ لَوْنٌ يَعْلُوهُ أَدْنَى سَوَادٍ .
- الدَّائِسُ : الذي يَدُوسُ الطَّعَامَ وَيَدُقُّهُ لِيُخْرِجَ الحَبَّ مِنْهُ .
- الدَّوَّائِسُ : البَقَرُ التي تَدُوسُ الكُدْسَ .
- المدَّاسَةُ : موضعُ دَوْسِ الطَّعَامِ .
- المدِّوَّاسُ : ما يَدُوسُ بهِ الطَّعَامُ ، أو هو الكُدْسُ يُجَرُّ عليه جَرًّا . ويُقال له المدِّوَّاسُ أيضاً .
- الدِّيَاسُ : هو الدَّرَاسُ ؛ وهو اسْمُ عَمَلِ دَوْسِ الزَّرْعِ .
- رَأْسٌ مِنَ الثُّومِ : أي سِنٌّ مِنْهُ ، وَيُسَمَّى الفَصُّ أيضاً .

- ارْتَبَسَ الْعُنُقُودُ : اِكْتَنَزَ ، وَعُنُقُودُ رَبِّيسُ وَمُرْتَبَسُ :
معناه انْهِيْضَامُ (انْضِمَامُ) حَبَّه وَتَدَاخُلُ
بعضيه في بعض .
- الرَّاكِسُ : الثَّوْرُ الَّذِي يَكُوْنُ فِي وَسْطِ الْبَيْدَرَحِيْنِ يُدَّاسُ ؛
وَالثَّيْرَانُ حَوَالِيْهِ تَدُوْرُ ؛ وَهُوَ يَرْتَكِسُ مَكَانَهُ .
- السَّدِيْسُ : ضَرْبٌ مِنَ الْمَكَائِلِ يُكَالُ بِهِ التَّمْرُ .
- السَّدُوْسُ : عَصَاةُ شَجَرَةِ الْعِظْلَمِ اِذَا جُمِدَتْ فَجَفَتْ ؛
وَيُقَالُ لَهَا النَّيْلَجُ وَالنَّيْلَنَجُ اَيْضاً .
- سَلِسَتِ النَّخْلَةُ : اِذَا ذَهَبَ كَرْبُهَا ، وَيُقَالُ لَهَا سَقَطَ مِنْهَا :
السَّلْسُ .
- أَسْلَسَتِ النَّخْلَةُ : تَنَاقَرَتْ بُسْرُهَا ، فَهِيَ مُسْلِسُ :
أَرْضٌ ؛ أَيْ أَكَلَتْهُ الْأَرْضَةُ . وَسَاسَ الطَّعَامُ :
وَقَعَ فِيْهِ السُّوسُ .
- الضَّرْسُ : الشَّيْخُ وَالرَّمْتُ وَنَحْوُهُمَا اِذَا أُكِلَتْ جُدُوْلُهُمَا .
- الضَّغَابِيْسُ : صِغَارُ الْقِثَاءِ .
- ضَاسَ النَّبْتُ : هَاجَ ، وَقِيلَ : هُوَ أَوَّلُ هَيْجِهِ ، نَجْدِيَّةٌ .
- الْعَدَبَسَةُ : الْكُتْلَةُ مِنَ التَّمْرِ .
- الْعُدَامِسُ : يَبِيْسُ الْكَتْلِ الْكَثِيْرُ الْمُتَرَكَيبُ .
- الْعَرِيْسُ : الشَّجَرُ الْمُلتَفُّ ، وَيُقَالُ لَهُ الْعَرِيْسَةُ اَيْضاً .
- الْعَكِيْسُ : الْقَضِيْبُ مِنَ الْحَبَلَةِ يُعْكَسُ تَحْتَ الْأَرْضِ اِلَى
مَوْضِعٍ آخَرَ .
- الْعَكِيْسَةُ : شَجَرَةُ الْعِيْبِ الَّتِي تَمْسُ الْأَرْضَ فِي قُضْبَانِهَا ،
وَهِيَ أَغْلَظُ مِنَ الشُّكْرِ .

- كَلَأٌ عُكَامِيسٌ : كَثُرَ يَبْيِيسُهُ بِالْمَوْضِعِ وَتَرَكَكُمْ .
- الْعَلَسُ : حَبَّةٌ سَوْدَاءُ إِذَا أُجْدَبُوا طَحَنُوهَا وَأَكَلُوهَا .
- كَلَأٌ مُعَلَنَكِيسٌ : بِمَعْنَى عُكَامِيسِ الْمُتَقَدِّمِ الذِّكْرِ .
- أَعْيَسَ الزَّرْعُ : إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ رَطْبٌ .
- الْغَرَسُ : غَرَسَكَ الشَّجَرَ .
- الشَّجَرُ الَّذِي يُغْرَسُ .
- الْقَضِيبُ الَّذِي يُنْزَعُ مِنَ الْحَبَّةِ ثُمَّ يُغْرَسُ .
- الْحَبَّةُ النَّابِتَةُ إِذَا نُزِعَ نَبَاتُهَا ثُمَّ غُرِسَ ، وَيُقَالُ لَهُ الْغُرْسَةُ أَيْضاً .
- الْغِرَاسُ : مَا يُغْرَسُ مِنَ الشَّجَرِ .
- زَمَنُ الْغُرْسِ .
- مَا كَثُرَ مِنَ الْعُرْفُطِ .
- الْغِرَاسَةُ : فَسِيلُ النَّخْلِ .
- الْمَغْرِسُ : مَوْضِعُ الْغُرْسِ .
- الْغَرِيْسَةُ : النَّخْلَةُ أَوَّلَ مَا تَنْبُتُ ، أَوْ النَّوَاةُ حِينَ تَطْلُعُ .
- الْفَسِيْلَةُ سَاعَةٌ تَوْضَعُ فِي الْأَرْضِ حَتَّى تَعْلَقَ .
- شَجَرُ الْعِنَبِ أَوَّلَ مَا يُغْرَسُ .
- الْبُسْرُ يَرْطَبُ مِنْ حَوْلِ ثُفْرُوْقِهِ فَبَدَأَ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ ، وَهُوَ أَرْدَأُ الرُّطْبِ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْقِنُو ثَبَاتٌ . وَقِيلَ :
- الْغَسِيْسُ وَالْمُغْسَسُ وَالْمَغْسُوسُ : هُوَ الْبُسْرُ الَّذِي يَرْطَبُ ثُمَّ يَتَغَيَّرُ طَعْمُهُ . وَقِيلَ : هُوَ الَّذِي لَا حَلَاوَةَ لَهُ وَهُوَ أَخْبَثُ الْبُسْرِ .

- المَغْسُوسَةُ : نخلةٌ تُرْطَبُ ولا حلاوةَ لها .
- الغَمِيْسُ : هو الغَمِيرُ من النَّبات ، وهو أنْ يَبْسَ البَقْلُ ثم يُصَيِّبُهُ المَطَرُ فَيَنْبِتَ في أَصُولِ اليَابِسِ نَبْتُ آخَرٍ أَخْضَرُ جَدِيدٌ ، فذاك الْأَخْضَرُ هو الغَمِيرُ والغَمِيْسُ .
- الغَمِيْسَةُ : الأَجْمَةُ من القَصَبَاءِ . وقيل الغَمِيْسُ : الأَجْمَةُ ممَّا كانتْ ،
- أَشَاءُ مُغَوَسٌ : أي شَذِبَ سَلَاوَهُ عَنْهُ .
- فُحِيسَ السَّنْبُلُ : فُرِكَ حَتَّى يَقَعَ عَنْهُ قِشْرُهُ .
- فُرْدِسَ الكَرَمُ : سُنِّدَ عَلَى العَرِيْشِ .
- الفِرْدَوْسُ : الرَّوْضَةُ .
- البُسْتَانُ الَّذِي يَجْمَعُ كُلَّ مَا يَكُونُ فِي البَسَاتِينِ .
- البُسْتَانُ الَّذِي فِيهِ الكُرُومُ . أَوْ خُضْرَةُ الْأَعْنَابِ .
- لُغَةٌ فِي الفِصْفِصَةِ وَهِيَ الرِّطَبَةُ ، وَالصَّادُ : أَعْرَبُ .
- الْفَطْسُ : حَبُّ الْأَسِ .
- تَمْرَةٌ فَطْسَاءُ : صَغِيرَةُ الْحَبِّ لَاطِنَةُ الْأَقْمَاعِ .
- الْقَوْسُ : الْبَقِيَّةُ تَبْقَى فِي أَسْفَلِ الْجُلَّةِ مِنَ التَّمْرِ . وَقِيلَ : هُوَ الْكُتْلَةُ مِنَ التَّمْرِ .
- نَخْلَةٌ كَبُوسٌ : هِيَ الَّتِي يَكُونُ حَمْلُهَا فِي سَعَفِهَا .
- الْكِبَاسَةُ : الْعِذْقُ الْكَبِيرُ التَّامُّ بِشَمَارِيخِهِ وَبُسْرِهِ ، وَهُوَ مِنَ التَّمْرِ بِمَنْزِلَةِ الْعُنُقُودِ مِنَ الْعِنَبِ .

- الكُدْسُ : الحَبُّ المحصودُ المجموعُ .
- شَجَرٌ مُتَكَادِسٌ : أي مُلتَفٌ مُجْتَمِعٌ مُتَرَكَبٌ ، وكذلك النخل .
- عُشْبٌ مُتَكَاوسٌ : اذا كَثُرَ وكَثُفَ وطالَ وتَرَكَبَ . وتكاوسَ النخلُ والشجرُ كذلك .
- وتكاوسَ النباتُ : التَفَّ وسَقَطَ بعضُه على بعضٍ .
- لِبَاسُ النُّورِ : أَكِمَّتُهُ .
- اللَّحْسُ : ما يظهر من رؤوس البَقْلِ فيراه المالُ فيقطع فيه فيلحسه اذا لم يقدر أن يأكلَ منه شيئاً .
- اللُّسَّاسُ : أَوَّلُ البَقْلِ والعُشْبِ ما دامَ صَغِيرًا لا تستمكِنُ منه الرَّاعِيَةُ .
- أَلَسَ الغَمِيرُ : خَرَجَ زَهْرُهُ .
- نَبَاتُ أُلْعَسُ : أي كثيرُ كَشْفٍ .
- اللَّغُوسُ : عُشْبٌ رقيقٌ لم يَشْتَدَّ بَعْدُ ولم يَلْتَفْ ، وهو - كما عبّر بعضهم - الرقيقُ الخَفِيفُ من النباتِ ؛ أو الناعمُ الرِّبَّانُ منه .
- كَتَلًا مَسُوسٌ : نامَ في الرَّاعِيَةِ ناجِعٌ فيها .
- امْتَعَسَ العَرَفَجُ : امتلأتْ أجوافُه من حُجْنِهِ .
- غُصْنٌ مَيَّاسٌ : مائلٌ .
- المَيْسُ : الخَشَبَةُ الطَّوِيلَةُ التي بين الثَّوَرَيْنِ .
- ناسَ الغُصْنُ : اذا هَبَّتْ به الريحُ فهُزَّتْهُ ، وكذلك تَنَوَّسَ .
- المُنَوَّسُ من التَّمْرِ : ما اسْوَدَّ طَرَفُهُ .

- الهَيْسُ : الفَدَّانُ ، أو أداةُ الفَدَّانِ كُلِّهَا ، عُمَانِيَّةٌ أو يَمَانِيَّةٌ .
- الوَادِسُ : النباتُ الكثيرُ الذي غطى وجهَ الأرضِ وَاَسْمًا تتشعبُ شُعْبُهُ بَعْدُ إلاَّ أَنَّهُ في ذلك كثيرٌ ملتفٌ ، وكذلك الوَدَسُ والوِدَّاسُ والوَدَيْسُ .
- الوَدَيْسُ : النباتُ الجافُّ .
- المُودِسُ : الذي اخضَرَ بعد ذهابِ قَرَعِهِ .
- وَرَسَ النَّبْتُ : اخضَرَ . وَوَرَسَ الشَّجَرُ : أَوْرَقَ ، وكذلك أَوْرَسَ .
- الْوَرَسُ : شيءٌ أصفرٌ مثلُ اللَّطْنِ يخرجُ على الرَّمْثِ بين آخِرِ الصَّيْفِ وأَوَّلِ الشِّتَاءِ ، وإذا أصابَ الثوبَ لَوْنُهُ . وقد يكونُ لغيرِ الرَّمْثِ كالعرعرِ وما شاكله ولا سيما بالحَبَشَةِ ، لكنَّهُ دونَ وَرَسِ الرَّمْثِ في القُوَّةِ والخاصِّيَّةِ . ويوجدُ في العرعرِ بين لِحائِهِ والصَّمِيمِ إذا جَفَّ ، فإذا فُرِكَ انفَرَكَ ولا خَيْرَ فيه ، ولكنْ يُغَشُّ به الْوَرَسُ . وأمَّا الرَّمْثُ فإذا كان آخِرُ الصَّيْفِ وانتهى مُنْتَهَاهُ اصْفَرَ صُفْرَةً شديدةً حتَّى يَصْفَرَ ما لا بَسَّه ، ويُغَشُّ به الْوَرَسُ - المذكورُ في النَّبَاتِ - أيضاً . وأَوْرَسَ الرَّمْثُ : أي اصْفَرَ وَرَقُهُ بعد الإدْرَاكِ فصار عليه مثلُ المَلَأِ الصُّفْرِ ، وَرِمَتْ وَرَيْسُ : ذو وَرَسٍ .

- أَوْمَسَ الْعِنَبُ : إذا لَانَ لِلنُّضْجِ .
 الْيَبِيسُ : ما يَبَسَ من العُشْبِ والبُقُولِ التي تَتَنَاشَرُ إذا
 يَبَسَتْ ، ومثله الجَفِيفُ والقَفِيفُ ، ولا يُقال
 لما يَبَسَ من الحَلِيِّ والصِّلِّيَانِ والحَكَمَةِ يَبِيسُ .
 واليَبَسُ من الكَلَالِ : الكَثِيرُ الْيَابِسُ .
 وَيَبِيسُ الْبُهْمِيُّ : العُرْقُوبُ والصَّفَارُ .

(حرف الشين)

النباتات :

- الْبَقْشُ : شَجَرٌ . ولعله (البَقْس) المذكور في حرف
 السين .
 الْبَيْشُ : نباتٌ كَالزَّنَجَبِيلِ رَطْبًا وَيَابَسًا . وأصلحه
 الْعَرَبِيُّ . وَرُبَّمَا نَبَتَ فِيهِ سَمٌّ قَتَالٌ لِكُلِّ
 حَيَوَانٍ ، وَأَشَدُّ مَضَرَّتِهِ بِالذِّمَاجِ ، وَيَعْرِضُ
 مَرَّحَقِي عَنْهُ وَرَمُّ الشَّفَتَيْنِ وَاللِّسَانِ وَجُحُوظُ الْعَيْنَيْنِ
 وَدُؤَارٌ وَغَشْيٌ ، وَيُقَاوِمُهُ دَوَاءُ الْمِسْكِ ،
 وَيُدَاوِي مَنْ سُقِيَ مِنْهُ بِالْقَيْءِ بِسَمَنِ الْبَقَرِ
 وَبِزْرِ السَّلَاجِمِ .
 بَيْشٌ مُوسَى : حَشِيشَةٌ تَنَبَّتْ مَعَ الْبَيْشِ ، وَهُوَ أَعْظَمُ
 تَرْيَاقِ الْبَيْشِ ، وَهُوَ تَرْيَاقٌ لِكُلِّ سَمٍّ .
 الْجُرْشِيُّ : ضَرْبٌ مِنَ الْعِنَبِ هُوَ أَطْيَبُ الْعِنَبِ كُلِّهِ ،
 أَبْيَضُ إِلَى الْخَضْرَاءِ ، رَقِيقٌ ، صَغِيرُ
 الْحَبَّةِ ، وَهُوَ أَسْرَعُ الْعِنَبِ إِدْرَاكًا . وَقِيلَ :

إِنَّ عَنَاقِيدَهُ طَوَالَ " وَحَبَّهُ مُتَفَرِّقٌ " ، وَيُقَالُ إِنَّ
الْعُنُقُودَ مِنْهُ يَكُونُ ذِرَاعًا . وَقَدْ يُزَبَّبُ .

ضَرْبٌ مِنَ الشَّعِيرِ أَوْ الْبُرِّ .

الْجُرْشِيَّةُ

:

نَبَاتٌ طَوِيلٌ ، لَهُ قُضْبَانٌ خُضِرٌ طَوِيلٌ ، وَهُوَ سَنَفَةٌ

:

الْجَيْشُ

كَثِيرَةٌ طَوَالَ مَمْلُوءَةٌ حَبًّا صَغَارًا — وَالسَّنَفَةُ

هِيَ الْخَرَائِطُ الطَوَالَ — وَهُوَ مِنَ الْأَعْشَابِ .

ضَرْبٌ مِنَ الشَّعِيرِ أَسْوَدُ الْحَبِّ وَالسُّنْبُلِ ،

:

الْحَبَشِيُّ

سُنْبُلُهُ حَرَفَانٌ ، وَهُوَ حَرِشٌ لَا يُؤْكَلُ

لِخُشُونَتِهِ ؛ وَلَكِنَّهُ يَصْلُحُ لِلْعَلْفِ .

ضَرْبٌ مِنَ الْعَنْبِ .

:

الْحَبَشِيُّ

نَبْتُ سُهْلِي كَالضَّفَرَاءِ وَالْغَبَرَاءِ ؛ وَهِيَ أَعْشَابٌ

:

الْحَرَشَاءُ

مَعْرُوفَةٌ تَسْتَطِيبُهَا الرَّاعِيَةُ . وَتَنْبُتُ الْحَرَشَاءُ

مُسَطَّحَةً لَا أَفْنَانَ لَهَا ، يَلْزَمُ وَرْقُهَا الْأَرْضَ

وَلَا يَمْتَدُّ حَبَالًا ، غَيْرَ أَنَّهُ يَرْتَفِعُ لَهَا مِنْ وَسْطِهَا

قَصْبَةٌ طَوِيلَةٌ فِي رَأْسِهَا حَبَّتُهَا ، وَلَوْ لِحَسِّ

الْإِنْسَانِ مِنْهَا وَرَقَةٌ لَزَقَتْ بِلِسَانِهِ . وَعَرَفَهَا

بَعْضُهُمْ : بِأَنَّهَا ضَرْبٌ مِنَ السُّطَّاحِ ، أَخْضَرُ ،

فِيهِ خُشُونَةٌ .

وَقِيلَ : الْحَرَشَاءُ ضَرْبٌ مِنَ النَّبَاتِ ؛ وَهُوَ خَرْدَلُ

الْبَرِّ .

نَبَاتٌ تَجْرُسُهُ النَّحْلُ ، لَهُ زَهْرٌ أَبْيَضٌ إِلَى

:

الْحَاشَا

الْحُمْرَةِ ؛ مُسْتَدِيرٌ ، وَقُضْبٌ دِقَاقٌ ،

وَوَرَقُهُ صَغَارٌ رِقَاقٌ .

الخرنباش : المرماحوز ، وهو نبات مثل المرو الدقاق الورق ،

وورده أبيض ، وهو أجود أصناف المرو ،
ويعد من رباحين البر ، طيب الريح ، يوضع
في أضعاف الثياب لطيب ريحه .

الخشخاش : نبت ثمرته جراء ، وهو أصناف أربعة :

بستاني ومنثور ومقرن وزبدي ، فالبستاني
هو الأبيض ، والمنثور هو البري المصري ،
والمقرن هو الذي ثمرته معقة كقرن الثور .
والكل منوم مخدر ، وقشره أشد تنويماً
من بزره .

الخوشان : نبت مثل البقلة التي تسمى القطف أو هي

نفسها ، وهو كالسرمق إلا أنه ألطف ورقاً ،
وفيه حموضة ، والناس يأكلونه .

ذات الريش : نبات من الحمض ، كالقيصوم ورقاً وورداً ،

ينبت خيطاناً من أصل واحد ، وهو كثير الماء
جداً ، يسيل من أفواه الابل سيلاً ، والناس
أيضاً يأكلونه .

العقش : بقلة تنبت في الشمام والمرخ ، تتلوى كالعصبة

على فرع الشمام ، ولها ثمرة خمرة إلى
الخمرة ما هي . ويقال لها العقش أيضاً .

العكرش : نبات من الحمض ، يشبه الثيل ، خشن

أشد خشونة من الثيل ، تأكله الأرناب .
وقيل : هو الثيل نفسه . وقيل : هو نوع

من الحرشَف . وعَرَفَهُ بعضهم بأنه نبات
مُنْبَسِطٌ على وجه الأرض ، له زَهْرٌ دقيقٌ وَبَرٌّ
كالجَاوَرِسِ وطَعْمٌ كالبَقْلِ . وقيل : هو آفةٌ
للتخل ينبت في أصله فيُهْلِكُهُ .

ومتأبَتُ العِكرِشِ نُسُوزُ الأرضين الرقيقة
والسِّبَاخُ ، وفي أطراف ورَقِه شوكٌ إذا تَوَطَّاهُ
الإنسانُ بَقَدَمَيْهِ شاكهما حتى أدماهما .

اللَّوَاءُ الذي يَلْتَوِي على الشجر وينتَشِرُ عليه .
شجرةٌ تَلَوِي بالشجر ، وهي طيبةٌ ، دقيقةٌ ،
لا وَرَقَ لها ، تُؤْكَلُ .

الْخَرْوَبُ ، ويُقال له الْفَشُوشُ أيضاً . وَالْفَشْفَشَةُ :
الْخَرْوَبَةُ .

عُشْبِيَّةٌ نحو السِّبَاخِ .
من أجناسِ البرِّ ، وهي صُلْبَةٌ في الطَّحْنِ ،
خَشِنَةٌ الدَّقِيقُ ، وسَفَاها أَسْوَدُ ، وسُنْبِلَتها
عظيمةٌ .

من نبات السَّهْلِ والْقِيَعَانِ ، من أَنْجَعِ المَرَاتِعِ للمال
تَسْمَنُ عليه الإبلُ والخَيْلُ ، يَنْبُتُ في الشتاء
ويهيِجُ في الصَّيْفِ .

شُجيرةٌ من الجَنْبَةِ ، تَنْبُتُ في أَرْوَمِ ، وترتَفِعُ
نحو ذِرَاعٍ ، ولها وَرَقَةٌ مُدَوَّرَةٌ حَرَّ شَاءِ خَضِرَاءِ
شديدة الخَضَرَةِ ، وهي مَرْعَى من الخُلَّةِ ، من

العُكَّاشُ

العَكِشَةُ

الفَشُ

الفَشْفَاشُ

الْقُرْشِيَّةُ

الْكِرِشُ

الْكِرِشُ

ذُكُور النَّبْتِ ، ومنابتها السُّهول . وانما قيل لها الكَرِشُ لِأَنَّ وَرَقَهَا يُشْبِهُ حَمْلَ الكَرِشِ ؛ فيها تَعْيِينَ ؛ كأنها مَنقُوشة .

الكَرِشَةُ : من عُشْبِ الرَّبِيعِ ، وهي نبتةٌ لاصِقةٌ بالأرض

بُطَيَحَاءِ الوَرَقِ ، مُعَرَّضةٌ غُبَيْرَاءِ ، لا تكاد تنبتُ الا في السُّهْلِ ، ولا تَنفَعُ في شَيْءٍ .

الكِشْمِشُ : ضَرَبٌ مِنَ العِنَبِ صِغار لا عَجَمَ له ، وعَنَاقِدُهُ

بيضٌ أَمْثالُ أَذْنَابِ الثَّعَالِبِ ، ويكون أَصْفَرُ وَأَحْمَرُ وَأَسْوَدُ ، أَلْيَنُ مِنَ العِنَبِ وَأَقْلُ قَبْضاً وَأَسْهَلُ خُرُوجاً ، وهو كثير بالسَّراةِ .

اللَّشُّ : الماشُ .

السَّمَاقُ .

المَرْدَقُوشُ : نبتٌ إذا انتهت نبتته مُنتَهَاهَا عَلتَها حُمْرةٌ ،

وهو الذي يقال له المَرْدَقُوشُ والمَرْدَنجُوشُ ، وكلُّ ذلك معرَّبٌ ، وعربيته السَّمْسَقُ ، ويُقال له : العَنَقَزُ أيضاً .

وقيل : المَرْدَقُوشُ هو الزَّعْفَرَانُ .

المَرْدَقُوشُ : طيبٌ تجعله المرأةُ في مُشْطِهَا ، يضربُ الى

الحُمْرةِ والسَّوادِ .

المَرْدَنجُوشُ : هو المَرْدَقُوشُ المتقدم الذكر ، والمَرْدَنجُوشُ

لُغَةٌ فيه .

المِشْمِشُ : ثَمَرٌ معروفٌ ، وهو ضَرَبٌ مِنَ الفاكهةِ يؤْكَلُ .

وأهل الكوفة يقولون : المَشْمَش . وأهل الشام
يُسَمُّونَ الإِجَاصَ مِشْمِشاً .

الماشُ

: حَبُّ مُدَوَّرٌ أَصْغَرُ مِنَ الْحِمَّصِ ، أَسْمَرُ اللَّوْنِ

يميل الى الخُضْرَةِ ، يُزْرَعُ زَرْعاً ، وله فَوَائِدُ طَبِيبَةٌ .

النَّبْشُ

: شَجَرٌ يُشَبِّهُ وَرْقَهُ وَرَقَ الصَّنَوْبَرِ إِلَّا أَنَّهُ

أَصْغَرُ مِنْهُ وَأَشَدُّ اجْتِمَاعاً ، لَهُ خَشَبٌ أَحْمَرٌ

كَأَنَّهُ النَّجِيعُ ، صُلْبٌ يُكِلُ الْحَدِيدَ ، أُرْزَنُ

مِنَ النَّبَعِ وَالْآبَنُوسِ ، تُعْمَلُ مِنْهُ الْمَخَاصِرُ

لِلنَّجَائِبِ (لِلجَنَائِبِ) وَعَكَائِزُ وَعِصِيٌّ ،

وَلَا تُعْمَلُ مِنْهُ الْقِيسِيُّ لِثِقَلِهِ ، وَلَا ثَمَرٌ لَهُ ،

وَمَنَائِطُهُ الْجِبَالُ مَعَ الضَّبَّارِ .

النَّفَاشُ

: نَوْعٌ مِنَ اللَّيْمُونِ أَكْبَرُ مَا يَكُونُ ، وَيُقَالُ لَهُ

النِّفَاجُ أَيْضاً .

الوَحْشِيُّ

: جَنْسٌ مِنَ التِّينِ يَنْبَتُ فِي الْجِبَالِ وَشَوَاحِطِ

الْأَوْدِيَةِ ، يَكُونُ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ أَسْوَدَ وَأَحْمَرَ

وَأَبْيَضَ ، وَهُوَ أَصْغَرُ التِّينِ ، صَادِقُ الْحَلَاوَةِ ،

وَإِذَا أُكِلَ جَنِيّاً أَحْرَقَ الْفَمَ ، وَيُزَبِّبُ .

ما يتعلق بالنبات :

تَبَرَّقَشَ النَّبْتُ :

تَلَوَّنَ .

ابْرْتَقَشَتِ الْعِضَاهُ :

حَسُنَتْ

الْبَهْشُ :

رَدِيءُ الْمُقْلِ . وَقِيلَ : مَا قَدْ أُكِلَ قِرْفُهُ . وَقِيلَ :

هُوَ الْمُقْلُ مَا دَامَ رَطْباً ، فَإِذَا يَبَسَ فَخَشِلٌ ،

وَيُسَمَّى نَوَاهِ الْمُلْجِ .

- الجِعْشُ : أصلُ النَّبَاتِ ، وقيل : هو أصلُ الصَّلْبَانِ خاصة .
- الحَبَشِيَّةُ : البُهْمَى إذا كَثُرَتْ وَالتَّقَتْ كأنَّهَا تَضْرِبُ إلى السَّوَادِ .
- حَشَّ الشَّجَرُ : جَفَّ . وَحَشَّ الْوَدِيُّ مِنَ النَّخْلِ : يَبِسَ .
- الحَشُّ : البُسْتَانُ ، وَحَاوَهُ مِثْلُهُ . وَالْحَشُّ - بفتح الحاء وَضُمُّهَا - : جَمَاعَةُ النَّخْلِ أي النَّخْلُ الْمُجْتَمِعُ ، وكذلك الحشائشُ .
- الحَشُّ : النَّخْلُ النَاقِصُ (النَافِضُ) الْقَصِيرُ الَّذِي لَيْسَ بِمَسْتَقِيٍّ وَلَا مَعْمُورٍ .
- الحَشِيشُ : مَا يَبِسَ مِنَ النَّبْتِ الرَّقِيقِ كُلِّهِ ، أَوْ هُوَ يَبْسُ الْعُشْبُ وَالْكُتْلُ ، وَلَا يُقَالُ لِلرُّطْبِ حَشِيشٌ .
- وقيل : إنَّ الحَشِيشَ إذا أُطْلِقَ عُنِيَ بِهِ الْخَلْيُ خَاصَةً ، وَهُوَ أَجْوَدُ عُلْفٍ تَصْلَحُ الْخَيْلُ عَلَيْهِ ، وَهُوَ مِنْ خَيْرِ مَرَاعِي النَّعَمِ ، إِلَّا أَنَّهُ إِذَا حَالَتْ عَلَيْهِ السَّنَةُ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَاسْوَدَّ بَعْدَ صُفْرَتِهِ وَاجْتَوَتْهُ النَّعَمُ وَالْخَيْلُ . وَأَحَشَ الْكُتْلُ : أَمَكَّنَ لِأَنَّهُ يُحَشَّ وَيُجْمَعُ .
- الحِشَّاشُ : الْجُوالِقُ فِيهِ الحَشِيشُ . وَالْمِحَشُّ وَالْمَحَشُّ : كِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ يُوضَعُ فِيهِ الحَشِيشُ .
- وَالْمِحَشَّةُ : مَا يُجْعَلُ فِيهِ الحَشِيشُ .
- المِحَشُّ : مِنجَلٌ سَادَجٌ يُحَشُّ بِهِ الحَشِيشُ . وَالْحُشَّاشُ : الَّذِي يُقَطَّعُ بِهِ الحَشِيشُ .

- استَحَشَّ الغُصْنُ : طال .
- الحائشُ : جماعةُ كلِّ شجرٍ من الطرفاء والنخل وغيرهما .
- الخادِشَةُ : أطرافُ السِّفَا من سُنْبُلِ البرِّ أو الشعير أو البُهْمى وهو شَوْكُهُ .
- خَرَّشَ الزَّرْعُ : خَرَجَ أَوَّلُ طَرَفِهِ من السَّنْبِلِ .
- أَرَبَشَ الشَّجَرُ : أَوْرَقَ ، وقيل : أخرجَ ثَمَرَهُ كأنه حِمَصٌ .
- وأَرَبَشَ الأَرطى : إذا أَوْرَقَ وتَفَطَّرَ .
- رَفِشَ البرُّ : جُرِفَ . والمِرْفَشَةُ : آلةُ الرِّفْشِ وهي المِجْرَفَةُ من الخَشَبِ يُجْرَفُ بها الطَّعامُ . والرِّفَاشُ : هائلُ الطَّعامِ بالمِجْرَفَةِ الى يَدِ الكَيْتالِ .
- الرَّمَشُ : الطَّاقَةُ من الحَمَاحِمِ وهو الرِّيحان ونحوه .
- أَرَمَشَ الشَّجَرُ : أَوْرَقَ وتَفَطَّرَ ، كأَرَبَشَ ، وقيل : أخرجَ ثَمَرَهُ كالحِمَصِ .
- كَتَلَّ رَيْشٌ : كثيرُ الورقِ ، ومثله رَيْشٌ .
- الشَّغْوُشُ : رديءُ الحِنِطَةِ ، مُعَرَّبٌ .
- الشَّيْشُ : التَّمَرُ الذي لا يَشْتَدُّ نَوَاهُ ، ومثله الشَّيْشَاءُ ، لُغَةٌ في الشَّيْنِصِ والشَّيْصَاءِ أو هو مُعَرَّبٌ . وهو من الآفاتِ والعُيُوبِ .
- العَرَشُ : الأصلُ يكون فيه أربع نخلات أو خمسٌ .
- وإذا نَبَتَتْ رَوَاكِبُ أربع أو خمسٌ على جِذْعِ النخلة فهو العَرِيشُ .
- العَرَشُ : ما عُرِّشَ للكَرَمِ من عِيدَانٍ تُجْعَلُ كهَيْئَةِ

- السَّقْفُ فَمُجْعَلٌ عَلَيْهَا قُضْبَانُ الْكَرْمِ ، وهو
الْعَرِيشُ أَيْضاً . وَعَرْشَ الْكَرْمِ وَأَعْرَشَهُ :
رَفَعَ دَوَالِيهِ عَلَى الْخَشَبِ . وَعَرَّشَهُ : عَطَفَ
الْعِيدَانَ الَّتِي تُرْسَلُ عَلَيْهَا قُضْبَانُ الْكَرْمِ .
واعتَرَشَ الْعِنَبُ : إِذَا عَلَا عَلَى الْعَرْشِ وَالْعَرِيشِ .
المِظْلَةُ الَّتِي تُسَوَّى مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ وَيُطْرَحُ
فَوْقَهَا الثَّمَامُ . : الْعَرِيشُ
- الشَّجَرَةُ الدَّقِيقَةُ الْقُضْبَانِ . وَقِيلَ : هِيَ الْمُفْتَرَقَةُ
الْقُضْبَانِ الَّتِي لَا تُوَارِي مَا وَرَاءَهَا . : الْعَشَّةُ
- النَّخْلَةُ الصَّغِيرَةُ الرَّأْسِ الْقَلِيلَةُ السَّعَفِ . وَقَدْ
عَشَّتِ النَّخْلَةُ وَعَشَّشَتْ : قَلَّ سَعَفُهَا وَدَقَّ
أَسْفَلُهَا ، وَذَلِكَ مِنَ الْآفَاتِ ، وَاسْمُهَا الدَّاءُ . : الْعَشَّةُ
- عَشَّشَ الْكَتْلُ : يَبْسُ ، فَهُوَ عَشٌّ . : الْعَشَّشُ
- زَرَعَ مُعْطَشٌ : لَمْ يُسَقَ . : زَرْعٌ مُعْطَشٌ
- أَطْرَافُ قُضْبَانِ الْكَرْمِ . : الْعَقْشُ
- ثَمَرُ الْأَرَاكِ ، وَيُقَالُ لَهُ الْكَبَاثُ وَالْجَهَادُ وَالْحَثَرُ
وَالْجَهَاضُ وَالْعَثَلَةُ . : الْعَقْشُ
- شَجَرَةٌ عَكِشَةٌ : كَثِيرَةُ الْفُرُوعِ مُتَشَجِّعَةٌ . وَالْعَكِشُ مِنْ
النَّبَاتِ : الْكَثِيرُ الْمُتَشَفُّ . : شَجَرَةٌ عَكِشَةٌ
- أَدَاةٌ لِلْحَرَائِثِ تُذَرَّى بِهَا الْأَكْدَاسُ الْمَدُوسَةُ ،
وَتُسَمَّى الْحِفْرَاءُ أَيْضاً . : الْعَوَكَشَةُ

- العُمَشُوشُ : العُنُقُودُ إذا أُكِلَ بعضُ ما عليه وتُركَ بعضُهُ ، ويقال له العُمَشُوقُ أيضاً .
- عَنكَشَ العُشْبُ : هاجَ وكَثُرَ والتَفَّ .
- العَيْشُ : الزَّرْعُ ؛ حِجَازِيَّةٌ .
- الطَّعامُ ؛ يَمَانِيَّةٌ .
- الغَرَشُ : حملُ شجرٍ أي ثَمَرُهُ ، يَمَانِيَّةٌ .
- الْفَرَشُ : مرحلةٌ من مراحل نُمُو النخلة وذلك عندما تَصِيرُ ثلاثَ خُوصاتٍ ، وكذلك الزَّرْعُ إذا صارت له ثلاثُ ورقاتٍ وأرْبَعٌ .
- الْفَرَشُ : الصُّغارُ من الشجر ، ويُسمَّى الدَّقُّ أيضاً .
- الْفَرَشُ : الدَّارَةُ من الطَّلح . وفَرَشَ العِضَاهُ : جماعتُها .
- فَرَشَ النِّبَاتُ : انْبَسَطَ على وَجْهِ الأرض في أوَّلِ نشوئه ونهوضه ، ومثله فَرَشَ ، ويُسمَّى ذلك النبات : الفَرِيشَ . وأَفَرَشَ الشجرُ : أَغْصَنَ ، وفَرَشَ : مِثْلُ فَرَخَ .
- الْفَرَّاشُ : أوَّلُ ما يُبْنَى مِنَ الثَّمِيلَةِ ، يحفرون خندقاً على الرِّكِيْبِ - وهو حائطُ النخلِ - ويُسمَّونَ الحَقَرَ السَّامَةَ ، ثم يَبْنُونَ الجَدَرَ . فأوَّلُ ما يُبْنَى به الفَرَّاشُ ، وهي حِجَارَةٌ عَظَامٌ أمثال الأَرْحَاءِ ، ثم بالحَفَضِ وهي حِجَارَةٌ صِغارٌ .
- الْفَشُ : حَمْلُ اليَنْبُوتِ .
- قَشَّ النباتُ : يَبِسَ .

- القَشُّ : رديّ التَّمَر والنَّخْل ، يمانية ، (عمانية) .
ويُعَدُّ من جملة الآفات والعيوب .
- القَشْقِشَةُ : ثَمَرَةٌ أَمَّ غَيْلَان .
- القَوَاشَةُ : ما يبقى في الكَرَم بعد قَطْعِهِ .
- المُكْرَشَةُ : ما تَعَقَّفَ بَزْرُهُ من انواع البَطِيخ .
- الكُشُّ : الحِرْقُ الذي يُلْقَحُ به النَّخْلُ .
- المُشَاشُ : الطَّيْنَةُ التي غُرِسَ فيها النَّخْلُ .
- أَمَشَ السَّلَمُ : خَرَجَ ما يَخْرُجُ من أطرافه ناعِماً رَخِصاً كالْمُشَاشِ .
- الأُنْبُوشُ : أَصْلُ البَقْلِ المُنْبُوشِ ، وَأُنَابِيشُ العُنْصَلِ :
أَصُولُهُ تَحْتَ الأَرْضِ .
- وقيل : الأُنْبُوشُ هو الشَّجَرُ المُقْتَلَعُ بِأَصْلِهِ
وعُرُوقِهِ .
- الأُنْبُوشُ : البُسْرُ المَطْعُونُ فيه بالشَّوْكِ حتى يَنْضِجَ وَيُرْطَبُ .
- النَّتَشُ : هو النَّبَاتُ أَوَّلَ ما يَنْبُتُ من أَسْفَلِ وَفَوْقَ .
وَأَنْتَشَ الحَبُّ : إِذَا ابْتَلَّ فَضْرَبَ نَتَشَهُ فِي
الأَرْضِ . وَأَنْتَشَ النَّبَاتُ : أَخْرَجَ رَأْسَهُ مِنْ
الأَرْضِ قَبْلَ أَنْ يُعْرِقَ .
- نَشَّ الرُّطْبُ : يَبَسَ .
- النَّقْشُ : أَنْ يُضْرَبَ العِذْقُ بِشَوْكٍ حَتَّى يُرْطَبَ .
وَنَقَشَ العِذْقُ : إِذَا ظَهَرَ فِيهِ نُكْتُ مِنْ
الإِرْطَابِ .

أُتْرُجَّةٌ هَشَّةٌ	:	رِخْوَةٌ الْمَكْسَر .
الهَشِيشَةُ	:	الْوَرَقَةُ الْمَخْبُوطَةُ .
أَوْبَاشُ النَّبَاتِ	:	ضُرُوبُهُ الْمُتَفَرِّقَةُ ، أَوْ أَنْ يَكُونَ قَلِيلاً مُتَفَرِّقاً هـ

(حرف الصاد)

النَّبات :

الإِجَاصُ	:	ثَمَرٌ مَعْرُوفٌ ، مِنْ الْفَاكِهَةِ ، وَهُوَ أَنْوَعٌ ، وَأَجْوَدُهُ الْأَرْمَنِيُّ الْحُلُو الْكَبِيرُ ، وَهُوَ مِنْ نَبَاتِ بِلَادِ الْعَرَبِ ، وَيُقَالُ لَهُ الْإِنْجَاصُ أَيْضاً ، وَيُطْلَقُ الشَّامِيُّونَ الْإِجَاصَ عَلَى الْمِشْمِشِ وَالْكُمَثْرِ .
الْبَرِيصُ	:	نَبْتُ يَشْبِهُ السَّعْدَ ، يَنْبُتُ فِي مَجَارِي الْمَاءِ هـ
الْبِلَنْصَاةُ	:	بَقْلَةٌ ، وَسَمَائِهَا بَعْضُهُمْ : الْبِلَنْصَاءُ .
الْجَمَصُ	:	ضَرْبٌ مِنَ النَّبْتِ .
الْحُصُّ	:	الزَّعْفَرَانُ .
الْحِمَصُ	:	وَقِيلَ : هُوَ الْوَرَسُ يُصْبَغُ بِهِ .
الْحَمَصِيصُ	:	حَبٌّ مَعْرُوفٌ ، مِنْ الْقَطَانِيِّ ، وَهُوَ أَبْيَضٌ وَأَحْمَرٌ وَأَسْوَدٌ وَكِرْسِينِيٌّ ، وَيَكُونُ بَرِّيًّا وَبُسْتَانِيًّا ، وَالْبَرِّيُّ أَحَرُّ وَأَشَدُّ تَسْخِينًا وَغِدَاءً ، وَالْبُسْتَانِيُّ أَجْوَدُ ، وَالْأَسْوَدُ أَقْوَى وَأَبْلَغُ فِي أَفْعَالِهِ . وَلَهُ مَنَافِعٌ طَبِيعَةٌ كَثِيرَةٌ .
	:	بَقْلَةٌ طَبِيعَةُ الطَّعْمِ ، جَعْدَةُ الْوَرَقِ ، حُمْرَاءُ الْأَصْلِ ، مِنْ أَحْرَارِ الْبَقُولِ ، رَمْلِيَّةٌ تَنْبُتُ فِي

رَمْلٌ عالِجٌ وجِبَالُ الدَّهْنَاءِ ، حَامِضَةٌ دُونَ
الْحُمَاضِ فِي الْحُمُوضَةِ ، وَثَمَرَتُهَا كَثْمَرَةٌ
الْحُمَاضِ ، تُجْعَلُ فِي الْأَقْطِ ، وَيَأْكُلُهَا
النَّاسُ وَالْأَبْلُ وَالْغَنَمُ . وَيُسَمَّيْهَا أَهْلُ الْجَبَلِ
وخراسان : التُّرْفَ ، وَقَدْ تُسَمَّى الثُّوْلَ أَيْضاً .
وَقِيلَ : الْحَمَصِيصُ عُشْبَةٌ تَطُولُ طَوْلًا
شَدِيدًا ، وَلَهَا وَرَقَةٌ عَرِيضَةٌ وَزَهْرَةٌ حُمْرَاءُ ،
فَإِذَا دَنَا يُبَسِّسُهَا أَيْضَتْ الزَّهْرَةَ ، وَالنَّاسُ يَأْكُلُونَهَا

نَبَاتٌ لَهُ حَبٌّ يُتَّخَذُ مِنْهُ طَعَامٌ ، فَيُؤْكَلُ .
شَجَرٌ يَنْبُتُ كَالْكَرْمِ يَتَعَلَّقُ بِالشَّجَرِ فَيَعْلُو ،
وَلَهُ وَرَقٌ أَغْبَرُ رِقَاقٍ مُدَوَّرَةٌ وَاسِعَةٌ ، وَلَهُ وَرْدٌ
كُورْدُ الْمَرْوِ ، وَأَصُولُهُ مُشْرَبَةٌ ، وَهُوَ طَيِّبُ الرِّيحِ ،
وَحَبُّهُ كَنَحْوِ حَبِّ عِنَبِ الثَّلَعِ ؛ يَجْتَمِعُ
الْبَلَاثُ وَالْأَرْبَعُ مَعًا ، وَهُوَ أَحْمَرُ كَخَرَزِ
العَقِيقِ ، لَا يُؤْكَلُ وَلَكِنَّهُ مَرْعَى .

الْبَصَلُ ، وَقِيلَ : الْبَصَلُ الْأَمْلَسُ الْأَبْيَضُ .
شَجَرٌ .
بَقْلٌ أَحْمَرٌ .

هُوَ الْحَنْدَقُوقِيُّ أَوْ الذَّرَقُ ، وَهُوَ نَبَاتٌ يَكُونُ
بِالْبَادِيَةِ ، لَهُ سَاقٌ كَسَاقِ الرَّازِيَانَجِ ، وَجُمْتُهِ
وَافِرَةٌ مُتَكَاثِفَةٌ . وَيُقَالُ لَهُ الْعُرْقُصُ وَالْعُرْقِصَاءُ
أَيْضاً . وَذَكَرُوا أَنَّهُ نَافِعٌ جَدًّا فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ
الْوَبَاءِ .

الْخَرْبَصِيصَةُ

الْخَلَصُ

الدَّوْقَصُ

الدُّمَيْصُ

الرَّمِيصُ

الْعُرْقُصَاءُ

- العَفَصُ : اسمٌ معروفٌ يُسَمَّى به الشجرُ والشمَرُ ، وهو الذي يُتَّخَذُ منه الحَبِيرُ .
- وقيل : هو شَجَرَةٌ من البَاثُوط تحمل سنةً بَلَدُوطاً وسِنَّةً عَفَصاً . ويقال انه دواء ناجع للأعضاء الرُّخوة الضَّعِيفَة ، واذا نُقِعَ في الخلِّ سَوَدَ الشَّعَرُ .
- العَلِيصُ : نَبْتُ يُرْتَدَمُ به وَيُتَّخَذُ منه المَرَقُ .
- الغَصَصُ : ضَرْبٌ من النَّبَاتِ .
- الفَصْفَصُ : القَتُّ . وقيل : هو الرَّطْبُ منه .
- الْقَرَّاصُ : نَبْتُ يَنْبُتُ فِي السَّهْلَةِ وَالْقِيَعَانِ وَالْأَوْدِيَةِ وَالْجَدَدِ ، وَزَهْرُهُ أَصْفَرٌ ، وَهُوَ حَارٌّ حَامِضٌ ، يَقْرُصُ إِذَا أُكِلَ مِنْهُ شَيْءٌ .
- وقيل : هو البَابُونَجُ ، وهو نَوْرُ الْأَقْحُوَانِ الْأَصْفَرِ إِذَا يَبَسَ .
- وقيل : الْقَرَّاصُ ضَرْبانِ : أَحَدُهُمَا الْعَقَّارُ - وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ فِي حَرْفِ الرَّاءِ - وَالْآخَرُ : نَبْتُ كَالْجَرَجِيرِ ، يَطُولُ وَيَسْمُو ، وَلَهُ زَهْرٌ تَجْرُسُهُ النَّحْلُ مِنْهُ مَا لَوْنُهُ أَصْفَرٌ وَمِنْهُ مَا نَوْرُهُ إِلَى السَّوَادِ ، وَلَهُ حَرَاوَةٌ كَحَرَاوَةِ الْجَرَجِيرِ ، وَحَبُّ صِغَارِ حُمُرٍ ، وَالسَّوَامُ تُحِبُّهُ وَتَحْبِطُ عَنْهُ كَثِيراً لِحَرَاوَتِهِ حَتَّى تَنْقَدَ بَطُونُهَا ، وَقَدْ تَأْكُلُ الْإِبِلُ مِنْهُ الْأَكْلَةَ الْوَاحِدَةَ فَتَحْبِطُ مِنْهُ ، وَالنَّاسُ يَحْنَدَرُونَهُ مَا دَامَ غَضّاً ، فَإِذَا وَلَّى ذَمَّ بَ ذَلِكَ عَنْهُ .

- وقيل : القُرَّاصُ هو الورسُ .
- وقيل : هو عُشْبَةٌ صفراء ، وزهرتها كذلك ،
لا يأكلها شيءٌ من المال الا هَرِيْقَ فَمَهُ ماءً ،
وهو من ذُكُور النبت ، ومَنَابته القيعانُ .
- القُرَيْصُ : عُشْبٌ ، وكأنه القُرَّاصُ المتقدم الذكر ، من لغة العامة .
- القَصَاصُ : شجر باليمن يجرسه النحلُ ، وهو ضرب من الحمض ، ومنه العسلُ الذي يُسمَّى عَسَلِ قَصَاصٍ .
- القَصِيصَةُ : شجرة رَقْطَاء تنبتُ أبدأ في أصل الكمأة ، وبها وبالإجْرَدِ يُستدلُّ عليها ، ويُتخذ منها غِسلٌ للرأس كالخِطْمِي .
- القَصْقَاصُ : مررتيكة ضَرْبٌ من الحمض ، وهو نبات دقيق ضعيف أصفر اللون ، وهو أشنانُ الشام . ويُسمَّى القَصْقَاصُ - بالضاد المعجمة - ايضاً .
- القُغْمُوصُ : ضَرْبٌ من الكمأة .
- الكَحْضُ : نباتٌ له حَبٌ أسود يُشَبَّهُ بعَيْن الجراد .
- الكَرِيصُ : بَقْلَةٌ يُحَمَّضُ بها الأَقِطُ .
- الكَرْمُوصُ : التَّيْنُ .
- المُصَاصُ : نباتٌ رَمْلِيٌّ ، ينبُتُ خَيْطَاناً دَقَاقاً غير أن لها لِيناً ومَتَانَةً ، ونباتُه نحو نبات الإذخير ، وله قُشُورٌ كثيرة يابسة .

وقيل : هو الثَّدَاءُ ، أو يَبَيْسُهُ خاصة .
 وقيل : هو نبتٌ يُشْبِهُ الثَّدَاءَ ؛ أدَقُّ منه ،
 ونَبَاتُهُمَا نبات الكُرَّاثِ الاَّ انه يخرج من أصلٍ
 واحد ورَقٌ كثير ، فتَرى الأَصْلَ منه قد
 أَخَذَ قطعةً من الأرض ، وورقه صُلْبٌ مَتِينٌ ،
 تُتَّخَذُ منهما جَمِيعاً الحَبَالُ . وللمُصَّاصِ
 زهرةٌ ، وهو مَرْعَى .

وقيل : الثَّدَاءُ والمُصَّاصُ والعَيْشُومُ شَيْءٌ واحدٌ .
 وَيَبَيْسُ المُصَّاصُ ثَقُوبٌ جَيِّدٌ ، ويُقال له
 المَصَاخ . واليَمِينَةُ وَمَتَانَتُهُ يُخَرَّرُ بِهِ ، فَيُؤْخَذُ
 وَيُدَقُّ عَلَى الْفَرَازِيمِ حَتَّى يَلِينَ . ويعظمُ
 المُصَّاصُ حَتَّى تُفْتَلَّ من لِحَائِهِ الأَرَشِيَّةُ ،
 وَحَبَالُهُ جَيَادٌ .

قَصَبُ السَّكَّرِ عُلُومٌ رَدِي

ضَرَبٌ من الأَسَلِ لَيِّنٌ ، تُعْمَلُ منه الأطباقُ
 والغُلْفُ ، وهو قَلِيلُ النُّجُوعِ فِي السَّائِمَةِ
 تَسْلَحُ عَنْهُ الإِبِلُ . وضبطه بعضهم بكسر التَّوْنِ
 وسكون الميم .

ثَمَرُ نَبَاتٍ يُؤْكَلُ ، وقيل : هو الهَقَصُ
 بالتحريك .

المُصَّانُ

النَّمَصُ

الهَقَصُ

ما يتعلق بالنبات :

ما تَكَسَّرَ من الآنِيَةِ وهو نصفُ الجِرَّةِ أو
 الخَابِيَةِ تُزْرَعُ فِيهِ الرِّيحَانُ .

الأَصْبِصُ

- البَصِصُ : لَمَعَانُ حَبِّ الرُّمَّانَةِ .
- البَصْبَاصُ : ما يَبْقَى من الطَّرِيفَةِ على عُدٍ كَأَنَّهُ أَذْنَابُ الْيَرَابِيعِ .
- بَصَصَ النَّبْتُ : انْشَقَّتْ عَيُونُهُ وَتَفَتَّحَ لِلْأَيْرَاقِ . وَيُقَالُ لِلْوَرَقِ حِينَ يَنْفَتِحُ : بَصَصَ أَيْضاً . وَبَصَصَتِ الْبَرَاعِيمُ : تَفَتَّحَتِ أَكِمَّةُ الرِّيَاضِ .
- البُوصُ : ثَمَرُ ذَبَاتٍ .
- جَصَصَ الْكَرْمُ : إِذَا هَمَّ الْعُنُقُودُ أَنْ يُخْرَجَ وَدَنَا خُرُوجَ الْحُجْنَةِ وَعَظُمَتِ الزَّمْعَةُ .
- جَصَصَ النَّبْتُ : إِذَا بَدَأَ أَوَّلَ مَا يُخْرَجُ ، مِثْلُ بَصَصَ .
- الْحَرْقُوصُ : نَوَاةُ الْبُسْرَةِ الْخَضِرَاءِ .
- الْخُصَاصَةُ : مَا يَبْقَى فِي الْكَرْمِ بَعْدَ قِطَافِهِ . وَلَعَلَّهُ تَصْحِيفُ (الْخُصَاصَةِ) الْآتِيَةِ .
- انْحَصَّ وَرَقُ الشَّجَرِ : تَحْقِيقُ تَأَثُّرِهِ ، مِثْلُ انْحَتَّ .
- الْحَقْفَصُ : عَجَمُ النَّبِقِ وَالزُّعْرُورِ وَنَحْوَهُمَا .
- الْخُرْصُ : فَرَعُ النَّخْلِ أَيْ جَرِيدَتُهُ ؛ وَالْغُصْنُ ، أَوْ كُلُّ قَضِيبٍ رَطْبٍ أَوْ يَابِسٍ ، وَيُقَالُ بَفَتْحِ الْخَاءِ وَبِكْسَرِهَا أَيْضاً .
- الْخُصَاصَةُ : مَا يَبْقَى فِي الْكَرْمِ مِنْ بَعْدِ قِطَافِهِ ؛ الْعُنَيْقِيدُ الصَّغِيرُ هَا هُنَا وَهَا هُنَا . وَقِيلَ : إِذَا لَمْ يَرَوْا الْغُصْنَ مِنَ الْكَرْمِ وَخَرَجَ مِنْهُ الْحَبُّ مُتَقَرِّقاً ضَعِيفاً فَهُوَ الْخُصَاصَةُ .

- الخلوصُ : رَبُّ يَتَّخِذُ مِنْ تَمَرٍ .
- الخناصةُ : مرحلةٌ من مراحل نُمُو النخلة ، وهي التي لم تَفُتَ اليدَ ، ويُقال لها الخنوصةُ والخنوصةُ أيضاً .
- الخنوصُ : وَرَقُ النّخْلِ والمُقل والدَّوْم والنَّارَ جيل والخَزَم والكاذيِّ والفُوقَل والغَصَف وما أشبه ذلك مما نباته نباتُ النّخل ، لا يُقال فيها وَرَقٌ ولكنْ خُوصٌ ، وهو اسمٌ لرَطْبِهِ وبَابِسِهِ . وقيل : الخُوصُ يا بيسُهُ والسَّعَفُ رَطْبُهُ .
- الخنوصةُ : ما كانَ من وَرَقٍ ليس بعَرِيضٍ .
وقيل : الخُوصةُ من الجَنبة ما نَبَتَ على أُرُومَةٍ أو من نبات الصَّيف خاصةً .
وقيل تحقّق الخُوصةُ : ما يَنْبُتُ في أصلِ حينٍ يُصِيبُهُ المَطَرُ ، والبَقْلُ يَنْبُتُ في حَبٍّ .
وقيل : اذا ظَهَرَ أَخْضَرُ العَرَفَجِ على أبيضِهِ فتلك الخُوصةُ .
- وذكروا أنَّ للأرطى والألاء والعرفَج والسَّبَط والثَّمام خُوصاً . وخُوصة الأرطى مثلُ هُدْبِ الأثل ، وخُوصة الألاء على خِلقة آذان الغنم ، وخُوصة العرفَج كأنّها ورقُ الحِناء ، وخُوصة السَّبَط على خِلقة الحانفاء .
- أما البُقُول التي يَتَنَاثَرُ وَرَقُها وَقَتَ الهَيَجِ

فلا خُوصة لها . ويُتخذُ من الخُوص الحِبَالُ ،
وتُسَمَّى تلك الحِبَالُ الشَّرِيطَ .

أخُوصَ الرَّمْثُ : تَفَطَّرَ بَوَرَقٍ ، وكذلك العَرَفَجُ ، وعمَّ بعضهم

به الشَّجَرَ فقال : اذا نبتَ للشَّجَرِ بَعْدَ الاِبراقِ
أغْصَانِ رطبة دقاق ناعمة فقد أخُوصَ الشَّجَرُ ،
وتلك الأفنان خُوصة ، وحينئذ ترى الشَّجَرَ قد
اشتدَّتْ خِصاصُهُ وخَفِيَتْ عِيدَانُهُ القَدِيمَةُ .
وأخُوصَتِ الخُوصَةُ : بَدَتْ . وخُوصَتِ
الفَسِيلَةُ : انْفَتَحَتْ سَعَفَاتُهَا .

الخَيْصِي : نُبْدَ من العُشْبِ .

نَبَاتٌ رَخِصٌ : هَشٌّ لَيِّنٌ .

ارْتَعَصَتِ الشَّجَرَةُ : اهْتَزَّتْ .

الشَّبَبُ : الخُشُونَةُ ودُخُولُ شَوَكِ الشَّجَرِ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ ،
وقد تَشَبَّصَ الشَّجَرُ ، يَمَانِيَةً .

الشَّيْصُ : تَمَرٌ لَا يَشْتَدُّ نَوَاهُ وَقَدْ لَا يَكُونُ لَهُ نَوَى أَصْلًا ،

وهو أَرْدَأُ التَّمَرِ ، وذلك من الآفات والعيوب ،
وانَّما يُشَيِّصُ اذا لم يُلْقَحْ . وأهل المدينة
يُسَمُّونَ الشَّيْصَ السَّخْلَ ، ويُقال له الصَّيْصُ
أَيْضًا . وأشاصَ النخلُ وشَيِّصَ : اذا فَسَدَ
وصار حمله الشَّيْصَ . والشَّيْصَاءُ مثله .

الصَّيْصُ : هو الشَّيْصُ المتقدم الذكر ، ومثله الصَّيْصَاءُ .

وقد صاصَتِ النخلة وأصاصت وصَيَّصَتْ .

- الصَّيْصَةُ : الوَتِدُ الذي يُقْلَعُ به التَّمْرُ، ويُقال له الصَّيْصِيَّةُ أيضاً .
- الصَّيْصَاءُ : حَبُّ الحَنْظَلِ الذي ليس في جَوْفِهِ لُبٌّ ، وكذلك حَبُّ البِطِيخِ والقِثَاءِ وما أَشْبَهَهُمَا .
- العِنْصُورَةُ : القطعة من الكَسَلِ والقَلِيلِ المُتَفَرِّقُ من النَّبْتِ ، وتُفْتَحُ العين وتُكْسَرُ أيضاً ، ويُقال له العِنْصِيَّةُ والعِنْصَاةُ .
- العِيْصُ : جماعةُ الشجر ذي الشَّوكِ ، أو الشجر الكثير المُلْتَفِ النَّابتِ بعضُهُ في أَصُولِ بعضٍ ، يكون من الأراك ومن السِّدْرِ والسَّامِ والعَوْسَجِ والنَّبَعِ ومن العِضَاهِ كُلِّهَا . وقيل : هو مَنْبِتُ خِيارِ الشجر . وقيل : هو السِّدْرُ المُلْتَفُ الأُصُولِ خاصيةً . وقيل : بل هو أَصُولُ الشجرِ .
- الْفَرْصُ : نَوَى المَقْلِ .
- الفَصُّ : السِّنُّ من أسنان الثَّوْمِ ، ويُسمَّى الرأسُ أيضاً كما مرَّ في حَرْفِ السينِ .
- الفِصْفِيَّةُ : الرَّطْبَةُ من عَلَفِ الدَّوَابِّ ، وقيل : هو رَطْبُ القَتِّ ، فاذا جَفَّ فهو قَضْبٌ .
- الفُقَيْصُ : حَديدةٌ كَحَلْقَةٍ في أداة الحَرَاثِ تَجْمَعُ بين عِيدَانِ مُتَبَايِنَةٍ مُهَيَّاةٍ مُتَقَابِلَةٍ .
- الفَقُوصُ : البِطِيخَةُ قبل أن تَنْضَجَ ، في لُغَةِ أَهلِ مِصرَ .
- القَفَصُ : أداةٌ للزَّرْعِ ، وهي خَشَبَتَانِ مَحْنُوتَانِ ،

بين أحنائهما شَبَكَةٌ ، يُنْقَل فِيهَا الْبُرُّ إِلَى
الْكُدْسِ .

القَفِصُ : حَدِيدَةٌ مِنْ أَدَاةِ الْحَرَاثِ ؛ هِيَ عِيَانُ الْقَدَانِ
وَحَلَقَتُهُ . وَيُقَالُ لَهَا الْقَفَصُ وَالْقَفِصَةُ أَيْضاً .

الْلاَمِصُ : حَافِظُ الْكَرْمِ .

الْمَصَّ الْكَرْمُ : إِذَا لَانَ عِنْبُهُ .

الْمَصَّ الشَّجَرُ : أَمْكَنَ أَنْ يُلْمَصَ أَيُّ يُرْعَى .

المُصِصُ : أَنْ يَفْسِدَ النَخْلَةُ التَّلْقِيحُ وَيُجَزَّرَهَا .

المَوْصُ : التَّبْنُ .

النَّبْصُ : الْقَلِيلُ مِنَ الْبَقْلِ إِذَا طَلَعَ ، وَقِيلَ : هُوَ النَّبْصُ

بِالتَّحْرِيكِ .

النَّدْصُ : خُرُوجُ النَّوَاةِ مِنَ التَّمْرَةِ أَوْ التَّمْرَةِ مِنَ النَّوَاةِ .

النَّمْصُ : أَوَّلُ مَا يَبْدُو مِنَ النَّبَاتِ فَأَمْكَنَكَ جَزْءُهُ .

وَقِيلَ : هُوَ أَوَّلُ مَا يَنْبُتُ فِيمَلَأَ فَمَ الْآكِلِ .

وَأَنْمَصَ الْبَقْلُ : أَيُّ ارْتَفَعَ قَلِيلاً حَتَّى يُمْكِنَ

أَنْ يُنْتَفَ بِالْأَظْفَارِ .

النَّمِصُ : النَّبْتُ الَّذِي نَمَصَتْهُ الْمَاشِيَةُ بِأَفْوَاهِهَا أَيُّ نَتَفَتَهُ .

وَقِيلَ : هُوَ الَّذِي قَدْ أُكِلَ ثُمَّ نَبَتَ ، وَأَنْمَصَ

النَّبْتُ : طَلَعَ بَعْدَ أَنْ أَكَاثَتُهُ الْمَاشِيَةُ .

يَصَّصَ النَّبْتُ : تَفَتَّحَ بِالنَّوْرِ .



العراق ودوره في تحقيق الشعر

الدكتور نوري محمود العنسي

كلية الآداب — جامعة بغداد

رئيس معهد البحوث والدراسات العربية

عندما يكون التحدي حالة من حالات الطمس ، والتجاوز ظاهرة من ظواهر
انتهاء الشخصية تتوثب في دواخل النفس أحاسيس المجابهة لا يقاف حالة التحدي ،
وتتنازع أسباب البقاء لتوقف سيطرة التجاوز ، وقد استطاع الانسان عبر تجاربه
الطويلة ، وحياته الحافلة باصناف التطور أن يدرك هذه الحقيقة ، ويعالج الأسباب
التي توجهها اليه فطرته اولاً وتجربته ثانياً وعلمه في المراحل المتقدمة ، ليدفع عنه
وضعاً شعر بخطرته ، ووقف على نتائجه ، وكانت الكتابة والتدوين اول وسائله
لتحديد معالم حياته ، وتوضيح اساليب علاقاته ، وتأكيده وجوده ، لأن الأثر
والكتابة علامات ثابتة ، ومآثر شاخصة يقرأ فيها واقع الانسان ، وتستبان في سطورها
اشكال حركته ، وانماط سلوكه ، واحداث صراعه ، واذا كان انسان العراق من
اوائل المواقب البشرية التي اهدت الى الكتابة فقدّم ملحمة كلكامش ، ودون
الشرائع ، واستخدم العقود التجارية ، وصنع الأختام الاسطوانية بعد استعماله لألواح
الطين الرقيقة بسبب توفر الغرين على ضفاف نهريه وتيسرها لكل الراغبين في الكتابة
لرخصها . وظلّت الأمم مدينة لهذا الانسان الذي مهد للبشر وسائل الاستخدام
الموفقة لتدوين مفردات حياتها ، وترك لها الخيار في استنباط الأساليب المرجحة

في هذا التعامل ، وليس غريباً ان نرى عراق الحضارة يستعيد هذه المكانة في ظل الفكر الإسلامي ، وفي رحاب الرسالة الانسانية التي حملها الرسول الكريم بعد أن اتجهت اليه الأنظار ليكون علامة مضيئة من علامات الهداية ، ومركز اشعاع من مراكز المعرفة . وهنا كان التدوين حلقة جديدة من حلقات المعرفة ، ووجهاً من وجوه تسجيل الانتاج الفكري ، وتيسير نقله ، وتهيئته الوسائل الكفيلة بضبطه لأن الكتابة ترتبط بفكرة الخلود والبقاء ، وقد حرص العرب على الكتابة ، واستخدمت من أجل ذلك اساليب شتى ، فكانوا يجعلون الكتاب - كما يقول الجاحظ (١) - حفراً في الصخور ، ونقشاً في الحجارة ، وخيلفة مركبة في البنيان فربما كان الكتاب هو النائي ، وربما كان الكتاب هو الحفر إذا كان تاريخاً لأمر جسيم أو عهداً لأمر عظيم ، أو موعظة يُرتجى نفعها ، أو احياء شرف يريدون تخليد ذكره كما كتبوا على قبة غُمْدان ، وعلى باب القيروان ، وعلى باب سمرقند ، وعلى عمود مأرب ، وعلى ركن المشقر ، وعلى الأبلق الفرد ، وعلى باب الرُّها ، يعمدون الى الأماكن المشهورة والمواضع المذكورة ، فيضعون الخط في أبعد المواضع من الدُّثور ، وامنعها من الديروس وأجدر بأن يراها مَنْ مرَّ بها ، ولا تُنسى على وجه الدهر .

وتجمع المصادر على أن أول من صنّف وبوّب هو ابو بكر ابن ابي شيبة بالكوفة فكان من أوائل من عرفوا بتكثير الأبواب وجودة التأليف وحسن التصنيف وذكر الذهبي ان سعيد ابن أبي عروبة هو أول من صنّف الأبواب بالبصرة وهذا يعني ان التبويب يمثل مرحلة متقدمة من مراحل التأليف عند العرب ، وان هذه المرحلة كانت تعتمد التنسيق والترتيب ، وانها تتميز عن مرحلة التصنيف ، وان بدايته كانت مبكرة وان ابا بكر ابن ابي شيبة تفرد بتكثير الأبواب ، اما في تدوين أخبار السيرة النبوية فقد كان اول كتاب شامل وصل إلينا هو سيرة الرسول

(١) الجاحظ . الحيوان ١/ ٦٨ .

صلى الله عليه وسلم لمحمد بن اسحاق المتوفى في حدود سنة (١٥٠) للهجرة برواية ابن هشام التي اختصر روايتها و اضاف اليها . ومن الطبيعي ان التدوين والتأليف لا يمكن ان يقوم لهما وجود ، ولا يتحقق لهما ذكر أو بداية إلا اذا كانت المواد التي تستخدم للكتابة متوفرة ومنتشرة ، تُسهّل لمن أراد استخدامها ، وتيسر لمن رغب في التأليف ليتمكن من تحقيق رغبته ، وتجميع ما يروم جمعه كتاباً أو سيرة أو ديوان شعر ، وتؤكد الأخبار والروايات والنصوص أن الصحف كانت شائعة ، وان تداولها كان معروفاً ، وأسواقها منتشرة ، وتجارها المتخصصين بها . والقائمين عليها كانوا يمثلون طبقة تعرف بالوراقين وقال ابن سلام « وكان لأهل البصرة في العربية قُدْمة » ، وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية » (٢) ان اهتمام الرواة برواية الشعر وحرصهم على حفظه وتدوينه ونقله كان قد عُرف في مطلع القرن الثاني للهجرة في البصرة والكوفة ، وقد اهتمت به طبقة خاصة متميزة اتخذت من الشعر موضوعاً تدرسه ، ومادة اساسية لحفظ ديوان العرب وأخبارهم ، تأخذه عن طريق الرواية أو الاسناد ، وتتابع أصوله في مجالس العلم وحلقات الدرس ، وتلم بوجوه رواياته ، وتفسير غريبه ، وشرح معانيه ، والوقوف على أسباب الاستشهاد به ، والظروف التي احاطت به ، وكثيراً ما كان حرصهم يدفعهم الى الرحلة الى البادية لمشاهدة الأعراب والأخذ عنهم ، والاستماع الى من يَفِدُ منهم الى الحواضر ، توثيقاً لرواية ، وتعزيزاً لخبر ما وتأكيداً لنسبة . وقد ذكر ثعلب ان ابا عمرو الشيباني دخل البادية ومعه دَسْتِيجتان من حبر فما خرج حتى افناهما بكتُب سماعه عن العرب (٣) . وقد اكثر الجاحظ من هذه الأحاديث التي نثرها في كتبه وأشار فيها الى سماعه والتقاطه من افواه اصحاب الأخبار ما حفظه في كتبه وهي قناة واسعة من قنوات الرواية التي عرفها القرن الثاني الهجري .

(٢) ابن سلام . طبقات فحول الشعراء ١٢/١ .

(٣) الانباري . نزهة الالباء ٦٣ .

وكان ابو عمرو ابن العلاء المتوفى في حدود سنة ١٥٤ هـ وحماد الرواية المتوفى سنة ١٥٦ خلف الأحمر المتوفى في حدود سنة ١٨٠ والمفضل الضبي المتوفى في حدود سنة ١٦٨ من أوائل الرواة الذين مهدوا الطريق أمام حركة احياء الشعر عن طريق التدوين وتوثيقه من خلال الضبط الصحيح والرواية الموثقة ، وقد أجمع كثير من الرواة الأوائل على تقديم هذه الطبقة والاعتراف بجمعها اشعار العرب ، اما الطبقة الثانية فهم تلامذة هذه الطبقة الأولى . وهم الاصمعي المتوفى في حدود ٢١٦ وابو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى في حدود سنة ٢١٠ وابو عمرو الشيباني المتوفى في حدود سنة ٢١٣ وابن الاعرابي المتوفى سنة ٢٣١ ومحمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥ وابن السكيت المتوفى في سنة ٢٤٤ وابو حاتم السجستاني المتوفى سنة ٢٤٨ وابو زيد الانصاري واخذ عن هؤلاء السكري المتوفى سنة ٢٧٥ وثلعب والمبرد والأخفش والتوزي والرياشي والطوسي واليزيدي والزجاج والصولي وابن دريد .

وليس مصادفة ان تكون هذه الطبقات الثلاث من العلماء الأجلاء الذين عرفتهم العربية في تاريخها الحافل من ابناء العراق ، وليس غريباً ان تكون هذه الطبقات من البصرة وبغداد والكوفة لأننا نعرف أن هذه الطبقة من الرواة قد اخذت التراث الشعري وأخيار العرب وأنسابها عن المدونات القليلة والروايات الموثقة والقبائل التي حملت تأريخها وأيامها ومجدها الحضاري والفكري وان هذه الطبقة وهي الرائدة في استيعاب الموروث الحضاري للامة كانت تشعر بعوامل التحدي شاخصة وهي تقف أمام مجابهة قائمة تمثلت في النزعات الفارسية والفئات الدخيلة الأخرى التي سكنت العراق وعاشت فوق ربوعه أو اتصلت بابنائها عن طريق الوسائل الكثيرة التي عرفتھا اسباب الاحتلاط . وان هذه الطبقة كانت تؤمن بان شخصيتها القومية ، وقدرتها في بنائها تقوم على أساس الحفاظ على تراثها ، والحرص على تاريخها ، والاندفاع لتدوين هذا التراث الذي يمثل ديوان العرب وتاريخهم . وان هذه الطبقة كانت تؤمن بان الوفاء لهذه الامة يكمن في الوفاء

للغةها وإنه أمانة يتناقلها الخلف عن السلف ، فحملوا أمانة الرسالة ، والتزموا بقيم العطاء النبيلة التي عاشت في وجدان الأمة ، فانصرفوا باخلاص يجمعون ما تفرق منه ، واندفعوا الى كل مجلس يبتغون منه حديثاً ما أو مدوّناً يلتمسون اخباراً واشعاراً ، أو بادية تُتناقل فيها روايات لم يقفوا عليها . يجمعون ما يقع في حوزتهم ، ويختارون ما تصحُّ روايته ، ويعرضون ما يشكّون في صحته على بساط البحث والتحري والدقة والتحقيق ، لتخليصه من اسباب الشك ، ووضعه في مواضع الصحة والتوثيق ، وقد وهبوا مقدرة فائقة في التمييز ، وعلماً متمكناً في معرفة الشعر وفي مقولة ابن سلام في خلاف الأحمر اشارة واضحة الى هذه المعرفة وهذا التمييز حيث قال : اجتمع اصحابنا أنه كان افرس اناس بيت شعر ، واصدقه لساناً ، كنّا لانبالي اذا اخذنا عنه خبراً ؛ او انشدنا شعراً أن لانسمعه من صاحبه (٤) ؛ ثم قال : وكان الاصمعي وابو عبيدة من اهل العلم ؛ واعلم من ورّد علينا من غير اهل اهل البصرة المفضل بن محمد الضبي الكوفي (٥) فهؤلاء العلماء اتخذوا من الشعر مداراً لاهتمامهم ، وموضوعاً لعلمهم ، ومادة لدراستهم . وقد اجمع مؤرخو الأدب على تسميتهم بأهل العلم لفضلهم وتميزهم وحسن معرفتهم وسلامة أحكامهم وصدق تجربتهم وفضل نقدهم . وقد أهلتهم هذه المنزلة الى أن ينفرد كل واحد منهم بمعرفة فريدة انتهى منها الى تثبيت رأيه فيما وصل الى علمه من صحة الرواية ، ووثوق السند ، وخواصها من النحل والزيادة . حتى استقرت في نفسه مجموعة دواوين الشعراء أو مختارات من اشعارهم ، فراحوا يقرأونها على تلامذتهم ويروونها في حلقات دروسهم ويتناوون بعضها بالشرح والتفسير ، ويقفون عند غريبها شارحين بعض الفاظها ، وكانت حصيلة هذا الجهد أوّل كتابين في العربية من كتب الاختيارات هما كتاب المفضليات الذي اختاره المفضل

(٤) ابن سلام . طبقات فحول الشعراء ٢٣/١ .

(٥) ابن سلام . طبقات فحول الشعراء ٢٣/١ .

رأس علماء الكوفة في عصره ولم نعلم أن أحداً عمد الى اختيار قصائد أخرى من الشعر فجمعها قبله والقصائد الطوال التي جمعها حماد الراوية . ويبقى هذان الكتابان موضع عناية الشراح واللغويين ، وموئل اهتمامهم ، وصورة اعجابهم فيصرفون الى شرحها وتفسيرها واعراب ابياتها وبيان بلاغتها . وحفظت لنا كتب الفهارس اسماء خمسة من الأعلام الذين تولوا شرح المفضليات وهم :

١- ابو محمد القاسم بن محمد بن بشار الانباري المتوفى سنة ٣٠٥ للهجرة

٢- ابو جعفر محمد بن النحاس المتوفى سنة ٣٣٨

٣- ابو علي احمد بن محمد المرزوقي المتوفى سنة ٤٢١ .

٤- ابو زكريا يحيى بن علي ابن الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ .

٥- ابو الفضل احمد بن محمد بن احمد الميداني المتوفى سنة ٥١٨ .

اما القصائد السبع الطوال فعلى الرغم من اختلاف الرواة في عددها واسماء شعرائها فإن هذه القصائد ظلت تحتفظ بأهميتها وأصالتها وصحة روايتها كما حظيت المفضليات باعتراف وشرح اللغة والنحويين والبلاغيين فإن هذه القصائد نالت الاهتمام نفسه فقد شرحتها

١- ابو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري المتوفى سنة ٣٠٥ .

٢- ابو جعفر محمد بن النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ .

٣- الزوزني المتوفى سنة ٤٨٦

٤- ابو زكريا يحيى بن علي ابن الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ .

ووقفت عليها كتب الأدب واستشهدت ببعض قصائدها واياتها امهات المصادر القديمة ، وفي هذا الاهتمام تتوضح اهمية هذين الاختيارين اللذين وضعوا قاعدة اولية لكل كتب الاختيار ورسمها منهجاً متميزاً لجمع الشعر وروايته ، ومهدا لحركة واسعة لمرحلة الجمع ، واذا اضعنا الى هذين الكتابين كتاب الاصمعيات للاصمعي والاختيارين للاخفش اتضح امامنا حركة الجمع التي شهد العراق أول بداية

أها وترطئة لحركة الاحياء الشعري التي تمت في القرن الثالث الهجري فحفظت ذخيرة العرب من الضياع ، وحققت اول بادرة في ميدان لم يطرق من قبل . ووضعت بين ايدي الباحثين أشعار النوابع والفحول والمقلّين والمغمورين من الشعراء الذين بقي شعرهم يتردد في مواطن الاستشهاد ويُتمثل به في ترسيخ القيم النبيلة والخصال الحميدة ، ويعتمد في تنشئة الأجيال وتقويم حياتها وتوجيه تربيتها ، ان حركة الاحياء هذه كانت ردّ فعل واضح لما تعرض له أدب الامة من ضياع في زحمة الحياة الجديدة التي بدأ المجتمع العربي يخوضها ، وفي ظل الاتساع الشامل لتطورها ، وفي رحاب السماحة الكريمة التي استوعبت كل الراغبين من ابناء الأمم غير العربية للعيش في فناء الشريعة الاسلامية وفي إطار التسامح الديني الذي اصبح صورة من صور الحياة المألوفة ، وطابعاً عاماً تطبع به اساليب التعامل . في هذا الوضع الجديد .

كان الغيارى من الرواد في هذا البلد الناهض يشعرون ببوارد الخطر وهي تتسرب الى اللغة ، وعلامات الهُجْنة والعُجْمة تقتطع أجزاء من فكر الامة ، وتجترى قطعاً من تراثها ، ومستوقد الشرر يُلْهب الفاظاً ويُفسدُ اذواقاً ويُطمسَ معالم . كان هؤلاء يختارون القصائد التي تحمل طابع التربية والتأديب الذي يحمل النفس على الاتصاف بالخلق الرفيع والتمثل بالشجاعة الكريمة ، والتحلي بالمثل العربية الأصيلة الى جانب كونها من روائع الشعر وبدائعه .

واذا كانت عناية المفضل وحماة قد انصرفت الى الاختيار فإن اهتمام ابي عمرو ابن العلاء قد تجسد في عنايته بالشعر الجاهلي وحفظه والاعتناء به بمجاميعه التي كان يأخذها شفاهاً ويُقيّدُها أو يسمعها من الأعراب فيُلحِقها بما يقف عليه أو يشرحها أو يفسرها أو يستشهد بها عندما يجسد نفسه بحاجة الى حل المشكل من المعاني أو الغريب من العبارات ، أو المعطل من الألفاظ وقد تجلّى هذا الاهتمام بما نقله الجاحظ عن الاصمعي وهو يتحدث عن مجلس ابي عمرو ابن العلاء فقال : جلست الى ابي عمرو ابن العلاء عشر حجج ما سمعته يحتاج

بيت اسلامي ^(٦) . أما خلف الأحمر فقد قال عنه ابو زيد الانصاري :
أتيت بغداد حين قام المهدي محمد ، فوافها العلماء من كل بلدة بانواع العلوم ،
فلم أر رجلاً أفرس بيت شعر من خلف ^(٧) . وقال عنه ابو حاتم تقياً عن
الأصمعي : كأنما جعل علم لغة العرب بين جوائح خلف ^(٨) . وقال ابو عبيدة :
خلف الأحمر معلم الأصمعي ومعلم أهل البصرة ^(٩) . وتجمع المصادر على أن
ابا عبيدة معمر بن المثنى قد جمع أشعار القبائل في كتاب واحد أو كتب عدة ^(١٠)
وجمع الاصمعي بعض اشعار القبائل ودواوين الشعراء وكان يستقي أخبارها من
رواة الطبقة الأولى ، ويعد ابو عمرو الشيباني من مشاهير الرواة الذين اهتموا بجمع
دواوين القبائل فقد صنع شعر نيّف وثمانين قبيلة وكان كلما عمل منها قبيلة
وأخرجها الى الناس كتب مصحفاً وجعله في مسجد الكوفة حتى كتب نيّفاً وثمانين
مصحفاً بخطه ^(١١) .

واخذ ابن الاعرابي عن المفضل الضبي وعن ابي عمرو الشيباني وينقل ابن
النديم عن ابي العباس ثعلب قوله . شاهدت مجلس ابن الاعرابي وكان يحضره
زهاء مائة انسان ، وكان يسأل ويُقرأ عليه فيجيب من غير كتاب . قال :
ولزمته بضع عشرة سنة ما رأيتُ بيده كتاباً قط . وقال : قد أملى علي الناس
ما يُحمل على أجمال : لم يُرَ في علم الشعر اغزر منه ^(١٢) .
واخذ محمد بن حبيب عن ابي عمرو الشيباني الذي عمل قطعة من اشعار

(٦) الجاحظ . البيان والتبيين ١/ ٣٢١ .

(٧) ابن النديم الفهرست / ٦٠ .

(٨) الزبيدي . طبقات النحويين واللغويين / ١٧٩ .

(٩) ابن الانباري : نزهة الالباء / ٧٠ .

(١٠) ياقوت : ارشاد الاريب ١٩/ ١٦١ .

(١١) ابن النديم . الفهرست / ٧٥ .

(١٢) ابن النديم . الفهرست / ٧٥ .

العرب (١٣) وأفرد لهم صاحب الفهرست المقالة الرابعة من كتابه "ضمنه اخبار العلماء واسماء ما صنّفوه من الكتب ويحتوي على الشعر والشعراء وقال في مقدمته : غرضنا في هذه المقالة أن نبين عن ذكر صنّاع اشعار القدماء واسماء الرواة عنهم والدواوينهم واسماء اشعار القبائل ومن جمعها وألفها (١٤) وعند متابعتنا للاسماء التي يوردها ابن النديم نجد لها قائمة باسماء الرواة التي عرضنا لها وهم علماء الطبقة الاولى والثانية من رواة البصرة والكوفة وبغداد ثم يذكر قائمة باسماء الشعراء الذين عمل ابو سعيد السكري اشعارهم ويذكر اكثر من خمسة واربعين شاعراً واشعار ست وعشرين قبيلة (١٥) ، ويحفل هذا الباب الذي صنّعه ابن النديم باعلام الرواية من الرواة الاوائل الذين شاركوا في جمع هذه الدواوين بحركة احياء كانت الاولى من نوعها في مرحلة بناء الشخصية العربية واكتمال الوسائل التي هيأت لانضاج الحركة الفكرية والثقافية التي شهدتها القرن الثالث والرابع والخامس للهجرة (١٦) وقد عرف السكري كما عرف غيره من الرواة بثقته في الرواية ، حتى قيل عنه كان اذا جمع جمعاً فهو الغاية في الاستيعاب والكثرة (١٧) ، وعرفوه بأنه الرواية الثقة المكثرة (١٨) .

ولا أغالي اذا قلت ان الشعر الجاهلي والاسلامي الذي وصل الينا كان عن طريق علماء البصرة والكوفة وبغداد وان هؤلاء العلماء قدموا خدمة جليلة للغة العرب ، وحفظوا لنا تراث الامة الشعري الذي ظل معيناً لتاريخ الامة ، ومؤملاً يرجع اليه في دراسة حياتهم واعتماد اخبارهم والاستشهاد على تصحيح فكر وتصويب رأي

(١٣) ابن النديم . الفهرست / ١١٩ .

(١٤) ابن النديم . الفهرست / ١٧٧ .

(١٥) ابن النديم . الفهرست / ١٨٠ .

(١٦) تنظر قوائم اسماء الشعراء الآخرين في الفهرست / ١٧٨ - ١٨٠ .

(١٧) ياقوت . ارشاد الاريب / ٨ / ٩٤ .

(١٨) نفس المصدر .

وتثبيت فكرة . واذا كانت البصرة والكوفة معقلين من معاقل الأعلام الذين وقفوا بوجه التحدي الذي استهدف شخصية الأمة وكان لهما مركزين العلميين أهميتهما في صيانة قواعد اللغة والتصدي لكل العناصر الغريبة التي حاولت افساد فصيحها ، وتشويه نصاعتها واسقاط دورها ، وكان لعلماهما الافذاذ نصيبهما في ترسيخ اصولها وتنقيتها مما علق بها وفاءً لدورها التاريخي باعتبارها لغة القرآن ، ووسيلة التعبير الأساسية ، واداة التوفيق بين العرب الذين امتلكوا زمام المبادرة في نشر الرسالة وتوطيد دعائم الدولة العربية كان لازماً على ابنائها الغيارى ان يقفوا وقفتهم الكريمة لردّ دواعي التداعي ، واسقاط حجج الدعاة ممن حاول ايقاف مسيرتها ، وتعويق نهضتها فكان علماء العراق ومنذ اكثر من ربع قرن تقريباً يقفون نفس الوقفة ، وينطلقون من عين المسببات ويتحركون في ذات الدائرة القومية التي بدأت ليعلنوا لأبناء العروبة بانّ ابناء هذا القطر العربي العريق يضطلعون بالدور الذي اضطلع به اجدادهم من الرواة الاوائل ، ويتحملون عبء ما تحمل به الاصمعي وابو عمرو ومحمد بن حبيب وابو زيد والسكري وثعلب ويرفعون عن كاهل الشعر العربي اثقالاً ظل ينوء بها سنين طويلة ، محققين بذلك هدفاً قومياً من اهداف النهوض والاحياء ، ورسالة ثقافية مشهودة ، تعيد للفكر العربي أصالته ، وتمسح عن وجه المعرفة شوائب الزيف وبقايا التشويه ، واحقاد التشكيك ، فانصرفوا الى فهارس المخطوطات ودور الكتب وخزائن التراث منقبين عن دواوين الشعر ومجاميعه ، ومستوفين من تحليله ودراسته اسباب التقويم الحقيقية ، ممهدين للباحثين مادة جديدة ، يُقرأ في ظلها الشعرُ قراءة جديدة ، وتدرس الآراء التي قيلت بشأنه دراسة جادة ، ويُعاد النظر في الأحكام السريعة التي طبعتها ، اعادة تعيد لهذا الأدب نصاعته ، وتعطيه دوره البناء في التعبير عن شخصية الأمة وذات إنسانها الذي أغنى الحضارة بابداعه ، و اضاف الى التراث الانساني ما جعله اكثر عطاء واعظم شأنًا في كل جانب من جوانب الحياة .

إن جهود العراقيين المعاصرين في جمع الشعر لم تقف عند حدّ الجمع

والتحقيق ، ولم تنته عند حد ود الشعر الذي يجمع وانما امتدت الى وضع المدرسة العراقية في التحقيق موضع التجربة من حيث التخريج الدقيق والمتابعة الشاملة والتثبت من الرواية ، وتنظيم المصادر تنظيماً زمنياً ، وتنسيق الابيات على وفق الأعداد الواردة في المصادر وتقديم دراسة تحليلية للاتجاهات الجديدة عند الشعراء ، والوقوف عند الوجوه المشابهة لاهتمامات اشعراء ، وتحديد الخصائص التي عرفوا بها ، وهي محاولات جديدة في هذا الميدان ، ولم تكن محاولتي هذه وفي هذا الجانب جديدة فقد سبق للاستاذ كوركيس عواد ان اشار الى ذلك في بحث عن مشاركة العراق في نشر التراث العربي نشره عام ١٩٦٩ وكانت حركة نشر الشعر في مراحلها الأولى ، واعد الاستاذ هلال ناجي بحثاً نشر في مجلة الاديب البيروتية في ايلول ١٩٧١ عن حركة نشر الشعر القديم والدراسات الشعرية في العراق واعاد نشره في كتابه (هوامش تراثية) الذي صدر عام ١٩٧٣ وقدم الدكتور علي جواد الطاهر صورة من بحثه عن نشر الشعر وتحقيقه في العراق الى مؤتمر المستشرقين التاسع والعشرين المنعقد في باريس تموز ١٩٧٣ واعاد نشره في مجلة المورد في المجلد الثالث العدد الثاني ١٩٧٤ وتشن السعيد صباح نوري المرزوق دراسة مفصلة عن احياء التراث الشعري في العراق في العددين الثالث والرابع من المجلد الخامس من مجلة المورد ١٩٧٦ وقد حدد الباحث منهجه . وهي محاولات لها دلالتها في التركيز على اهمية دور المحققين العراقيين في نشر التراث وقد لفتت هذه الظاهرة انظار كثير من الباحثين العرب الذين يتطلعون الى الكتاب العراقي تطلعاً خاصاً ، ويتابعون حركته متابعة متميزة حتى اصبح هذا الحديث موضع اهتمام كل المحققين والدارسين في الوطن العربي .

وتقدم هذه الدراسة حلقة جديدة من استكمال جهود العراقيين في نشر الشعر بعد أن مضى على آخر بحث كتب اكثر من ثماني سنوات كما تشير الى التواصل الثقافي الذي عُرِف في العراق ، وتولت جمعه وروايته وتدوينه مدينتا البصرة والكوفة ثم ازدهر في بغداد . وقد ترتبت على حركة الاحياء هذه دراسات جديدة ،

ومحاولات جادة في تقويم الاتجاهات الأدبية، وإظهار التيارات النقدية التي اوشكت أن تضيع في خضم المحاولات التي اقتصرت على نشر دواوين الشعر المعروفة .

ان حركة الاحياء هذه عمدت الى المغمورين من الشعراء ، والمطموس من شعرهم وأخبارهم لأسباب كثيرة ، فحاولت جمعه وتحقيقه وتحليله ، لتقدم مادة جديدة الى دارسي الأدب والباحثين لاغناء العصور الأدبية بتيارات شعرية كان لها دورها في الحياة الفكرية والاجتماعية ، وكانت لها خصائصها في معالجة الجوانب التي بهتت صورتها في بعض النماذج الشعرية المعروفة ، وان حركة الاحياء هذه توحى بعمق الحس العربي الأصيل وتؤكد قدرة الانسان في العراق على مواجهة تيار التحدي ، ومجابهة محاولات طمس الشخصية العربية التي بدأت تأخذ دورها في الفكر والثقافة والحضارة ، وشهدت نشاطاً بتحقيق الشعر يعدل اضعاف المرات النشاط الذي شهدته طوال عصور مديدة ، واذا كان المحققون العراقيون قد نشروا خلال الفترة الأولى اكثر من ثلثمائة ديوان شعر وأسهم في التحقيق اكثر من ثمانين محققاً عراقياً ، فان الفترة الثانية شهدت تحقيق عدد أكبر من تلك الأعداد ونضوج المدرسة العراقية في التحقيق نضوجاً أكثر تكاملاً ، وأوفى دقة واشد حماسة بعد أن بدأ الباحثون يقفون على مجاميع جديدة ، ومخطوطات نادرة ، احتجنت من الشعر وفرة كثيرة مثل منتهى الطلب لابن ميمون وبعض كتب الحماسة والمجاميع الأدبية وكتب الأدب التي ظلت مطوية في بطون الخزائن ورفوف المكتبات القديمة .

وان حركة الاحياء هذه لم تقتصر على الدواوين المفردة أو جمع ما تفرق من ابيات الشعراء وانما تجاوز ذلك الى نشر المجاميع الشعرية والتي جمعها القدامى أو اختاروها من شعر شعراء القبائل فقد نشر كتاب التمام في تفسير اشعار هذيل مما اغفله ابوسعيد السكري وحماسة الظرفاء والتذكرة السعدية وجيش التوشيح وكتاب

الزهرة (القسم الثاني) وربيع الأبرار ودمية القصر (القسم العراقي) باربعة اجزاء والروض النضر وانوار الربيع الى جانب الشروح اللغوية التي تناولت بعض الدواوين الشعرية أو تفسير بعض القصائد المشهورة .

إن اهتمام المحققين بجمع الشعر لم يؤد المهمة المطلوبة إذا لم تتوفر له المعنية التي آمنت بفكرة تحقيق التراث وتقديم الحوافز الكفيلة ببعثه واعتماد نشره نشرة علمية محققة تعيد اليه رونقه ، وتيسر تداوله وتقدمه الى ابناء العربية بأقل المبالغ وأيسرها . ولعلّ الباحثين والمحققين والمثقفين والدارسين من اعرف الناس بجهود العراق في هذا الباب حتى أصبح الكتاب العراقي التراثي منافساً لا يُجارى في معظم دور النشر ، وان معارض الكتاب العراقي التي تقام في ارجاء الوطن العربي تؤشر الحالة التي طغت على كل الحالات الأخرى في المنافسة والاقبال .

إن التواصل الثقافي الذي شدّ بين مراكز الاهتمام بجمع الشعر وعلى امتداد التاريخ توحى بنقاط الالتقاء التي تنطلق منها أسباب هذا التوصل ، وتوحى بالحرص الذي ظل يحمل الابداء على الحرص والوفاء لتراث الأجداد ، ايماناً بان هذا التواصل يؤكد حقيقة الاحساس بالوجدان الذاتي للامة ويعبر عن القيم النبيلة التي زخرت بها حياة المجتمع وعبرت عنها قصائد الشعراء .



ت	اسم المحقق	عنوان الديوان	مكان الطباعة وسنته
١ -	ابراهيم السامرائي	١ - شعر الاحوص :	النجف - ١٩٦٩
		٢ - ديوان القطامي (بالاشتراك)	بيروت - ١٩٦٢
		٣ - ديوان قيس بن الخطيم (بالاشتراك)	بغداد - ١٩٦٢
		٤ - شعر عروة بن حزام (بالاشتراك)	بغداد - ١٩٦١
٢ -	ابتسام مرهون الصفار	١ - مالك ومتمم ابنا نويرة	بغداد - ١٩٦٨
		٢ - شعر زياد الاعجم	بغداد - ١٩٧٨
٣ -	احمد مطلوب	١ - ديوان ابي حيان (بالاشتراك)	بغداد - ١٩٦٩
		٢ - ديوان القطامي (بالاشتراك)	بيروت - ١٩٦٠
		٣ - شعر عروة بن حزام (بالاشتراك)	بغداد - ١٩٦١
		٤ - ديوان قيس بن الخطيم (بالاشتراك)	بغداد -
٤ -	احمد النجدي	١ - شعر الحمدوني (المورد)	بغداد - ١٩٧٣
		٢ - شعر صاحب الزنج (المورد)	بغداد

- ٥ - احمد نصيف الجنابي ١ - شعر العكوك النجف - ١٩٧١
- ٦ - بهجت الحديثي ١ - ديوان امية بن ابي بغداد - ١٩٧٥
الصلت
- ٢ - ديوان ابي نزاس (الصولي) بغداد - ١٩٧٩
- ٧ - جابر الخاقاني ١ - شعر ابن طباطبا العلوي
- ٢ - شعر المهلبسي : مجلة المورد بغداد - ١٩٧٥
- ٨ - جبار تعبان جاسم شعر تأبط شراً النجف - ١٩٧٣
- ٩ - جميل سعيد ١ - ديوان محمد بن القاهرة -
عبد الملك الزيات
- ١٠ - حاتم صالح الضامن ١ - شعر يزيد بن الطثرية بغداد - ١٩٧٣
- ٢ - شعر الخليل بن احمد بغداد - ١٩٧٣
الفراهيدي
- ٣ - شعر بكر بن النطاح بغداد - ١٩٧٥
- ٤ - تحقيق شعر الكميت بن دريغ بغداد - ١٩٧٥
معروف : مجلة المورد
- ٥ - شعر سويد بن كراع بغداد - ١٩٧٩
مجلة المورد
- ٦ - شعر قيس بن العدادية بغداد - ١٩٧٩
مجلة المورد
- ٧ - شعر المخبل السعدي بغداد - ١٩٧٣
مجلة المورد
- ٨ - ديوان معن بن اوس بغداد - ١٩٧٧
(بالاشتراك)

- ٩ - شعر مزاحم العقيلي القاهرة - ١٩٧٦
(بالاشتراك)
- ١٠ - شعر نهشل بن حري بغداد - ١٩٧٥
- ١١ - قصائد نادرة من منتهى الطلب
(مجلة المورد) بغداد - ١٩٧٩
- ١٢ - شاعران من فرسان بغداد - ١٩٨١
القادسية (بالاشتراك)
- ١١ - حبيب الحسنى ١ - ديوان السري الرفاء بغداد - ١٩٨١
- ١٢ - حكمت علي الاوسي ١ - شعر الغزال
- ١٣ - حسين علي محفوظ ١ - ديوان ابن سينا طهران - ١٩٥٧
- ٢ - شعر بدر الدين يوسف بغداد - ١٩٦٨
- ٣ - مختارات ديوان ابن الخيمي بغداد - ١٩٧٠
- ١٤ - خليل العطية ٢ - ديوان ليلي الانجيلية بغداد - ١٩٦٧
(بالاشتراك)
- ٢ - ديوان توبة بن الحمير بغداد - ١٩٦٨
- ٣ - ديوان عمرو بن قميثة بغداد - ١٩٧٢
- ٤ - ديوان لقيط بن يعمر بغداد - ١٩٧٠
- ٥ - ديوان المزرد بغداد - ١٩٦٢
- ٦ - ديوان مسكين الدارمي بغداد - ١٩٧٠
(بالاشتراك)
- ٧ - شعر نهار بن توسعة ١٩٧ -
(مجلة المورد)

الدكتور نوري حمودي القيسي

- ١٥- خيرية محمد محفوظ ١ - ديوان كشاجم بغداد - ١٩٧٠
- ١٦- خضر الطائي ١ - ديوان العرجي بغداد - ١٩٥٦
- ١٧- خليل بنيان ١ - اشجع السلمي بيروت - ١٩٨١
- حياته وشعره
- ١٨- داود سنوم ١ - شعر الكميت بن يزيد النجف - ١٩٦٩
- ٢ - شعر ابن مفرغ الحميري بغداد - ١٩٦٨
- ٣ - شعر نصيب بن رباح بغداد - ١٩٦٨
- ١٩- رزوق فرج ١ - شعر ابي سعد المخزومي بغداد - ١٩٧١
- ٢٠- رشيد الصفار ١ - ديوان المرتضى مصر - ١٩٥٨
- ٢١- رشيد العبيدي ١ - ديوان العرجي بغداد - ١٩٥٦
- ٢٢- زكي ذاكر العاني ١ - ديوان العكوك بغداد - ١٩٧١
- ٢ - شعر الحارثي بغداد - ١٩٨٠
- ٣ - شعر ربيعة الرقي دمشق - ١٩٨١
- ٢٣- زهير غازي زاهد ١ - شعر عبد الصمد بن المعذل النجف - ١٩٧٠
- ٢ - شعر ابن لنكك البصرة - ١٩٧٤
- ٢٤- سامي مكّي العاني ١ - ديوان كعب بن مالك بغداد - ١٩٦٦
- ٢ - شعر عبد الرحمن بن حسان بغداد - ١٩٧١
- ٢٥- سعيد الغانمي ١ - شعر ابي العيلاء البصري بغداد - ١٩٧٧
- (مجلة البلاغ) ع ٨ - ٩
- ٢٦- سلمان داود القره غولي ١ - شعر تأبط شرا النجف - ١٩٧٣
- ٢٧- سليم النعيمي ١ - شعر النجاشي
- (مجلة المجمع العلمي العراقي)
- ٢٨- شاكر العاشور ٢ - ديوان سويد بن ابي كاهل، البصرة - ١٩٧٢

- ٢- ديوان عمارة بن عقيل البصرة - ١٩٧٣
- ٣- ديوان ابن حازم بغداد - ١٩٧٧
(مجلة المورد)
- ٢٩- شاكر هادي شكر ١- ديوان السيد الحميري بيروت
- ٢- ديوان الشاب الظريف النجف - ١٩٦٧
- ٣- ديوان حيص بيص بغداد -
(بالاشتراك)
- ٤- ديوان كاظم الازري بغداد - ١٩٧٦
(مجلة المورد)
- ٣٠- صبيح رديف ١- شعر النامي بغداد - ١٩٧٠
- ٢- شعر السلامي بغداد - ١٩٧١
- ٣- شعر الخباز البلدي بغداد - ١٩٧٢
- ٣١- صفاء خلوصي ١- ديوان المتنبي بغداد - ١٩٦٩
- ٣٢- صلاح الفرطوسي (شريح ابن جني)
١- شعر ابي عينة
(رسالة ماجستير)
- ٣٣- ضياء الدين الحيدري ١- شعر الاعور الشني
(مجلة البلاغ)
- ٣٤- عاتكة الخزرجي ١- ديوان العباس بن الاحنف القاهرة - ١٩٥٤
- ٣٥- د. عادل جاسم البياتي ١- شعر الربيع بن زياد العبّسي
(دراسة وتحقيق)
- نشر مجلة كلية الاداب - جامعة بغداد -
العدد ١٤ لسنة ١٩٧١

- ٢- شعر الحارث بن ظالم المري
(دراسة وتحقيق)
نشر مجلة كلية الاداب - جامعة بغداد
العدد ١٥ لسنة ١٩٧٢
- ٣- شعر قيس بن زهير
نشر مجلة الآداب بالنجف (١٩٧٢)
بمساعدة جامعة بغداد
- ٤- شعر ربيعة بن مكدم (دراسة وتحقيق)
نشر مجلة كلية الاداب - جامعة بغداد
العدد ١٩ لسنة ١٩٧٥
- ٥- شعر افنون التغلبي
نشر مجلة كلية الاداب - جامعة بغداد
العدد ٢٠ لسنة ١٩٧٦
- ٦- شعر الاحناف (دراسة وتحليل)
نشر مجلة اداب المستنصرية
العدد ١٥ لسنة ١٩٨١
- ٧- شعر الربيع بن ضبيح الفزاري
نشر مجلة آداب المستنصرية
العدد ٧ لسنة ١٩٨٣
- ٣٦- عبدالله الجبوري ١- اشعار ابي الشيص النجف - ١٩٦٧
٢- ديوان ابي الهندي النجف - ١٩٦٩
٣- ديوان ديك الجن بيروت - ١٩٦٤
٤- ديوان ابن الدهان الموصلية بغداد - ١٩٦٨

العراق ودوره في تحقيق الشعر

- ٣٧- عبدالامير مهدي ١- ديوان ابن نباتة بغداد
- ٣٨- عبدالجبار المطلبي ١- شعر عبدالله بن معاوية بغداد - ١٩٧٦
- ٣٩- عبدالحميد راضي ١- شعر عبدالله بن معاوية دمشق - ١٩٧٦
- ٤٠- عبدالحسين المبارك ١- شعر عقيل بن علفة البصرة - ١٩٧٦
- ٤١- عبدالعزيز عبدالمحسن ١- ديوان ابي دهل النجف - ١٩٧٢
- ٤٢- عبدالصاحب الدجيلي ١- ديوان دعلب النجف - ١٩٦٢
- ٤٣- عبدالقادر عبدالجليل ١- شعر بشامة بن الغدير (مجلة المورد)
- ٤٤- عبدالكريم الدجيلي ١- ديوان ابي الاسود الدؤلي بغداد - ١٩٥٤
- ٤٥- عدنان راغب العبيدي ١- ديوان محمود الوراق بغداد - ١٩٦٩
- ٤٦- علي جواد الطاهر ١- ديوان الخريمي (بالاشتراك) بيروت - ١٩٧١
- ٢- ديوان الطغرائي بغداد - ١٩٧٦
- (بالاشتراك)
- ٤٧- قحطان رشيد التميمي ١- شعر مروان بن ابي حفصة
- ٤٨- كامل مصطفى الشبيبي ١- ديوان ابي بكر الشبلي بغداد - ١٩٦٧
- ٢- ديوان الحلاج
- ٤٩- ماجد السامرائي ١- شعر ثابت قطنة بغداد - ١٩٧٠
- ٥٠- ماجد العزي ١- ديوان اسحاق الموصلبي بغداد - ١٩٧٠
- ٥١- محسن غياض ١- شعر اليزيديين النجف - ١٩٧٣
- ٢- شعر الحسين بن مطير بغداد - ١٩٧١
- ٣- شعر ابي هلال العسكري بيروت
- ٥٢- محمد بديع ١- ديوان الامير عبدالله بن المعتز القاهرة
- ٥٣- محمد جبار المعبيد ١- ديوان عدى بن زيد بغداد - ١٩٦٥

- ٢- ديوان ابن هرمة النجف - ١٩٦٩
٣- ديوان طهمان بغداد - ١٩٦٨
٤- شعر الجاحظ (مجلة المورد)
٥- ديوان الخريمي (بالاشتراك)
٥٤- محمد حسن آل ياسين ١- ديوان ابي الاسود الدؤلي بيروت - ١٩٧٤
٢- ديوان السموأل بغداد - ١٩٥٥
٣- ديوان الصاحب بن عباد بغداد
٤- شعر المثقب العبدى بغداد - ١٩٥٦
٥٥- محمد نايف الدايمي ١- ديوان ذي الاصبع العدواني
(بالاشتراك)
٢- شعر ابن ميادة الموصل - ١٩٧٠
٣- شعر الحكم بن عبدل (مجلة المورد) ١٩٧٦
٤- شعر العجير الشلوي
(مجلة المورد)
٥- المختار من شعر ابن دانيال الموصل
٦- شعر موسى شهوات
مجلة البلاغ ٦-٧ بغداد - ١٩٧٨
٧- شعر مطرود الخزاعي
مجلة البلاغ بغداد - ١٩٧٧
٥٦- مزهر السزداني ١- شعر جحظة بغداد
٢- شعر الحمانى البصرة - ١٩٧٤
٣- شعر الناشئ البصرة
٥٧- مهدي عبدالحسين ١- شعر الفضل اللهبى
مجلة البلاغ ع ٧-٩ - ١٩٧٦
النجم

- ٢ - شعر مالك الاشر - بغداد - ١٩٧٨
مجلة البلاغ ع ٧ - ٩
- ٣ - شعر ابن المولى : - بغداد - ١٩٨٠
مجلة البلاغ ٨ - ١٠
- ٥٨ - ناصر حلاوي ١ - شعر البعيث - البصرة - ١٩٧٩
٢ - شعر العتابي - البصرة - ١٩٦٥
- ٥٩ - ناظم رشيد ١ - ديوان الملك الامجد
(مجلة المجمع العلمي العراقي)
- ٦٠ - نوري حمودي القيسي ١ - شعر المرقش الاكبر مجلة العرب ١٩٧١
٢ - شعر المرقش الاصغر - بغداد - ١٩٧٠
٣ - ديوان الاسود بن يعفر - بغداد - ١٩٧٠
٤ - شعر زيد الخيل الطائي - النجف - ١٩٦٨
٥ - شعر النمر بن تولب - بغداد - ١٩٦٩
٦ - شعر خفاف بن ندبة - بغداد - ١٩٦٨
٧ - شعر ربيعة بن مقروم - بغداد - ١٩٦٨
الطبي
- ٨ - شعر القعقاع بن عمرو - بغداد - ١٩٨١
التميمي
- ٩ - شعر عاصم بن عمرو التميمي - بغداد - ١٩٨١
١٠ - شعر ابي نجيد (نافع بن الاسود) - ١٩٨٢
١١ - شعر الاسود بن قطبة
١٢ - شعر الراعي النميري

نشر شعر هؤلاء الشعراء في الجزء الاول من
(شعراء امويون) وطبع في ١٩٧٦ - مطبعة
جامعة الموصل .

- ١٣- شعر مالك بن الربيع
- ١٤- شعر عبدالله بن الحر الجعفي
- ١٥- شعر السميري العكلي
- ١٦- شعر جحدر بن معاوية المحرزي
- ١٧- شعر عبيد بن ايوب العنبري
- ١٨- شعر الخطيم المحرزي
- ١٩- شعر العذيل بن الفرخ العجلي
(نشر شعر هؤلاء الشعراء في الجزء الثاني من
(شعراء امويون) وطبع في مطبعة جامعة الموصل

١٩٧٦ - مطبعة جامعة الموصل

- ٢٠- شعر حارثة بن بدر الغداني
- ٢١- شعر كعب بن معدان الاشقري
- ٢٢- المزار بن سعيد الفقعسي
- ٢٣- شعر الشمردل اليربوعي
(نشر شعر هؤلاء الشعراء في الجزء الثالث
من (شعراء امويون) ضمن مطبوعات المجمع
العلمي العراقي ١٩٨٢
- ٢٤- شعر طريح الثقفي
- ٢٥- شعر محمد بن نمير الثقفي
- ٢٦- شعر محمد بن بشير

- ٢٧- شعر يزيد بن الحكم الثقفي
٢٨- شعر المغيرة بن حنبل
٢٩- شعر الوليد بن عقبة
٣٠- شعر عوف القوافي
٣١- شعر جبيهاء الاشجعي
٣٢- شعر شبيب بن البرصاء
٣٣- شعر معن بن اوس المزني بغداد - ١٩٧٧
٣٤ شعر مزاحم العقيلي القاهرة - ١٩٧٦
٣٥- شعر الاشهب بن رميلة القاهرة - ١٩٨٢
٣٦- شعر ابي جلد اليشكري لم ينشر
٣٧- شعر الايرد الرياحي لم ينشر
٣٨- اوراق من ديوان ابي بكر محمد بن داود الاصفهاني بغداد - ١٩٧٤
٣٩- شعر ابي زيد الطائي بغداد - ١٩٦٨
٤٠- ديوان جرّان العود النميري بغداد - ١٩٨٣
٤١- شعر الاغلب العجلي بغداد - ١٩٨١
٤٢- شعر عبدالله بن الحجاج لم ينشر
٤٣- النصف الثاني من كتاب الزهرة (بالاشتراك)
٦١- هاشم الطعان ١ - ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي بغداد - ١٩٧٠
٢ - ديوان الحارث بن حلزة بغداد - ١٩٦٩
٦٢- هاشم طه شلاش ١ - شعر قيس بن عاصم بغداد - ١٩٧
٢ - شعر ضمرة بن ضمرة (مجلة المورد) ١٩٨١

- ١- جيش الترشيح : صنعه لسان الدين بن الخطيب
(ت ٧٧٦ هـ)

مطبعة المنار - تونس - ١٩٦٧

- ٢- وسيلة الملهوف عند اهل المعروف : نظم شعبان
بن محمد الآثاري (ت ٨٢٨ هـ) بغداد - مجلة
المورد - العدد الاول - المجلد الثالث ١٩٧٤ .

- ٣- المختار من شعر شعراء الاندلس : صنفه علي بن
المنجم بن سليمان المعروف بسان الصيرفي
(ت ٥٤٢ هـ) طبع في مطبعة فضالة بالمحمدية في
المغرب سنة ١٩٧٦

- ٤- اشعار النساء : صنعه محمد بن عمران المرزباني
(ت ٣٨٤ هـ) حققه : الدكتور سامي مكّي العاني
وهلال ناجي دار الرسالة للطباعة - بغداد ١٩٧٦

- ٥- ديوان علي بن عبد الرحمن البلنوني الصقلي (من شعراء
القرن الخامس الهجري) مطبعة الرسالة - بغداد
١٩٧٦

- ٦- ابنزون العماني (ت ٤٣٠ هـ) حياته وشعره .
مطبعة الارشاد - بغداد ١٩٧٧ (نشر ضمن
مجموعة البحوث الملقاة في الندوة العلمية العالمية
الثانية لمركز دراسات الخليج العربي في جامعة
البصرة)

- ٧- ابو اليمس تاج الدين زيد بن الحسن الكندي
البغدادى، حياته وما تبقى من شعره (٥٢٠ - ٦١٣ هـ)

تقديم وتحقيق : د . سامي مكّي العاني وهلال

ناجي - مطبعة المعارف - بغداد ١٩٧٧

٨ - القلادة السمطية في توشيح الدريدية (وهو تخميس

لمقصورة ابن دريد ، نظمه الحسن بن محمد الصاغانى

(ت ٦٥٠ هـ) حققه وقدم له : د . سامي مكّي

العاني وهلال ناجي . مطبعة العاني - بغداد ١٩٧٧ .

٩ - بديعيات الآثاري : نظم زين الدين شعبان بن محمد

القرشي الآثاري (ت ٨٢٨ هـ) حققها هلال ناجي

مطبعة وزارة الاوقاف في بغداد ١٩٧٧

١٠ - الأقرع بن معاذ القشيري . حياته وما تبقى من شعره

(شاعر اسلامي) جمع وتحقيق هلال ناجي . مجلد

المورد - العدد الثالث - من المجلد السابع - بغداد

مركز تحقيق ١٩٧٨ مركز علوم إسلامي

١١ - الأخيطل الأهوازي : حياته وما تبقى من شعره (من

شعراء النصف الأول من القرن الثالث الهجري)

جمع وتحقيق : هلال ناجي - البصرة - مجلة

الخليج العربي - جامعة البصرة العدد ٩ سنة ١٩٧٨

١٢ - الحسن بن اسد الفارقي (ت ٤٨٧ هـ) : حياته والصبابة

من شعره . جمع وتحقيق : هلال ناجي . الرياض -

مطابع الإمامة - ١٩٧٨ .

١٣ - أبو هفان : حياته وشعره وبقايا كتابه « الأربعة في

أخبار الشعراء » (ت ٢٥٧ هـ) . جمع وتحقيق

هلال ناجي . بغداد - مجلة المورد العدد ٣
المجلد ٨ سنة ١٩٧٩ والعدد ١ المجلد ٩
سنة ١٩٨٠ .

١٤- ديوان الراعي النميري (من شعراء الدولة
الاموية) حققه : الدكتور نوري القيسي ،
وهلال ناجي مطبعة المجمع العلمي العراقي -
بغداد ١٩٨٠ .

١٥- المعشرات اللزومية : نظم مالك بن المرحل
(٦٠٤ - ٦٩٩ هـ)
(قصائد في مدح الرسول الاعظم) :
حققها : هلال ناجي .

مركز تحقيق
مجلة المورد - المجلد ٩ - العدد ٤ -
١٩٨١ م - (العدد الخاص بالقرن الخامس
عشر الهجري)

١٦- شرح بانة سعاد : صنفه عبد اللطيف بن
يوسف البغدادى (ت ٦٢٩ هـ) . حققه :
هلال ناجي . مكتبة الفلاح - الكويت -
١٩٨١

١٧- ديوان الناشء الاكبر عبدالله بن محمد
الانباري (ت ٢٩٣ هـ) جمعه وحققه :

هلال ناجي . نشر في مجلة المورد الاعداد

١ و ٢ و ٣ و ٤ من المجلد ١١ والعدد ١ من

المجلد ١٢ .

١٨- ديوان البغاء .

جمعه وحققه : هلال ناجي - وهو قيد الطبع

بمجلة المجمع العلمي العراقي .

١٩- ديوان التنوخي الكبير .

جمعه وحققه : هلال ناجي . وهو قيد الطبع

في مجلة المورد العراقية .

١- شعر سعيد بن حميد بغداد - ١٩٧١

٦٤- يونس السامرائي

٢- شعر ابي علي البصير (المورد) بغداد - ١٩٧٣

٣- شعر ابن المعتز بغداد - ١٩٧٨

٤- شعر يزيد المهلبى بغداد - ١٩٨٠

٥- شعر آل وهب بغداد - ١٩٨٠

٦- شعر علي بن هارون المنجم بغداد - ١٩٨٢

١- ديوان العباس بن مرداس بغداد - ١٩٦٨

٦٥- يحيى الجبوري

٢- شعر النعمان بن بشير بغداد - ١٩٦٨

٣- شعر عروة بن اذينة بيروت - ١٩٧٠

٤- شعر المتوكل الليثي بيروت - ١٩٧١

٥- شعر الحارث المخزومي النجف - ١٩٧٢

٦- شعر عبدة بن الطبيب بيروت - ١٩٧٢

٧- شعر عبدالله بن الزبير بغداد - ١٩٧٤

الاسدي

- ٨ - شعر ابي حية النميري دمشق - ١٩٧٥
٩ - شعر هدية بن الخشرم دمشق - ١٩٧٦
١٠ - شعر عمرو بن شأس النجف - ١٩٧٦
١١ - شعر عمرو بن لجأ بغداد - ١٩٧٦
١٢ - شعر عبدالله بن الزبيري القاهرة - ١٩٧٨
١٣ - ديوان الطغرائي بغداد - ١٩٧٦
(بالاشتراك)



مركز تحقيقات كافيور علوم إسلامي



ابو الفرج عبد الله بن الطيّب

الدكتور يوسف عبي

(عضو المجمع)

ورئيس تحرير مجلة بين النهرين

تقديم

يمثل ابو الفرج عبد الله بن الطيّب مرحلة مهمة من مراحل التقدم الحضاري في العراق في القرنين الرابع والخامس للهجرة - العاشر والحادي عشر للميلاد وفي بغداد بالذات . ولا عجب ، فبغداد يومذاك عاصمة الدولة العباسية المترامية الاطراف ، وأهم مركز ثقافي في الدنيا .

لم يقتصر نشاط ابن الطيّب على فرع واحد من فروع المعرفة والعلم ، بل شمل أكثر من جانب ، على غرار موسوعي تلك الأزمنة العظام ، فهو طبيب وفيلسوف ، وفقه ، وهو مؤلف ، ومترجم ، ومفسر .

نقسم بحثنا هذا الى اربعة اقسام ، يتناول الاول حياة ابن الطيّب بما تيسر لنا من تفاصيل ، والثاني نشاطه ومكانته من الناحية العلمية الفكرية بشكل خاص ، والثالث آثاره في الفلسفة والطب والفقه والتفسير الكتابية وغيرها ونبحث في القسم الأخير قيمة عالمنا هذا من الناحيتين الأدبية والعلمية مقدمين في الختام نماذج بسيطة من كتاباته ، فتعرف هكذا على شخصية من علمائنا ومفكرينا المغمورين العظام .

أولا - حياته

هو ابو الفرج عبدالله بن الطيّب (١) العراقي البغدادي (٢) . وجاء في مخطوطة لندنية أنه ابن علي ابن ابي عيسى العبادي (٣) .

ولِدَ ، على الأرجح ، ببغداد ، حوالي سنة ٩٨٠ م ، وعاش في عهد الخليفتين القادر بن اسحق بن المقتدر والقائم بن القادر ، ودرس على ابن زرعة وابن سوار الخمار (٤) ، فأصبح طبيباً ، وأستاذاً في اليمارستان العضدي الذي أسسه عضد الدولة بن بويه في صفر من سنة ٣٧٢ هـ في الجانب الغربي من بغداد ؛ وجمع فيه الاطباء والخدم والوكلاء والادوية وكل ما يحتاج اليه (٥) .

كان مقرباً من جلال الدولة (٦) ، كما كان « متميزاً في النصارى ببغداد » (٧) . ونظراً لعلمه ومزله عنه جاثليق كنيسة المشرق (البطريك النسطوري « يوحنا بن نازوك (١٠١٢-١٠٢٢)) كاتباً له ، بمثابة كاتم اسرار ، وبقي كذلك في عهد ايليا الاول الطبرهاني (١٠٢٨-١٠٤٩) (٨) . يبدو جلياً ان ابن الطيب كان يتقن اليونانية والسريانية علاوة على العربية . فقد وضع بعض كتبه بالسريانية ، ومعظمها بالعربية ، وكان مطلعاً على كتب الاوائل وأقاويلهم (٩) ، ومنهم فلاسفة اليونان وعلمائهم .

لابن الطيب جملة تلاميذ ، يذكر ابن ابي اصيبعة أشهرهم ، وهم : ابو الحسن ابن بطلان ، وابن بذرج أو ابن بدروج ، والهروي ، وبنو حسون ، وابو الفضل كتيقات ، وابن اثردي ، وعبدون ، وابن مصوصا ، وابن العليق . كما عنه أخذ الرئيس ابن سينا ، وابو سعيد الفضل بن عيسى اليماني ، وعيسى ابن علي بن ابراهيم بن هلال الكاتب (بكس) ، وعلي بن عيسى الكحال وابو الحسين البصري ، ورجاء الطبيب الخراساني ، وزهرون (١٠) .

ويروي ابن ابي اصيبعة حادثة نستدل منها اهتمام ابي الفرج بالدين ،

اذ كان يخدم الكنيسة ويشارك في الرتب الطقسية ، يقول : حدثني الشيخ موفق الدين يعقوب بن اسحق بن القف النصراني ، ان رجلين من بلاد العجم كانا قد قصدا بغداد للاجتماع بأبي الفرج بن الطيب والقراءة عليه ، والاشتغال عنده ، ولما وصلا دخلا بغداد وسألا عن منزل ابي الفرج ف قيل لهما انه في الكنيسة للصلاة ، فتوجها نحوه ودخلا الكنيسة . فلما قيل لهما إنه ذلك الشيخ وكان ابن الطيب في ذلك الوقت لابساً ثوب صوف ، وهو مكشوف الرأس ويده مبخرة بسلاسل وفيها نار وبخور ، وهو يدور في نواحي الكنيسة ويبخر ، تأملاه وتحدثا بالفارسية وبقيا يديمان النظر اليه ويتعجبان منه انه على هذه الهيئة ويفعل هذا الفعل ، وهو من أجلّ الحكماء ، وسمعته في أقاصي البلاد بالفلسفة والطب . وفهم عنهما ما هما فيه . ولما فرغ وقت الصلاة وخرج الناص من الكنيسة خرج ابو الفرج بن الطيب ولبس ثيابه المعتاد لبسها ، وقدمت له البغلة فركب والغلمان حوله ، وتبعاه أولئك العجم الى داره وعرفاه انهما قاصدان اليه من بلاد العجم للاشتغال ، وان يكونا من جملة تلامذته .

فاستحضرهما في مجلسه وسمعا كلامه ودروس المشتغلين عليه ثم قال لهما : أكنتما حجاجتما قط ؟ قالوا لا ، فمأطلهما بالقراءة الى أوان الحج ، وكان الوقت قريباً منه . فلما نودي للحج قال لهما : ان كنتما تريدان ان تقرأ عليّ وان أكون شيخكما فحجّاً ، واذا جئتما مع السلامة ، ان شاء الله ، يكون كل ماتريدان مني في الاشتغال عليّ . فقبلا أمره ، ولما عاد الحاجان جاءا اليه . . . ثم اشتغلا عليه بعد ذلك الى ان تميزا وكانا من أجل تلاميذه (١١) .

ويستنتج السمعاني انه كان راهباً وقسيساً (١٢) ، مما جاء في مجدل عمرو وصليبا (١٣) . وجليّ من كل القرائن والنصوص انه كان نسطوري المذهب ، أي أحد أفراد كنيسة المشرق الآثورية - الكلدانية .

ويورد السمعاني عدة أدلة لاثبات ذلك (١٤) .
توفي ابن الطيب سنة ٤٣٥ هـ - ١٠٤٣ م (١٥) ، في شهر آب (١٦) .

وجاء في المجلد ان وفاته كانت سنة ٤٣٤ هـ (١٧) . والتاريخ الاول أصح .
ودفن في كنيسة درتا ببغداد (١٨) . وكتب على قبره عبارة : « فيلسوف
شهير » ، وقد خربه فيضان من الفيضانات قبل سنة ١٣٠٠ (١٨ أ)

ثانياً - نشاطه ومكانته

بوسعنا تقسيم نشاط ابن الطيب الى جملة اشتغالات ، أهمها : التدريس
والتأليف . وقد ورد انه كان يدرس الطب في البيمارستان العضدي ، بل
يؤكد ابن ابي اصبيعة انه « من الاطباء المشهورين في صناعة الطب » (١٩) .
كما ورد ان الكثير يتتلمذون عليه ويشغلون تحت يده ، كما هي طريقة
التدريس عهد ذاك .

وبشأن صناعة الطب ورصد المشتغلين بها أيام ابن الطيب ، يذكر ابن
ابي اصبيعة من الاطباء المشهورين في زمانه : صاعد بن عبدوس ، وابن تفاح ،
وحسن الطيب ، وبني سنان ، والثالثي ، والشيخ الرئيس ابن سينا . ويؤكد لنا
مؤرخ الطب العربي ان ابن سينا كان يجمع كلام ابن الطيب في الطب (٢٠) .
وكان ابن الطيب يرسل ابن سينا وابن الهيثم (٢٠ أ) .

اما في التأليف فان ابن الطيب « واسع العلم كثير التصنيف » (٢١) .
أورد له صاحب عيون الانباء زهاء ستين مصنفاً بين تأليف وتفسير وتلخيص ،
وذلك في الطب والحكمة ، علاوة على آثاره الاخرى في الفقه والتفاسير الكتابية
وغيرها مما سنأتي على ذكره بعد قليل .

وكان ابو الفرج طبيباً ممارساً ايضاً ، اذ يفيدنا ابن ابي اصبيعة انه كان يعالج
المرضى في البيمارستان العضدي (٢٢) ، بينما يؤكد القفطي انه كان مجدداً في
« البحث والتفتيش » (٢٣) .

واشغل ابن الطيب بالفلسفة ، بل كان خبيراً فيها (٢٤) . كما له اشتغالات

كثيرة في مجال الفقه النصراني اذ وضع عدة مقالات وبحوث تدل على عمق فكر وسعة اطلاع ورجاحة رأي .

ونظن بان ذم ابن سينا لابن الطيب في مجال الفلسفة اساسه اختلاف في الرأي ، ولان ابن الطيب كان يميل الى التطويل ، ويؤكد على منطق ارسطو (٢٥) قرأ ابن الطيب كتب الاوائل ، وعني بشرح العديد منها ، لاسيما في المنطق والحكمة ، مركزاً على ارسطو من بين الفلاسفة ، واشتغل بالطب وشرح كتباً عديدة لجالينوس (٢٦) ، وفسر اسفار الكتاب المقدس بكاملها ، ووضع مقالات أملتها عليه الظروف ، سيأتي تعدادها فيما يلي .

اما اسلوبه فبسط القول بسطاً شافياً ، والعناية بالشروح ، بحيث يبلغ التعليم والتفهم . يفيدنا القفطي بشيء مهم في هذا المجال ، لذا ننقل كلامه بنصه : « لقد رأيت من ينتحل هذه الصناعة بدمه بالتطويل ، وكان هذا العائب يهودياً ضيق الفطن قد وقف على عبارة ابن سينا ، فاما انا وكل منصف فلا نقول الا ان ابا الفرج بن الطيب قد احب من هذه العلوم ما ذكره ، وابان منها ما خفي ، وقد تلمذ له جماعة سادوا وافادوا » (٢٧).

وينقل القفطي عن ابن بطلان ، تلميذ ابن الطيب ، ان معلمه « بقي عشرين سنة في تفسير ما بعد الطبيعة ، ومرض من الفكر فيه مرضة كاد يلفظ نفسه فيها ، وهذا يدل على حرصه واجتهاده وطلب العلم لعينه : ولولا ذلك لما تكلف » (٢٨) . وكان ابن الطيب يملئ كتاباته ، لذا فان « أكثر ما يوجد من تصانيفه كانت تنقل عنه املاء من لفظه » (٢٩) .

ومنزلة ابن الفرج كبيرة ، سواء في تاريخ الطب والعلوم كما في تاريخ فقهاء وأدباء كنيسة المشرق ، علاوة على الفلسفة واللاهوت . فقد خصص له كل من ابن اصبعة والقفطي وابن العبري فذلكة أوردوا فيها شيئاً عن حياته

ونشاطه وآثاره ، كما اعتبره مؤرخو كنيسة المشرق والادب السرياني والعربي النصراني من أكابر العلماء والمؤلفين (٢٩ أ) .

يسميه ابن ابي اصيبعة « الفيلسوف ، الامام ، العالم . . . من الاطباء المشهورين . . . عظيم الشأن ، جليل المقدار ، واسع العالم ، كثير التصنيف ، خبيراً بالفلسفة ، كثير الاشتغال فيها . . . له مقدرة قوية في التصنيف » (٣٠) وجاء في تاريخ الحكماء للقفطي انه « فيلسوف فاضل ، مطلع على كتب الاوائل وأقاولهم ، مجتهد في البحث والتفتيش » (٣١) . ويعيد القول الاخير ابن العبري في تاريخ مختصر الدول (٣٢) .

وعلاوة على تأثر تلاميذه المباشرين به ، فان مؤلفين وكتبة عديدين يستشهدون بآثاره كأبي نصر يحيى بن جرير تلميذ ابن زرعة . واشتهر أمره وهو على قيد الحياة ، ثم بعد مماته ، فوصل بلاد العجم ومصر ، كما لدى أقباط مصر بشكل ملحوظ ، فنرى ابا اسحق المؤتمن ابن العسال وأبا البركات يستشهدان بكتاباته ، بل ينقلان مقاطع كاملة من مقالاته (٣٣)

ثالثاً - آثاره

يؤكد ابن ابي اصيبعة ، كما أسلفنا ، ان ابن الطيب كثير التصنيف . ويورد قائمة بحوالي ستين مصنفاً في مجالي الفلسفة والطب بشكل خاص . ويذكر له مؤلفون متأخرون مصنفات اخرى ، منها ماضاع وفقدناه ، ومنها ما احتضنته خزانات المخطوطات ، ومنها ما نشر هنا وهناك . لذلك سنقسم آثاره الى أربعة مجاميع : الطب ، الفلسفة ، الفقه والتفسير الكتابية ، ومتفرقات (٣٣ أ) .

١- آثاره الفلسفية

١- تفسير كتاب قاطيغورياس (المقولات) لارسطو (٣٤)

- ٢- تفسير كتاب بارمينياس (العبارة) لارسطو (٣٥)
- ٣- تفسير كتاب اناطوطيقا (القياس أو البرهان) لارسطو (٣٦)
- ٤- تفسير كتاب سوفسطيقا (الجدل) لارسطو (٣٧)
- ٥- تفسير كتاب ريطوريقا (الخطابة) لارسطو (٣٨)
- ٦- تفسير كتاب بويطيقا (الشعر) لارسطو (٣٩)
- ٧- تفسير كتاب الحيوان (المنسوب) لارسطو (٤٠)
- ٨- تفسير كتاب ايساغوجي لفرفوريوس (٤١) . وثمة مخطوطة منه في المكتبة البودليانية باكسفورد مارش ٢٨ نسبت الى الفارابي ، وبهذه النسبة نشر البروفسور دنلوب القسم الاول منها ثم نهض الدكتور كوامي جيكي فعقد دراسة حولها أحرز بها شهادة الدكتوراه من جامعة هارفارد عام ١٩٦٩ ، ونشر الكتاب ضمن سلسلة (بحوث ودراسات) بإدارة معهد الآداب الشرقية ببيروت بعنوان (أبو الفرج بن الطيب ، تفسير كتاب ايساغوجي لفرفوريوس) ، طبعته دار المشرق ببيروت .
- ٩- تفسير كتاب مايقع الطبيعة (الميتافيزيقا) لارسطو ، يقول القفطي انه قضى عشرين سنة معنيا بتفسيره حتى مرض (٤٢) .

(٢) آثاره الطبية

- ١٠- تفسير كتاب ايديميا لابقراط (٤٣)
- ١١- تفسير كتاب الفصول لابقراط (٤٤)
- ١٢- تفسير كتاب طبيعة الانسان لابقراط (٤٥)
- ١٣- تفسير كتاب الاخلاط لابقراط (٤٦)
- ١٤- ثمرة كتاب الموالدين لثمانية اشهر لابقراط (٤٧)
- ١٥- تفسير كتاب الفرق لجالينوس ، أو فرق الطب للمتعلمين (٤٨)
- ١٦- تفسير كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس (٤٩)

- ١٧- تفسير كتاب اغلوقن لجالينوس : والاصح تفسير كتاب في مداواة الامراض الى اغلوقن (٥٠)
- ١٨- تفسير كتاب النبض الصغير لجالينوس (٥١)
- ١٩- تفسير كتاب الاسطقسات لجالينوس ، أو شرح كتاب في الاسطقسات على رأي ابقراط لجالينوس (٥٢) ، ولابن الطيب ثمار هذا الكتاب (٥٣) .
- ٢٠- تفسير كتاب المزاج لجالينوس (٥٤)
- ٢١- تفسير كتاب القوى الطبيعية (٥٥)
- ٢٢- تفسير كتاب التشرح الصغير لجالينوس (٥٦)
- ٢٣- تفسير كتاب العلل والاعراض لجالينوس (٥٧)
- ٢٤- تفسير كتاب تعرف علل الاعضاء الباطنة لجالينوس (٥٨)
- ٢٥- تفسير كتاب النبض الكبير لجالينوس (٥٩)
- ٢٦- تفسير كتاب الحميات لجالينوس (٦٠)
- ٢٧- تفسير كتاب البحران لجالينوس (٦١)
- ٢٨- تفسير كتاب أيام البحران لجالينوس (٦٢)
- ٢٩- تفسير كتاب حيلة البرء لجالينوس (٦٣)
- ٣٠- تفسير كتاب تدبير الاصحاء لجالينوس (٦٤) ، أو شرح كتاب الحيلة لحفظ الصحة (٦٥) .
- ٣١- شرح كتاب في العظام (للمتعلمين) لجالينوس (٦٦)
- ٣٢- شرح كتاب منافع الاعضاء لجالينوس (٦٧)
- ٣٤- شرح كتاب الفروق لجالينوس (٦٩)
- ٣٥- فوائد كتاب الحقن لجالينوس (٧٠)
- ٣٦- ثمار جوامع الاسكندرانيين أو الستة عشر كتاباً للمتعلمين تأليف

جالينوس وجمع مدرسة الاسكندرية الطبية ، وقيام ابن الطيب باستخلاص ثمارها ، على حد قول ابن ابي اصيبعة (٧١) ، واعل ما ورد سابقاً تحت عنوان شرح أو فوائد من الجوامع المذكورة هو منها ، فلا يجوز ان نضيف الى مجموعة آثار ابن الطيب ستة عشر كتاباً آخر .

٣٧- شرح ثمار مسائل حنين بن اسحق (المتوفى سنة ٨٧٣ م) في الطب : أملاه سنة ٤٠٥ هـ (٧٢) .

٣٨- كتاب النكت والثمار الطبية والفلسفية وهو من وضعه (٧٣) .

٣٩- مقالة في القوى الطبيعية ، من وضعه (٧٤) .

٤٠- مقالة في العلة لم جعل لكل خلط دواء يستفرغه ، ولم لم يجعل للدم دواء يستفرغه مثل سائر الأخلاط (٧٥) .

٤١- تعاليق في العين (٧٦) .
(٣) آثاره في الفقه والتفاسير الكتابية .

٤٢- فقه النصرانية ، النجام للقوانين البيعية والمجامع المغربية والمشرقية : نشره هونرباخ وشبيس في مجلدين في الجمهرة ، لوفان ١٩٥٦ - ١٩٥٧ ، وأرفقاه بترجمة المانية (٧٧) .

٤٣- مقالة صغيرة في الزواج (٧٨) .

٤٤- في المواريث (٧٩) .

٤٥- تفاسير الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد . وقد جمعت مخطوطاتها عادة في مجلد ضخّم بجزئين ، يحمل عنوان (فردوس النصرانية) ، على غرار ما فعل ابن الطيب في باب القوانين والمجامع كما رأينا . وثمة عدة مخطوطات من هذه التفاسير (٨٠) ما تزال معظم أقسامها غير منشورة ، وقد نشر جان ساندريس تفسير سفر التكوين (٨١) .

٤٦- وعني يوسف منقريوس وحبيب جرجس بنشر تفسير سفر المزامير بعنوان

- (الروض النضير في تفسير المزامير) ، القاهرة ١٩٠٢ (٨٢) .
- ٤٧- جمع نصوص الانجيل الاربعة في انجيل واحد ، بالعربية معتمداً النص السرياني المعروف بالترجمة البسيطة ، حتى لقد نسبت اليه ترجمة دياطسرون ططيانس (٨٣) . ويختلف هذا عن تفسيره للانجيل .
- ٤٨- شرح الانجيل بنصوصه الاربعة متى ، مرقس ، لوقا ويوحنا ، يستشهد ابن الطيب فيه بيوحنا فم الذهب وتيودورس المصيصي واوسابيوس وغريغوريوس ويعقوب الرهاوي ، مركزا على الابعاد اللاهوتية غير غافل المعاني الرمزية . وقد قام يوسف منقريوس بطبعه في جزئين بعنوان (تفسير المشرقي) ، في القاهرة ١٩٠٨ و ١٩١٠ . وجاء في مخطوطتين (٨٤) ان ابن الطيب وضع هذا التفسير بالسريانية أولاً ، ثم نقله الى العربية بنفسه . وقام الاب سمير خليل مؤخراً بمحاولتين جزئيتين للتعريف به ونشر شيء منه (٨٥) . ويعنى الاب خليل قوجحصارلي منذ سنوات بتحقيق تفسير الانجيل حسب يوحنا لغرض نشره .
- ٤٩- في الصوم (٨٦) .
- ٥٠- مقالة في الرد على من قال ان مريم والدة الله (٨٧) .
- ٥١- مقالات في الاصول الدينية ، وضعها قبل سنة ١٠١٨ (٨٨) ، ويقوم الاب سمير خليل اليسوعي بدراسة لها محاولا العثور عليها في العديد من المخطوطات الناقصة (٨٩) . يذكرها ابن الطيب نفسه في (فردوس النصرانية) ، ويسميتها (المقالات الشريفة في اصول الدين) ، وذلك في مقدمة موسوعته المذكورة .
- ٥٢- كتاب في التوحيد ، يذكره الاب سباط (٩٠) ، لكننا لا نعرف شيئاً عنه (٩١) .
- ٥٣- مقالة في التثليث ، وصفها بيسترن (٩٢) ونشرها البروفسور تروبو (٩٣) ،

ثم اعاد نشرها بشكل أكمل الاب سمير خليل (٩٤) .

٥٤- مقالة في التثليث والتوحيد ، ذكرها السمعاني (٩٥) ، ووصفها غراف سنة ١٩١٠ (٩٦) ، ونشرها تروبو (٩٧) .

٥٥- مقالة مختصرة في الاقانيم والجوهر ، وان الفعل للجوهر ، وصفها غراف (٩٨) ، ونشرها الاب سمير (٩٩) ، وكذلك تروبو (١٠٠)

٥٦- الكلام في الاتحاد ، ذكره غراف بشكل غامض (١٠١) ، لكنه موضوع قائم بذاته ، تراه عينه الوارد تحت رقم ٥١ ؟ نلقاه في مخطوطتين

(١٠٢) نشرها تروبو عام (١٩٧٨) في مجلة Parole de L'Orient المجلد ٨ (١٩٧٧ - ١٩٧٨) ، ص ١٤١ - ١٥٠ مع ترجمة فرنسية

٥٧- تعديد آراء الناس في الاتحاد وحججهم ، يذكره أبو اسحق المؤتمن ابن العسال في مجموع أصول الدين (١٠٣) وأورد نقفا منه ، بحيث نلقاه حالياً في المخطوطة الفاتيكانية العربية ١٠٣ ، الاوراق :

٩٤-٦٦ : والقسم الأخير في الفصل ١٩ من مجموع أصول الدين (١٠٤) . نشره الاب سمير خليل في مجلة بين النهرين ٥ (١٩٧٧) ، ص ٢٤٧ - ٢٦٢ .

٥٨- مقالة في التوبة ، نعرفها من مخطوطة يتيمة هي الباريسية العربية ١٧٣ ، تنقصها الفصول ٣-٧ ، نلقى منها ٣-٦ في كتاب مجموع أصول الدين لابن العسال ، فتصبح مقالاتها الاربع عشرة كاملة عدا السابعة (١٠٥) . وثمة أكثر من مقالة نسبت الى ابن الطيب ، ولا نعرف مدى صحة النسبة أو جاءت ناقصة في جملة مخطوطات ينبغي التحقق منها أولاً (١٠٦) . (٤) آثار متفرقة

٥٩- مقالة في الاحلام وتفصيل الصحيح منها من السقيم على مذهب الفلسفة (١٠٧) .

٦٠- مقالة املاها في جواب ماسئل عنه من إبطال الاعتقاد في الأجزاء التي

لاتنقسم ، وهذا السؤال سأله اياه ظافر بن جابر السكري ، وهي الدستور بعينها (١٠٨) .

٦١- ثمار كتاب النبات ، المنسوب الى ارسطو (١٠٩)

٦٢- دفاع عن العلم ، نشره الاب سمير خليل في مجلة رسالة الكنيسة ٤ (المينا ١٩٧٢) ، ص ٢٥٥-٢٥٩ ، ٣٠٥-٣٠٩ ، ٣٦٨-٣٧٢ .

٦٣- في العلم والمعجزة ، نشرها الاب بولس سباط في (مباحث فاسفية دينية) ، مكتبة فريدريخ ، مصر ، ص ١٩٧٨-١٧٩ واعاد نشر قسم منها الاب مرمجي (ص ٤٦-٤٧) .

ولسنا نتردد في القول اننا لم نستوف بهذا كل آثار ابن الطيب ، فهي ثروة طائلة تستحق الاهتمام. ويستدل القارئ بسهولة على المتبقي منها والمندثر ، كما على المنشور والمطمور ، وذلك من الاشارات التي أوردناها .

رابعاً - قيمته الادبية والعلمية

ليس هذا القسم تكراراً لما جاء في الثاني ، انما محاولة أولية لتحديد قيمة ابن الطيب الأدبية والعلمية من خلال وضعه في أجواء البيئة الحضارية التي عاشها انسان عصر ذهبي من عصور الحضارة العربية الزاهرة . وبديهي اننا نفترض تعرفاً كافياً على أوجه تلك الحضارة .

تقوم الحضارات على أكتاف عباقرة يبدع كل منهم في مجال من مجالات الفكر والعلم والتجربة والخبرة . ومعلوم بأن الحضارة العربية الاسلامية عرفت أزدهاراً كبيراً في القرن الثالث للهجرة - التاسع للميلاد ، وأوجها في القرنين الرابع والخامس - العاشر والحادي عشر ، لاسيما في المشرق ، والمركز بغداد عاصمة الخلافة .

وقد نهض عدد غفير من الباحثين في دراسة أصول هذه الحضارة ، ورصد مراحل تكرينها ، ومايزال ثمة غموض بشأن التأثيرات الحقيقية والادوار

الثابتة الاكيدة . ومهما يكن من أمر ، فالجميع متفقون على ان عملية الترجمة من اليونانية الى السريانية فالعربية كانت ذات شأن (١١٠) .

ويحق لنا ، بعد استعراض حياة ابي الفرج عبدالله بن الطيب والتعرف على نشاطه وآثاره الفكرية والعلمية القيمة ، ان نعتبره واحداً من اولئك المساهمين في اثناء الأدب السرياني بشكل قليل ، والتراث العربي بنوع خاص ، بتأليف يوسفنا ان العديد منها مفقود ، ولم تستوف العناية بنشر ماتبقى . فعسى ان يقيض الله من ينهض بهذه المهمة ، أو يكتشف آثاراً مازالنا نظنها مفقودة ، فيتم التعريف بشخصية علمية تستحق التقدير .

ونود في هذه العجالة ان نتطرق الى حقيقة نظنها جديدة لم يركز عليها الباحثون عادة ، ونأمل ان يتاح لنا يوماً فنأتي عليها شرحاً وتفصيلاً ، وتعليلاً وتبريراً ، مفادها : ان الرعيل الاول من علماء الحضارة العربية اضطروا الى الاكثار من الترجمة وتنقيح الترجمات السابقة ، فهو رعيل عصر الترجمة . أما الرعيل الثاني ، وابن الطيب واحد منهم ، فقد انصرفوا بالأكثر الى قراءة للنصوص المترجمة التي كانت متوفرة لديهم ، فأتوا بشروح وتفسير وثمار وتأليف . هذا لايعني ان الرعيل الاول خلا تماماً من التعمق والاصالة والتصنيف ، كما لايعني بأن الرعيل الثاني لم يعن بالترجمة والتدقيق اطلاقاً ، انما يدل على اختلاف في التركيز . فان المرحلة الثانية مرحلة استيعاب وتطوير أكثر من الاولى ، كما انها مرحلة المجاميع الموسوعية في مختلف العلوم والمعارف الشائعة عهد ذاك .

وابن الطيب أحد علماء الرعيل الثاني ، اعتمد ترجمات سابقه ، الفاسفية والطبية والكتابية ، فقلما نلقى له ترجمة أو تدقيقاً ، انما نجده ، يصب جل اهتمامه على فهم تصانيف السابقين وتفسيرها واستخراج ثمار منها مفيدة ، وانشاء مجاميع موسوعية شاملة ، كما نراه يدبج بحوثاً أصيلة معتمداً ارسطو

فلسفياً ، وابقراط وجالينوس طبيياً ، بشكل خاص ، وقد يسلك مواضيع غير مطروقة من قبل سابقه . ولا عجب ، فهو عصر ابن سينا ، لكي نقدم اسماً واحداً فقط من الاسماء اللامعة في سماء الحضارة العربية الزاهرة . وابن سينا ايضاً ممن اشتهروا بمجاميعه الفلسفية والطبية وغيرها من فروع المعرفة ، واحد تلاميذ ابن الطيب .

وينبغي القول مع ذلك ان ابن الطيب لم يكن مؤلفاً كبيراً ، بل كان شارحاً مقتدرأ . وتتسم مصنفاته بنفس موسوعي شمولي يتعدى عادة نطاق التخصص الضيق ، كما يتخطى أهل ملته ومذهبه وبلده الى عالم رحب الأفق هو عالم الحضارة العربية والاسلامية ، فلا يبحث اليوم في الفلسفة الاغريقية والعربية الاسلامية الا ويأتي ذكره مراراً ، ولا يكتب عن العلوم ، والطب بخاصة الا ويتلأأ اسمه بين الأسماء اللامعة ، ولا يدرس الفقه واللاهوت والكتاب المقدس الا ولا ابن الطيب حصّة كبيرة في ذلك كله .

واسلوب ابن الطيب جميل ، ولغته العربية جيدة ، حتى ليحق لنا اعتباره من الفصحاء ذوي الوضوح الفكري والأدبي . ولتبيان شيء من كل ما قيل نقتطف هنا ثلاثة نماذج من كتاباته ، نستقي الاول من كتاب تفسيره لايساغوجي لفرفوروس ، والثاني من موسوعته الكبيرة الموسومة بفقه النصرانية ، والثالث من مقالة لاهوتية فلسفية .

(١) مقدمة تفسير كتاب ايساغوجي لفرفوروس

« لقد جرت عادة مفسري الصناعة المنطقية ان ينظروا في كتاب فرفوروس المعروف بالمدخل ان يبحثوا عن الفلسفة نفسها التي الصناعة المنطقية آلة لها . والسبب الذي من أجله اعتمدوا هذا الفعل هو انهم لما رأوا طول الصناعة المنطقية ويخوفوا (كذا) الاستثقال أحبوا ان يقدموا تعريفنا الشيء الذي من أجله نتعلمها وهو الفلسفة ، حتى اذا وقفنا على شرفها لم نستثقل الآلة التي

نتعلمها من أجلها . ولما كان كل ما يبحث عنه انما يبحث على أربعة اضرب :
الضرب الاول هل له وجود أم لا ؟ والضرب الثاني النظر فيه ماهو ؟ وهذا
هو في جنسه أو مادته . والضرب الثالث النظر فيه أي شيء هو ؟ وهذا هو النظر
في فصله أو صورته . والضرب الرابع النظر فيه لم هو ؟ وهذا النظر في الغابة
التي من أجلها وجد ، وكان بحثنا الآن عن الفلسفة ، فينبغي لنا ان نبحث عنها
هذه المباحث الاربعة ، ونقدم أولا النظر في وجودها .

فنقول : ان مفسري كتب ارسطو طاليس جميعاً يخلون عن هذا المطلوب ،
ويستلمون وجودها تسليماً . وذلك ان وجودها على غاية الظهور من قبل انه
لما كان العقل وهو العالم بالأمور موجوداً والامور المعروفة موجودة فهو يعلمها
والعالم بالامور وسبب الامور الناظم لها هو الفلسفة ، فالفلسفة إذن موجودة
وذلك ان مع حضور الفاعل والمنفعل وقوع الفعل يكون ضرورة ان لم يكن عائق» (١١١)

(٢) في المواريث

« رجل مات وخلف مالا وله أم وزوجة وبني (كذا) عم ، ان
كانت الام والزوجة لا يتزوجن هم يرثون (كذا) ، وان تزوجوا أخذوا المهر
وما سمح به لهما الميت وإلا فالعشر من ماله الذي كسبه من يوم دخول الزوجة
بيته وبني عمه يرثونه .

امراً ماتت وخلفت زوجاً وأماً وأخاً ، ان كان لها وصية يعطى مالها لمن وصت ،
وان لم تعمل وصية يقسم مالها اربعة اقسام ، جزء للصدقة وجزء للأم وجزء
للأخ وجزء للزوج .

رجل مات وخلف أخوات وبني عم اخواته يرثونه .

رجل مات وخلف بنين وبنات مزوجات وارامل وزوجة ، الذكور
يرثونه والبنات سهمهم ما أعطاهم ابوهم في حياته ، فأن افتقروا فأولى من عاينهم
اخوتهم ، والمرأة ان حفظت العهد على زوجها يكون امرها في البيت بعده امره

ان كانت أم الاولاد أو امرأة الاب ، وان لم يتزوج ولم يجلس في البيت يعطى سهماً وافراً (كذا) ، وان أحبت الزوج تعطى جهازها ومهرها وما يحلها زوجها والعشر من ماله الذي اقتناه منذ وقت دخولها بيته « (١١٢)
جوامع مواريث المسلمين

« المرأة ترث من زوجها الربع اذا لم يكن اولاد ، ومع الاولاد كم كانوا الثمن فما يزداد على الربع ولا ينقص عن الثمن .
الرجل يرث من زوجته اذا لم يكن اولاد أو اولاد اولاد النصف ، ومع هؤلاء الربع .

والاب يرث من ابنه مع كون الاولاد لابنه السدس ، واذا لم يكن اولاد الكل ، ومع بنات ابنه الثلث ، والباقي للبنات ، وان كانت البنت واحدة فالنصف لها والنصف للاب .

الام ترث من ابنها الثلث ان لم يكن له اولاد وأولاد اولاد ، وان كان له فالسدس .

الام ترث من ابنها اذا كان له أخوة أو أخوات السدس ، وهكذا ان كان له أب . . . » (١١٣) .

٣) من مقالة في التوحيد

« فأسم الجوهر ، في كل ذات ، يدل على مطلق الطباع في الشيء ، كطبع الانسان المطلق في أشخاصه ، والنار المطلقة في أشخاصها .

فاذا تخصصت (الذات) بصفة ، سميتها بالتخصص اقنوما ، (قنوما بالسريانية) .

واذا تعينت الصفة ، سميتها شخصاً (فرصوفا ، بالسريانية ، عن اليونانية

بروسوبون) .

واذا تحصلت لها الاوصاف ، كانت بوجه واحدا ، وبوجه كثيراً . من

جهة الجوهر تكون واحدا ، ومن جهة اوصافها تكون كثيرة . . .

فأما لفظة الاتحاد فأنها تدل على مصير شيئين (أو أكثر من شيئين)
يجتمعان ، (فيصيرا) شيئاً واحداً .
وهذان إذا اجتماعا ، اما ان يتفاسدا ، فيحصل منهما طبع ثالث ، كنار
وماء ، أو يبقيا على حالهما ، فيحصل نقل صفة كل منهما الى الآخر ، بما
هو معلق به .
مثال ذلك . ان وجد لسقراط البياض ، فطبع البياض غير طبع سقراط
الا انا نصفه بانه ابيض ، ونصف الابيض بأنه سقراط . فننقل صفة كل منهما
الى صاحبه لاجل المشاركة التي بينهما » (١١٤)



الهوامش

- (١) عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ، ط د . نزار رضا ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ٣٢٣ .
 - (٢) تاريخ الحكماء للقفطي ، ط ليبر ، نشر مكتبة المثنى ببغداد ومؤسسة الخانجي بمصر ، ص ٢٢٣ . تاريخ مختصر الدول لابن العبري ، ط الاب انطون صالحاني ، بيروت ١٩٥٨ ، ص ١٩٠ . نزهة الارواح وروضة الافراح للشهر زوري ، ط حيدر آباد ١٩٧٦ ، ج ٢ رقم ١٨ .
 - (٣) Ms. Brit. Mus., Suppl. 15, ar. كما نقل الشهرزوري قول ابن الطيب انه من أولاد فولوس ابن أخت جالينوس ؛ نزهة الارواح ، ج ٢ ، رقم ١٨ .
 - (٤) عيسى بن اسحق بن زرعة توفي سنة ٣٩٨ هـ ١٠٠٨ م ، وابو الخير الحسن بن الخمار توفي سنة ٤١١ هـ ١٠٢٠ م ، وكلاهما من المشتغلين بالعلم والحكمة .
 - (٥) السلطان البويهبي عضد الدولة (٩٣٦-٩٨٣ م) كان محباً للعلماء ، كما يصفه ابن خلكان في وفيات الاعيان ، وابن كثير في البداية والنهاية . فيقول الاول ان الفراغ من بناء البيمارستان العضدي كان سنة ٣٦٨ هـ / ٩٧٨ م ، كما ورد نقلاً عن عبيد الله بن جبريل بن بختيشوع ان عضد الدولة جمع في بيمارستانه اربعة وعشرين طبيباً ، كان على رأسهم هارون بن صاعد بن هارون ، أو نصر بن هارون بحسب الكليرك (ج ١ ، ص ٤٤٨ كما في الهامش ٢٠ أ) . من هولاء ؛ ابو الحسن علي بن ابراهيم بن بكس ، وابو الحسن بن كشكرايا (ابن الكشكري) المعروف بتلميذ سنان ، وابو يعقوب الاهوازي ، وابو عيسى بقية ، ونظيف النفس الرومي ، وبنو حسون ، وابن مندويه ، وابو الحسن علي بن هبة الله بن الحسن ، وابن الدولة بن التلميذ وابو علي بن ابي الخير بن القطار ، وجمال الدين بن اثري ، وابن المارستانية وغيرهم . انظر : د . احمد عيسى بك ، تاريخ البيمارستانات في الاسلام ، دمشق ١٩٣٩ ، ص ١٨٧ - ١٩٧ .
 - (٦) جلال الدين البويهبي حاكم بغداد والبصرة ، لقب بأمر الامراء ، وكان آلة بيد الاتراك لبسط سيادتهم على العراق . توفي سنة ١٠٤٤ م .
 - (٧) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٣ .
 - (٨) كتاب المجلد (اخبار فطاركة المشرق) لعمر بن متى وصليبا بن يوحنا ، ط جيسموندى بروما ، وإعادة طبع مكتبة المثنى ببغداد ، ص ٩٦ ، ثم ص ٩٨ - ٩٩ . ويميل معظم المحدثين الى حصر علاقة ابن الطيب بالطيريك الثاني وحده ، بينما يؤكد التاريخ علاقته بالاثنيين . وجاء في مخطوط قول ابن الطيب في العلم والمعجزة ، الذي نشره الاب بولس سباط في مصر ، انه « كاتب الجائليق » (ص ١٧٩) . وقد كلفه البطيريك ايليا الطيرهاني بمراجعة احد كتب المطران ايليا السني (برشينايا) لغرض اجازته . انظر :
- A. Mai, Scriptorum Veterum Nova Collectio, t. IV, Romae 1831, p. 78.
- (٩) تاريخ الحكماء للقفطي ، ص ٢٢٣ . وسيتضح ذلك من خلال عرضنا لآثاره .

ويؤكد الشهرزوري انه كان عالماً باللغة الرومية واليونانية ؛ نزهة الارواح ، ج ٢ ، رقم

١٨ .

(١٠) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٤ .

(١١) المصدر السابق

(١٢) J. S. Assemani, Bibliotheca Orientalis, III, 1, p. 544

وورد في جملة مخطوطات انه « شيخ » و « قس » ، كما في (فردوس النصرانية) بحسب المخطوطة الفاتيكانية العربية رقم ٣٧ ، اذ نقرا ؛ « كتاب فردوس النصرانية تصنيف الشيخ الاجل الاوحد القس الطاهر ابي الفرج عبد الله بن الطيب . . . »

(٣) مجدل عمرو وصليبا ، ص ٩٦ . بينما تعتبره شماسا فقط المخطوطة اللندنية العربية رقم ١٥ ملحق .

(١٤) السمعاني ، ج ٣ ، ١ ، ص ٥٤٤

(١٥) القفطي ، ص ٣٢٣ . ابن العبري ، ص ١٩٠ .

(١٦) السمعاني ٣ ، ١ ، ص ٥٤٤

(١٧) المجدل ، ص ٩٩

(١٨) المصدر السابق ، ص ٩٨ - والسمعاني كذلك . الاب البر ابونا ، ادب اللغة الارامية

بيروت ١٩٧٠ ، ص ٤١٧ .

(١٨ أ) اذ لم يجده احد الرحالة الذين زاروا بغداد عهد ذات . انظر :

G. Le Strange, Baghdad during the Abbassid Caliphate, Oxford 1900, p. 118.

وببعة درتا من اقدم كنائس بغداد تقع الى الشمال من مقبرة باب التين ، شمال شرقي المشهد الكاظمي : الاب د . بطرس حداد ، كنائس بغداد عبر التاريخ ، مجلة بين النهرين

٨ (١٩٨٠) ، ص ٣١٢ .

(١٩) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٣

(٢٠) المصدر السابق ، ص ٣٢٣-٣٢٤

(٢٠ أ) Lucien Leclerc, Histoire de la Medecine Arabe,

t. I, Paris 1867 ; Rabat 1980; p. 486 — 488.

(٢١) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٣

(٢٢) المصدر عينه

(٢٣) القفطي ، ص ٢٢٣

(٢٤) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٣ . القفطي ، ص ٢٢٣

(٢٥) اذ يقول ابن ابي اصيبعة ؛ « وكان الشيخ الرئيس يحمده كلامه في الطب . واما في الحكمة فكان يذمه » (عيون الانباء ، ص ٣٢٣-٣٢٤) . ويضيف الشهرزوري ان سبب ذلك

« تحاسد يكون بين اهل العصر » نزهة الارواح ، ج ٢ ، رقم ١٨ .

- (٢٦) القفطي ، ص ٢٢٣ . ابن العبري ، ص ١٩٠
- (٢٧) القفطي ، ص ٣٢٣
- (٢٨) المصدر السابق
- (٢٩) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٣
- (٢٩ أ) يؤكد ابن الطيب نفسه ان مادفعه الى تصنيف عدة مجلدات اهمال العلم في زمانه من قبل رجال الكنيسة ، اذ يقول في مقدمة موسوعته الكتابية (فردوس النصرانية) مانصه : « لما شاهدت علوم البيعة قد دثرت ، ولم يبق احد من الكهنة الاكابر يفتح كتاباً ، ولا يقرأ تفسيراً ، ولا يشعر بأن عالماً صنف (كذا) الا النفر القليل . . . وتصفحت من عاصرت ، وخاصة آخر عمري . . . رأيت . . . (المقدمة ص ١-٢ ، مخطوطة الفاتيكان العربية رقم ٣٧)
- (٣٠) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٣
- (٣١) القفطي ، ص ٢٢٣
- (٣٢) ابن العبري ص ١٩٠ . وجاء في مخطوطة موسوعته القانونية (فقه النصرانية) انه « الشيخ الفاضل والفيلسوف الكامل »
- (٣٣) كما بشأن مقالته في تعديد آراء الناس في الاتحاد وحججهم ، وسيأتي ذكر ذلك في باب آثاره .
- (٣٣ أ) ان أهم من أحصى كتب ابن الطيب من القدامى : ابن ابي اصيبعة في عيون الانباء والقفطي في تاريخ الحكماء ، وابن العبري في تاريخ مختصر الدول والتاريخ الكنسي ، ومن المتأخرين :
- E. Tisserant, Dict. de Theol. Cath., XI (1931), p. 276-278;
Carl. Brockelmann, GAL, I, p. 482; J I,2,p.635; Suppl.
I,p. 884; W. Riedel, Die Kirchenrechtsquellen des
Patriarchats Alexandrien 1900, p. 150-152; George
Graf, Geschichte der Christlichen Arabischen Literatur
II, Citta del Vaticano 1947, p. 160-176; Fuat Sezgin,
Geschichte des Arabischen Schrifttums, III, Leiden
(E.J.Brill), 1970, passim; Khalil Samir, Bibliographie
du Dialogue Islamo Chretien, Auteurs Arabes Chre-
tiens XIe-XIIe siecles), extrait d'Islamochristiana 2
(1976), p. 203-208.
- هذا بالاضافة الى مذكرناهم سابقاً ؛ السمعاني ، ماي ، لكليرك ، ابونا ، اولمان . وراجع
ايضاً : المطران يوسف الدبس ، تاريخ سوريا ، بيروت ١٨٩٣ - ١٩٠٣ ، ج ٥ ، ص ٥١٥ -
٥٢١ . وتتناول الموسوعات كذلك ، وفهارس المؤلفين شخصية ابن الطيب وشيئاً من آثاره .

- (٣٤) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . ويأتي تكرار ذلك لدى العديد من المؤلفين المحدثين .
 (٣٥) المصدر السابق ايضاً .
 (٣٦) و(٣٧) و(٣٨) و(٣٩) المصدرعنه
 (٤٠) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . سيزكين ، ٣ ، ص ٣٥١
 (٤١) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥
 (٤٢) القفطي ، ص ٢٢٣
 (٤٣) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥
 (٤٤) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . فهرس سباط ، ١ ، ص ٢٤ ، رقم ١٥٣
 (٤٥) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . فهرس سباط ، ١ ، ص ٢٤ ، رقم ١٥٥
 (٤٦) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . مخطوط مكتبة جامعة القديس يوسف ببيروت رقم ٢٨١ من القرن الحادي عشر .
 (٤٧) مخطوط الاسكوريال رقم ٨٨٨ ، الاوراق ١-١٤ Renaud وانظر :
 Manfred Ullmann, Die Medizin im Islam (Hand. d. Orient.)
 Leiden/Köeln 1970, p. 157.
 (٤٨) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . مخطوط مغنيسا رقم ١٧٧٢ من القرن السادس للهجرة ،
 الاوراق ١ - ٣٧ . سيزكين ، ٣ ، ص ٨٠ . وله (ثمار كتاب الفرق) مخطوطة كوبرلو
 ٩٦١ . سيزكين ، ٣ ، ص ١٤٦ . اولمان ، ص ١٥٧ . وراجع ايضاً ؛
 Albert Dietrich, Medicinalia Arabica. Studien über arabis-
 che medizinische Handschriften in türkischen und syrischen
 Bibliotheken, Göttingen 1966, n. 5 .
 (٤٩) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . مخطوطة مغنيسا ١٧٧٢ ، الاوراق ٣٧ ب - ١٣٦ ب .
 المتحف البريطاني ، شرقي ٥٢ من السنة ٤٤٨ هـ . ديتريش ، رقم ٦ . سيزكين ، ٣ ، ص
 ٨١ . اولمان ، ص ١٥٧ .
 (٥٠) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . مخطوط مغنيسا ١٧٧٢ ، الاوراق ١٩٠-٣٣٢ .
 ديتريش ، رقم ٦ . سيزكين ، ٣ ، ص ٨٣ . اولمان ، ص ١٥٧ .
 (٥١) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . مخطوط مغنيسا ١٧٧٢ ، الاوراق ١٣٢ ب - ١٨٩ ب .
 مخطوط برنستون رقم ١٠٩٥ من سنة ١١٠١ هـ . سيزكين ، ٣ ، ص ٨٢ . ديتريش ، رقم
 ٧ . اولمان ، ص ١٥٧ .
 (٥٢) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . مخطوطة باريس ٨٤٨٢ هـ ، ١ ، الاوراق ١-٣٥ من السنة
 ٤١٥ هـ . سيزكين ، ٣ ، ص ٨٧ . اولمان ، ص ١٥٧ .
 (٥٣) مخطوط كوبرلو رقم ٩٦١ هـ ٠٢ سيزكين ، ٣ ، ص ١٤٦
 (٥٤) مخطوطة باريس ٢٨٤٨ ، الاوراق ٣٥-١٣٩ . فهرس سباط ، ١ ، ص ٢٤ ، رقم ١٥٧ .
 سيزكين ، ٣ ، ص ١٨٧ . اولمان ص ١٥٧ .

د. يوسف حبي

- (٥٥) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . اولمان ، ص ١٥٧ . ومنه مخطوطة آبا صوفيا ٢٤٥٧ هـ
٠٢ . وقد انتقد ابن سينا هذا الكتاب (انظر ابن سينا لقنواطي ؛ اولمان ، ص ١٥٦)
(٥٦) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . ومنه مخطوطة بنكييور ٤ ، ٥٣ . اولمان ، ص ١٥٧ .
(٥٧) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . مخطوط مجلس (طهران) رقم ٣٩٧٤ .
(٥٨) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . مخطوط مجلس ٣٩٧٤ .
(٥٩) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . مخطوط مجلس ٣٩٧٤ .
(٥٩) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ .
(٦٠) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . وورد عنوانه ؛ في أصناف الحميات ، وذلك في مخطوط
مجلس رقم ٣٩٧٤ حيث نلقاه محفوظاً .
(٦١) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . وكذلك في المخطوط السابق .
(٦٢) المصدران السابقان .
(٦٣) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . مخطوط ليدن رقم ١٢٩٨ (شرقي ٢٧٨ / ١) الاوراق
١٥٤-١ . فهرس سباط ١ ، ص ٢٤ ، رقم ١٥٧ . اولمان ، ص ١٥٧ .
(٦٤) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ .
(٦٥) مخطوط ليدن ١٢٩٩ (شرقي ٢٧٨ / ٢) الاوراق ١٥٥-٢٠٩ . سيزكين ٣ ، ص ١٢٢ .
اولمان ، ص ١٥٧ .
(٦٦) مخطوط يزد في مكتبة علي علمي من القرن السادس هـ السابع للهجرة . مخطوط مجلس
٣٩٤٩ . مخطوط مشهد ٨٠٩ [٨٠٩] سيزكين ٣ ، ص ٨٥ .
(٦٧) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . مخطوط دانشگاه رقم ٥٤٦٨ . مخطوط ملك رقم ٤٥٥٤ .
سيزكين ٣ ، ص ١٠٧ .
(٦٨) مخطوط يزد في مكتبة علي علمي . مخطوط مجلس ٣٩٤٩ ٥٥٥ . مخطوط مشهد ٨٠٩ / ٠٣ .
سيزكين ٣ ، ص ٨٥ .
(٦٩) مخطوط يزد في مكتبة علي علمي . مخطوط مجلس ٣٩٤٩ / ٥٥ سيزكين ٣ ، ص ٨٦ .
(٧٠) مخطوط الاسكوريال ٨٨٨ ، الاوراق ٨٨-٩١ . اولمان ، ص ١٥٧ .
(٧١) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . ويذكر سيزكين ٣ ، ص ١٤٦-١٤٨ عدة كتب اخرى تدخل
ضمن جوامع الاسكندرانيين هي ؛ ثمار كتاب الفرق (مخطوط كوبرلو ٩٦١ / ١ من القرن السادس
لهجرة) ، وثمار الصناعة الصغيرة (كوبرلو ٩٦١ / ٢) ، وثمار كتاب النبض (كوبرلو
٩٦١ / ٣) ، وثمار كتاب جالينوس الى اغلوقن (كوبرلو ٩٦١ / ٤) ، وثمار كتاب
الاسطقسات (كوبرلو ٩٦١) ، وثمار كتاب المزاج (كوبرلو ٩٦١) ، وثمار كتاب
القوى الطبيعية (كوبرلو ٩٦١) .
(٧٢) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . مخطوط مغنيسا ١٧٨١ ، الاوراق ٥٣-١١٦ من السنة ٦٢٥
هـ . سيزكين ٣ ، ص ٢٥٠ . ديتريش ، رقم ١١٠ . اولمان ، ص ١٥٧ .
(٧٣) و (٧٤) و (٧٥) و (٧٦) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥

(٧٧) غراف ٣ ، ص ١٧٣-١٧٦ ، الرقم ١٢ . وقد نشر بعنوان :
Ibn at-Taiyib, Fiqhan-Nasraniya, Das Recht der Christenheit,
von : W. Hoenerbach & O. Spies, CSCO, S. Arab., voll.
16 - 18, Louvain 1956 - 1957.

(٧٨) المخطوطة الفاتيكانيّة العربية رقم ١٥٧ ، الاوراق ٩١-٩٢ ب ، ومخطوط ديار بكر
(كرشوني) رقم ٢/١٥٧ . غراف ٢ ، ص ١٧٦ ، الرقم ١٣ .
(٧٩) السمعاني ٣ ، ١ ، ص ٥٤٧ . ومنه مخطوطة فاتيكانية رقم ١٥٠ ، نشر الاب مرمجي
أسطراً منها :

A.-S. Marmardji, Diatessaron de Tatien, Beyrouth 1935,
p. 44 - 45.

(٨٠) مخطوطة الفاتيكان العربية ٣٧ من السنة ١٢٩١ م ، ورقم ٣٦ من القرن الثالث عشر هـ
الرابع عشر ، ومخطوطة ديار بكر ١٢٨ من السنة ١٣٣٢ ، ورقم ٢٩ من القرن الرابع
عشر ، ومخطوطة المكتبة الوطنية بنابولي رقم ٦٠

J.C.J. Sanders, Ibn at-Taiyib, Commentaire sur la (٨١)
Genese, CSCO, Vol.
275, S. Arab. t. 25, Louvain 1967.

وللاب كوب المخلصي أطروحة باللغة الفلامينية عن سفر التكوين لابن الطيب (لوفان ١٩٧١)
(٨٢) مخطوطة لندنية ، عربية نصراوية رقم ٥٠ (من القرن الثالث عشر ، واخرى رقم ٧٩٣ من
السنة ١١٨٨ م ، ومخطوطة فاتيكانية عربية رقم ٣٥ من القرن الحادي عشر ، واخرى
رقم ٣٩٩ ، واخرى رقم ٥٩٤ ، واخرى ضمن مجموعة ليننغراد ، غريغور الرابع رقم ١٢
من القرن السادس عشر ، وفهرس سباط ١٤٩ ، ومخطوط سمرقند رقم ١٢٩ من القرن الرابع
عشر . انظر مجلة المشرق ٢٣ (١٩٢٥) ص ٦٧٧ . ٢ غراف ٢ ، ص ١٦٥-١٦٦ .
سمير ، بيبولوجرافيا ، ص ٢٠٤ ، ٣ . وقد نشر الاب مرمجي اسطراً قليلة ، ص ٤٥-٤٦ .
(٨٣) مرمجي (الهامش ٧٩) ، المقدمة ، ص ١ ، ثم ص ٨٥-٩٢ . ونشر الاب المذكور
آيات من الفصل العاشر من انجيل لوقا ، ص ٤٩-٥٠

(٨٤) المخطوطة الباريسية العربية رقم ٨٥ من القرن الحادي عشر ، والمخطوطة القاهرية رقم
١٢٨ من السنة ١٢٣٢ م وقد ورد ذكر هذا التفسير في مقدمة (فردوس النصراوية) ، كما

في التاريخ السرياني لابن العبري ، ولدى السمعاني ٣ ، ١ ، ص ٥٤٦ .
(٨٥) مجلة رسالة الكنيسة (مصر) ٤ (١٩٧٢) ، ومجلة Parol de l'Orient

و ٥ (١٩٧٤) . سمير ، ص ٢٠٤ ، رقم ٤

(٨٦) ورد شي* منه في (فقه النصراوية) . السمعاني ٣ ، ١ ، ص ٥٤٧

(٨٧) السمعاني ٣ ، ١ ، ص ٥٤٧ . المخطوطة الفاتيكانية العربية رقم ٢٩ ، الاوراق ١ ب ، ٣٧ .

(٨٨) غراف ٢ ، ص ١٧٠ ، الرقم ٥

(٨٩) سمير ، ص ٢٠٤ ، الرقم ٥

(٩٠) فهرس سباط ١ ، ص ٢٤ ، الرقم ١٥٠

(٩١) سمير ، ص ٢٠٤-٢٠٥ ، الرقم ٦

(٩٢) مخطوطة البودليانا باكسفورد رقم ٢٤٠ ، الاوراق ٩٥ ب - ٩٩ . راجع :

A.F.L. Beeston, An important Christian Arabic Manuscript in Oxford, in *Orientalia Christiana Periodica* 19 ; p. 197 - 205.

Gérard Troupeau, Le traité sur l'unité et la trinité de 'Abd Allah Ibn al-Tayyib, in *Parole de l'Orient* 2 (1971), p. 71 - 89.

(٩٤) مقالة في التثليث لابي الفرج عبدالله بن الطيب المتوفى سنة ١٠٤٣ م ، تقديم وتحقيق الاب سمير خليل اليسوعي ، مجلة بين النهرين ٤ (١٩٧٦) ، ص ٣٨٢ . انظر : سمير ص ٢٠٥-٢٠٦ ، الرقم ٧ .

(٩٥) السمعاني ٣ ، ١ ، ص ٥٤٧ . مخطوطة الفاتيكان ١٤٥ ، الاوراق ٤٨ ب - ٦٩ ب ، البودليانا ٣٨ ٥٥ .

G. Graf, Die Philosophie und Gotteslehre des Jahja ibn 'Ad i und späeterer Autoren, Muenster i, W. 1910, 48-51.

Gerard Troupeau, Le Traité sur la Trinité et l'Unité de 'Abd Allah Ibn al-Tayyib, in *Bulletin d'Etudes Orientales* 25 ; 1972 Damas) , p. 105 - 123

وانظر : غراف ٢ ، ص ١٧٠-١٧٢ ، الرقم ٦ . سمير ٢٠٦ ، الرقم ٨ .

(٩٨) المخطوطة الفاتيكانية العربية رقم ١٤٥ ، الاوراق ٧٠ ب - ٧٣ . غراف ٢ ، ص ١٧٢

الرقم ٧ . سمير ، ص ٢٠٦ ، الرقم ٩

(٩٩) في مجلة صديق الكاهن (المعادي) ١٤ ، ٢ ، حزيران ١٩٧٤ ، ص ١٣٣-١٤٣ ، وذلك بعنوان : مقالة في الاقنيم والجوهر لابي الفرج عبدالله بن الطيب .

(١٠٠)

Gérard Troupeau, Le traité sur les hypostases et la substance

de 'Abd Allah Ibn al-Tayyib, in *Orientalia Hispanica*. . .
F.M. Pareja . . . , curavit J.M. Barral, vol.I, Leyde 1974,
p. 640 – 644.

- (١٠١) غراف ٢ ، ص ١٧١ ، ١٧٢
(١٠٢) المخطوطة الفاتيكانية العربية ١٤٥ ، الاوراق ٦٧ ب - ٧١ ب . البودليانية (اكسفورد
رقم ٢٤٠ ، الورقتان ١٠٤-١٠٥
(١٠٣) الفصول ٨ ، ١١ و ١٩ من مجموع اصول الدين
(١٠٤) غراف ٢ ، ص ١٧٢-١٧٣ ، الرقم ١٠ . سمير ، ص ٢٠٧-٢٠٨ ، الرقم ١١
(١٠٥) السمعاني ٣ ، ١ ص ٥٤٧ . غراف ٢ ، ص ١٧٣ ، الرقم ١١ . سمير ، ص ٢٠٨ ،
الرقم ١٢ .
(١٠٦) السمعاني ٣ ، ١ ، ص ٥٤٧ . غراف ٢ ، ص ١٧٦ . لكثيرك ١ ، ص ٤٨٦-٤٨٧
(١٠٧) ابن ابي اصيبعة ، ص ٣٢٥ . ولعله ما يسميه الشهرزوري (في كمية الاعمار) : نزهة
الارواح ، ٢ ، رقم ١٨ .
(١٠٨) ويكمل ابن ابي اصيبعة قائلا : « وجدت بخط ظافر بن جابر السكري على هذه المقالة
ما هذا مثاله : قال هذه الكراسة بخط سيدنا الاجل ابي نصر محمد بن علي بن برزج تلميذ
الشيخ ابي الفرج املاها الشيخ ابو الفرج ، اطال الله بقاءه ونكب اعداءه ، عليه ببغداد .
وكان السبب في ذلك ظافر بن جابر بن منصور السكري الطيب » (عيون الانباء ، ص
٣٢٥) . ويذكر له الشهرزوري كتاباً في علل الاشياء ، لعله ماورد ذكره ، انظر : نزهة
الارواح ، ٢ ، رقم ١٨ تحقيق د. فؤاد عبد الباقي
(١٠٩) من ذلك مخطوطة الاسكوريال ٨٨٨ ، الاوراق ١٤-٧٦ من السنة ٩٨٥ هـ . لكثيرك
١ ، ص ٤٨٧ . سيزكن ٤ ، ص ٣١٣ .
(١١٠) نحيل انقارى الكريم الى ثلاثة بحوث فيها من البيبلوغرافيا الشيء الكثير وهي تعالج
الموضوع بشكل مباشر وهي : دى لاسي اوليري ، انتقال علوم الاغريق الى العرب ، ترجمة
متى بيثون ويحيى الثعالبي ، بغداد ١٩٥٨ . الشحات السيد زغلول ، السريان والحضارة
الاسلامية ، الاسكندرية ١٩٧٥ . رشيد حميد حسن الجميلي ، حركة الترجمة في المشرق
الاسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة ، طرابلس ١٩٨٢ .
(١١١) ابو الفرج بن الطيب ، تفسير كتاب ايسا غوجي لفرفوريوس ، تحقيق الدكتور كوامي
جيكي ، دار المشرق ، بيروت ، ص ٩-١٠
(١١٢) فقه النصرانية ، ج ١ ، ص ١٩٠-١٩١
(١١٣) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٨٩
(١١٤) الاب سمير خليل ، صفحات من مقالة مفقودة لابن الطيب في مجموع اصول الدين .
لابن العسال ، مجلة بين النهرين ٥ (١٩٧٧) ، ص ٢٥٠-٢٥١

عَقَبَاتٌ مُفْتَعَلَةٌ فِي طَرِيقِ التَّعْرِيبِ

الدكتور جميل الملايكة

(عضو المجمع)

استقطب موضوع التعريب في العقود الثلاثة الأخيرة من السنين اهتمام الكثير من المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية والاستطلاعات ، وكتب فيه من البحوث والمقالات ما تناول جميع جوانبه حتى لم يكد يبقى منه زيادة لمستريد . ومع استمرار ظهور صوت معارض أو مشكك بين الحين والآخر ، تكاد تجمع التوصيات والنتائج التي خرج بها الرصين المستكمل عدته من هذه المؤتمرات والندوات والاستطلاعات على وجوب الشروع والمضي قدما في التعريب ، وإن اختلفت التفاصيل في أسلوب التنفيذ .

وتجدر هنا الإشارة الى أن الأعم الأغلب من هؤلاء المعارضين لم يقولوا بعدم جدوى التعريب . غير أنهم كانوا في كل مرة يناقش فيها هذا الموضوع خلال ثلاثين سنة مضت ، وخلال سنين طويلة قبلها ، يحتجون بضرورة التريث بضع سنوات ريثما تتوفر المصطلحات ، أو ريثما تترجم الكتب أو تؤلف . وهكذا مرت السنوات تلو السنوات واتضح بما لا يقبل الشك أن التريث بعد التريث لا يؤدي الى انجاز شيء وأنه ليس أكثر من أسلوب في التسويف والتعويق والتزاني .

لقد أمر الخليفة المأمون بنقل علوم اليونان والهند الى العربية فلم يقف الترجمة مكتوفي الأيدي ريثما تتوفر المصطلحات ، بل عملوا حثيثا في الترجمة ، وكان أن تحققت في زمنه نهضة علمية عظيمة . وقد أرسل محمد علي في القرن الماضي

البعثات الى فرنسا وكلف الخريجين حال عودتهم الى مصر بتأليف الكتب العلمية باللغة العربية فلم يثيروا مشكلة مصطلحات ، ولم يعتذروا بقصور العربية عن التعبير العلمي ، بل بقيت كتبهم الجليلة التي أنخرجتها مطبعة بولاق في الطب والصيدلة والهندسة والعلوم شواهد على انجازاتهم الرائعة .

وقامت سورية بحملة في التعريب منذ نهاية الحرب العالمية الاولى فلم يمض عامان حتى تم تعريب التعليم في جميع مراحله بهدوء وبدون ضجة ، عدا بعض الكليات العلمية التي طبق التعريب فيها في أواسط الاربعينيات ، ولم يزل كله كذلك حتى اليوم . وقد الف وترجم خلال تلك الحقبة الطويلة عدد كبير من الكتب النفيسة في مختلف حقول المعرفة . ومثل ذلك يقال في الجامعة الاردنية التي تسير التدريسات فيها باللغة العربية وقد نشطت فيها حركة دائبة في اعداد الكتب العربية تأليفاً وترجمة بالتعاون مع مجمع اللغة العربية الاردني .

وسار التعليم العام في العراق منذ بدء الحكم الوطني باللغة العربية وألفت له الكتب الكثيرة واستمر وما زال كذلك منذ اكثر من ستين سنة من دون صعوبة تذكر . ومثل ذلك يقال في تدريس العلوم الانسانية في جميع كليات التعليم العالي في العراق منذ انشائها في ثلاثينيات هذا القرن وأربعينياته . وكان القرار الجريء الذي اتخذته حكومة الثورة في العراق بتعريب تدريس العلوم الصرفة والتطبيقية والتقنية في كليات التعليم العالي ومعاهده ابتداء من العام الدراسي ١٩٧٧ - ١٩٧٨ وما حققه من نتائج باهرة ، دليلاً ناصعاً على بطلان حجج أصحاب الارجاء والتسويف لقد أزم القرار البدء بتدريس صفوف السنة الاولى باللغة العربية في العام ٧٧ - ٧٨ ، وأن يشمل التعريب صفوف السنة الثانية في العام الذي يليه ، وهكذا لم ينقض عام ٨٠ - ٨١ الا وقد أنجز تطبيق التعريب في جميع صفوف الدراسة العالية وتخرجت أولى دوراته . وقد فرض في الوقت عينه تنفيذ برنامج صارم محكم في تأليف الكتب العلمية وترجمتها فتوفر حتى الآن مئات من الكتب الدراسية المقررة

والكتب المساعدة وبعض كتب المراجع ، والعملية مستمرة . ولم يفت الجهات التي خططت للعملية الاهتمام باللغة الاجنبية الحية لضمان الانفتاح على العلوم والثقافة العالمية . ومن ذلك أنها جعلت اللغة الانكليزية العلمية من ضمن المواد المنهجية التي على الطالب دراستها والنجاح في امتحاناتها في السنة الاولى من الدراسة العالية او السنتين الاولىين في بعض الكليات ، وأنها فرضت على الكليات والمعاهد تدريس مادة علمية واحدة باللغة الانكليزية في كل فصل من فصول الدراسة ، وأنها ألزمت الطالب حفظ المصطلح الانكليزي اضافة الى المصطلح العربي لتمكينه من قراءة كتب المراجع والمتابعة العلمية .

لقد أشرفت على التخطيط للتعريب في العراق هيئة عليا حددت القواعد الواجبة الاتباع في التنفيذ ، وأنشئ لذلك مركز لتعريب يتابع العملية مركزياً وينسقها ويضع الدراسات والتقارير ويعد لوائح التشريعات في كل ما يتعلق بالتنفيذ . وألفت لجان علمية في الاختصاصات الرئيسة المختلفة تختار بإشراف المركز المؤلفين والمترجمين من بين مرشحي الجامعات وتسمي كتب الترجمة والتأليف على وفق المناهج المقررة . وألفت كذلك لجان فرعية في الجامعات والكليات والمعاهد لمتابعة العملية التي جرت بانتظام ، وما زالت سائرة كذلك ، في دؤب ذي اتجاه واحد لا عودة فيه ، فهو عين الطريق الذي سلكته عملية تعريب التعليم العام في العراق وتعريب العلوم الانسانية سابقاً .

وأود أن أشير باختصار الى مالمسته في تجربتي الشخصية في هذا الموضوع وأنا أمارس التعليم الجامعي منذ أربع وثلاثين سنة أمضيت ثلاثين منها في تدريس عدة موضوعات باللغة الانكليزية ، ومنها مادة اختصاصي في ميكانيك الموائع ، ومارست تدريسها في السنوات الاربع الأخيرة منها باللغة العربية . لقد وجدت بما لا يقبل الشك أن ما يستوعبه الطالب بسهولة ويسر في ضبطه لمادة المحاضرة الملقاة باللغة العربية يزيد ويربى كثيراً على ما كان يتمكن من استيعابه منها وهي تلقى باللغة الانكليزية ، حتى بات في الامكان التوسع في المنهج واغناؤه بالكثير من

المادة المفيدة . ويصح القول نفسه على السهولة التي يجدها الطالب في قراءة المادة في الكتاب العربي اذا قورنت بما يعانيه في مطالعة كتاب انكليزي وكثرة ما يشكل عليه فهمه من تعابير وتراكيب الغريبة عليه ، فضلا عن مضاعفة الوقت الذي تتطلبه القراءة والمتابعة بلغة أجنبية .

ولو حاولنا أن نستعرض تاريخ بدء الكلام على تعذر التعريب وصعوباته لوجدنا انه لم يبدأ الا في مطالع هذا القرن ، في عين الوقت الذي لاحظ فيه الاستعمار بوادر نهوض الامة العربية بعد سنواتها الطويل وشروعها باصلاح احوالها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية . أفلا يدعو هذا الى الكثير من التأمل والتفكير ؟ لقد قال المشككون بأن المشكلة مشكلة مصطلحات ولا بد من التريث والانتظار الى حين توفر المصطلحات . ومر زمن طويل شغلت فيه الجامعات اللغوية والهيئات العلمية نفسها بوضع المصطلحات حتى أعدت منها الشيء الكثير ، ولكن عملية التعريب لم تنفذ ، وبقيت المصطلحات طي الكرايس والكتب .

واذ عاد الناس يطالبون بالتعريب احتج المشككون هذه المرة بمشكلة جديدة : قالوا لقد تعددت المصطلحات وكثرت ولا بد من التريث ريثما يتم توحيد المصطلحات . وهكذا شغلت الجامعات والهيئات العلمية نفسها ثانية بعملية التوحيد ، وبلغت فيها شأوا بعيدا .

وتعددت الحلقات العلمية والندوات والمؤتمرات تدارس المصطلحات وتعمل على توحيدها وتصدر مجاميع المصطلحات الموحدة . ولكن الامر المهم الخطير الذي بقي ، هو أن المشككين باقرون على الاعتذار بمشكلة المصطلحات وبمشكلة تعدد المصطلحات ومستمررون في الاصرار على التريث في التعريب . انها حقاً لعبة ساذجة ومنمضوكة ، ولكن ما الفائدة من وضع المصطلحات اذا لم تستعمل ؟ وكيف توحد المصطلحات وهي لم تستعمل بعد ؟ ومن ذا الذي يضع المصطلح ويوحده غير أهله من العلماء وأهل العلم ؟ وهل سمع أحد بقطر من أقطار العالم أو أمة من الأمم شغلت نفسها ثلاثين عاما او خمسين عاما في وضع المصطلحات

الدكتور جميل الملائكة

وفي الجدل في المصطلحات وتوحيد المصطلحات لانها على نية استعمال لغتها القومية في التعليم ؟ ان أهل العلم في أقطار العالم هم الذين يصطلحون بالمفردة على المدلول العلمي . والاستعمال وحده هو الذي يوحد المصطلحات وهو الذي يبقى الجيد وينبذ الرديء . أما المجامع وأهل اللغة المختصون في بلاد الله فهم يساعدون في الميهم من هذه الاشياء وهم المرجع فيما يشكل منها .

وثمة اقطار كثيرة تستعمل لغاتها القومية في التعليم وهي ليست أعرق ولا أغنى من اللغة العربية . فهل تلكأت جامعات الصين واليابان وروسيا وهنغاريا والبرتغال وعشرات غيرها من الدول في استعمال لغاتها القومية في التعليم وبقيت تنتظر الى حين قيام المجامع والهيئات اللغوية بتسليمها المصطلحات العلمية الموحدة كاملة غير منقوصة ؟

لقد عبر المشتغلون بعلوم المياه عن المساحة التي تسهم في تجهيز المياه الى نهر بأوجه مختلفة في اللغة الانكليزية . فمنهم من دعاها Watershed ومنهم من سماها drainage area وسماها آخرون drainage basin ودعاها غيرهم catchment area واصطاح بعضهم على تسميتها gathering ground (١) وهي خمسة مصطلحات لمدلول واحد بعينه . فهل كان ذلك حقاً مما اخر مسيرة العلم عندهم او مدعاة لوصف لغتهم بالضعف والخلل ؟ لا أعرف ان ثمة جهة واحدة لها السلطة المطلقة في توحيد هذه المصطلحات ، وكثير غيرها . فمن المعروف ان عندهم الكثير من الجمعيات والهيئات والمؤسسات والاتحادات العلمية والجامعات والمعاهد ومراكز البحث واجهزته

(١) أنظر : هذه المصطلحات في :

“Nomenclature for Hydraulics”

اصدار : American Society of Civil Engineers, New york, 1962

وفي : “A Dictionary of Civil Engineering”

إعداد : John S. Scott, Penguin Reference Books, London, 1967

والدوائر الحكومية والشركات الكبيرة التي تدعم أعمالها بالابحاث والتطوير .
ومسيرة العلم لا يمكن ان تتوقف والمصطلح لا يمكن له ان يتوقف او ينتظر . ولكن
ثمة سلطة واحدة غير منظورة هي التي توحد المصطلح . تلك هي الاستعمال .
فالاستعمال وحده هو الذي يغربل ويختار الافضل في الآخر .

وقد كان مهندسو المياه الانكليز منذ زمن يستعملون مصطلح roughness
أو مصطلح rugosity للدلالة على خشونة سطح يتحرك مائع بازائه . ولكن
الاستعمال هو الذي أزال المصطلح الثاني وأبقى الاول . وكانوا يستعملون مصطلح
hydraulic mean depth للدلالة على حاصل قسمة مساحة القناة على
محيطها المبلول في حين استعمل الامريكيون للمدلول عينه مصطلح hydraulic
radius وقد بقي كلا المصطلحين قيد الاستعمال ردحا طويلا من الزمن
الى أن أزال الاستعمال المصطلح الاول واستبقى المصطلح الثاني .

اننا على أية حال نبالغ في خطورة توحيد المصطلح فنجعل منها مشكلة عويصة
على الرغم من أنها ليست كذلك . لقد قال العرب في أول عهدهم بالترجمة
(الاسطرونوميا) . وبعد أكثر من قرن من الزمان استعاض بعضهم عن ذلك
بمصطلح (الهيئة) في حين استعمل غيرهم مصطلح (الفلك) . وبقي كل ذلك
حيناً من الزمن قيد الاستعمال حتى طغى مصطلح (الفلك) على المصطلحين
الآخرين فأزالهما . فهل أثر كل ذلك في فحوى الموضوع ومادته ومقدار ما أسهم
العرب فيه ؟ واستعملوا مصطلحي (الصنعة) و (الكيمياء) للمدلول واحد مدة من
الزمن ولكن الاستعمال هو الذي أبقى (الكيمياء) وأزال (الصنعة) . ويستعمل
في بعض الاقطار العربية اليوم مصطلح (الطبيعة) في حين يستعمل في أقطار
أخرى مصطلح (الفيزياء) . ولكن هل من المصلحة حتماً أن نستمر في التعليم
بلغة أجنبية كالانكليزية أو الفرنسية وأن نبقي منتظر الى أن تتمكن سلطة جبارة من
ازالة أحد هذين المصطلحين وإبقاء الآخر قبل أن نعرب التعليم . لا بد أن مثل
هذا الانتظار سيطول كثيراً ولا يعود بالفائدة .

وبكر بعض الذين لم يتقنوا العربية ولم يتعرفوا دقائقها اتهامها بالقصور عن التعبير في مجالات العلوم والحضارة. لقد فات هؤلاء أن اللغة العربية أقدر على التعبير العلمي من كثير من اللغات التي آثرها أهلها في الاستعمال على اللغات الأجنبية ، وأنها أغنى في مجالات الاشتقاق والمجاز والقياس من أكثر اللغات الأجنبية الحية .

وقال بعضهم بأنها لم تتطور بعد لكي تصلح لتدريس العلوم المتخصصة . ولكن أني للغة أن تنمو وتتطور لتصبح لغة علمية إذا لم يعمل أهلها على تطويرها وتطويرها لهذه الأغراض بالاستعمال ؟ فالاستعمال وحده هو الذي يكيف اللغة لمقتضيات العلوم ويستحدث المصطلحات للتعبير العلمي ويوحدها على وفق قانون البقاء للانساب .

لو أردنا حقاً تشخيص أهم مشكلات التعريب لوجدناها تكمن في عدم الإيمان بأهمية القضية من ناحية ، وفي تخوف بعض مدرسي الاختصاصات العلمية ، وأكثرهم قد درس بلغات أجنبية ، مما قد يسببه لهم التعريب من عناء في مرحلة الانتقال .

ولسنا هنا في صدد إعادة الكلام على أن التعريب ضرورة قومية وحضارية يحتملها كون لغتنا عماد استقلالنا الفكري والحضاري وأهم مقومات وحدتنا القومية. فقد تكرر ذكر هذه الحقائق حتى لم تعد خافية على أحد أو قابلة للمناقشة . ولكن هذه الضرورة القومية تستلزم أن يبذل لها بسخاء ، وتستدعي من المسؤولين في كل قطر عربي إصدار قرارات حاسمة في التعريب تلتزم هيئات التعليم العسما والتعليم الجامعي والتقني المضي قدماً فيها وبذل كل ما تتطلبه من جهد وطاقات . وحرى بالاقطار التي لم تبدأ تعريب التعليم حتى الآن أن تفيد من تجربة الاقطار التي سبقتها في ذلك ، سواء أفي أساليب التنفيذ أم في الاستعانة بالكتب العلمية العربية التي أصدرتها تلك الاقطار تأليفاً وترجمة ، أم في تبادل الاساتذة معها واستزارتهم منها للافادة من خبراتهم وتجاربهم .

نَفْسِيْ أَمْ نَفْسَانِيْ ؟

الدكتور فخرى الدباغ

(عضو المجمع)

أستسمح أساتذتي اللغويين عذراً إن أقحمت نفسي في مغامرة الحديث والنقاش في موضوع يتعلق بالنسب والنسبة ، وفي إصطلاح محدّد بالذات يهمني لانه من متعلقات ولوازم مهنتي كطبيب نفسي . ولا أدعي أنني من المتمكنين من قواعد اللغة العربية بل من الطموحين الساعين الى الإلمام بطرف منها يُتيح لي الإبحار والتنقل بأمان وسلامة نسبية لا تثير الغضب أو النقد أو الانتقاص من صحة استخدامها .

مركز تحقيق وتطوير علوم ردي

ولعل ما شجعني على الخوض في هذا النقاش (والتساؤل) هو أن اللغة ليست مجرد نحو وصرف وقواعد صماء صارمة ، بل إن جماليات اللفظ وجرس الوزن وسلاسة التعبير هي أمور وعوامل إضافية وحيوية في إعطاء اللغة فصاحتها واضفاء فنون البلاغة والبيان والبديع عايتها . وفي هذا المجال تنطلق القابليات اللغوية للادباء والشعراء والعلماء ، وتتمازج أو تتنافس اجتهاداتهم دون المساس بالاصول والقواعد الأساسية الحيوية والضرورية .

وقد وجدتني أثناء التخصص في موضوع (الطب النفسي) - أو النفسي - وممارسته ، وخلال قراءاتي العربية وكتاباتي فيه أنني أميل الى استعمال اصطلاح ووزن (نفسي) بدل (نفسي) عند الحديث عما يتعلق بعلم النفس وتطبيقاته

وما يطرأ على النفس من تغيرات واحوال مزاجية وسلوكية . لكنني جُوبِئت بمن ينصحني باستخدام اصطلاح (نفسي) لانه أصبح وأقرب الى قواعد النسبة في العربية وأسلم وأقوم لغوياً . وبما أنني أحذر واتجنب مناقشة المختصين . . ، ولان « فوق كل ذي علم عليم » . . ، فقد طاوعت السادة الزملاء والاصدقاء الافاضل . لكنني ما انقطعت عن الفضول اللغوي ، وانسقت وراء الحس الداخلي بدل القاعدة السارية . . ، وحاولت ايجاد الأدلة على أن إصطلاح نفسياني أصلح لفظياً وأدق عامياً ولا يمس بقواعد النسب . وها انذا أحاول بتواضع – وباذن من الاساتذة اللغويين – أن اناقش الموضوع لما فيه من رياضة فكرية وفائدة علمية – لغوية في اختيار المصطلح العلمي المناسب .

قواعد النسب وأغراضه :

في كتب اللغة الشهيرة والكتب المنهجية إيضاحات عن كيفية صياغة النسبة . والتاعدة البسيطة الأولى هي : إضافة الياء المشددة لآخر الكلمة وكسر ما قبلها ، مثلما ورد في بيت الشعر القائل تحقيق كآبوتير علوم ردي

ياء كياء الكرسي زادوا للنسب

وكل ما تليه كسره وجب

فالنسبة الى عراق هي (عراقي) والى نفس (نفسي) والى حرفة (حرفي) . أما ما خالف ذلك فهو من شواذ النسب يحفظ ولا يقاس عليه ، كما ورد في بيت الشعر (المتمم لقصيدة طوية) :

وغير ما أسلفته مقرأً على الذي ينقل منه اقتصر (١)

وقد اعتبر سيويه باب النسبة من باب « الإضافة » للمشابهة بينهما ، كقولنا :

(عمل الغريزة) أو (عمل غريزي) . ويعترض المرحوم مصطفى جواد على ذلك

(١) ابن مالك ، (شرح ابن عقيل) ، ص ٤٩٠ .

استناداً الى ان النسبة لا تطابق الاضافة رغم وجود أوجه شبه بينهما (٢).
وسمى ابن الحاجب النسبة بمعنى الإضافة المعكوسة (٣).
ودخول ياء النسبة تستدعي تغييراً في بعض الكلمات يتناول أكثره آخر الكلمة
من تاء تأنيث أو همزة ممدودة أو حرف علة مثلاً . ويحدث النسب ثلاث تغييرات
أساسية :

- أ - لفظية ب - معنوية ج - حكمية .
- فالتغيير اللفظي يكون باضافة ياء مشددة في الاسم مكسور ما قبلها لتدل على
نسبته الى المجرد منها مثل : مصري وشامي وبصري .
والتغيير المعنوي يصير اسماً للمنسوب . والتغيير الحكمي يجعل من الكلمة
صفة مشبهة في رفعها الظاهر والمضمر باطراد ، كقولنا (زيد قرشي أبوه ، وأمه
مصرية) . ويحذف لغرض إضافة الياء ستة أشياء في آخر الكلمة هي :

 - ١- الياء المشددة (مثل شافعي = شافعي) .
 - ٢- تاء التأنيث (مثل كلمة مكة = مكى) .
 - ٣- الألف الخامسة فتصايد أو الرابعة المتحركة ثاني كلمتها (مثل حباري
للطائر ، ومصطفى = من أهل الصفوة) .
 - ٤- ياء المنقوص الخامسة (مثل المعتدي) ، أو السادسة (مثل المستعلي
والقاضي أو القاضوي) .
 - ٥ و ٦ - علامتا التثنية وجمع تصحيح المذكر علامتين إذا أعربا
(مثل زيدي في النسب الى زيدان وزيدون . وهذا هو القياس السائد في
حالات النسبة (٤) .

- (٢) مصطفى جواد ، (النسبة في العربية) ، المعلم الجديد ، ١٩٤٥ ، ص ٦٨ - ٧٠ .
- (٣) الحملوي ، (شذا العرف في فن الصرف) ، ص ١٢٧ .
- (٤) المصدر السابق .

الاستثناءات في النسبة :

أما الاستثناءات فكثيرة منها :

أ - الاستثناء عن ياء النسب غالباً بصوغ (فاعل) عندما يقصد به صاحب كذا (مثل طاعم وكاس) أي (ذو طعام وكسوة) .
ب - أو بصوغ (فعّال) عندما يقصد به الحرِّف (مثل نجار ، وعطار ، وبناز) .

ج - أو بصوغ (فعِلْ) كطَعِمَ ولَبِنَ (أي صاحب طعام . .) .

د - وقد تصاغ نادراً على وزن (مِفعال) كقطار (أي ذو عطر) ،
و (مِفعيل) كفرس مِحْضِر (أي ذو حُضِر) .

ه - وما خرج عما تقدم ذكره فشاذ ، كقولنا : رقباني (من رقبة) ،
وشعراني (من شعر) ، وفوقاني (من فوق) ، وتحتاني (من تحت) بزيادة
الألف والنون لعظيم الرقبة والفوق وتحت ، ومَرَوَزي (في مرو) بزيادة الزاي ،
وأَمَوِي (في أمية) بفتح الهمزة في أمية بضمها (٥) .

وتخدم النسبة عدة أغراض وتصل إليها مصطلفي الجواد الى أحد عشر : كنسبة
إنسان الى موقع أو الى شيء أو معنى الى معنى ، أو شيء الى انسان . . الخ ، لكنه
لم يحاول خلاف عادته الشهيرة في (قل ولا تقل) أن يتطرق الى شواذ النسب
ويخطئ بعضها . .

صيغة فعلائي :

إن إضافة الألف والنون (ان) قبل ياء النسبة في نهاية الكلمة لاجراج النسبة
مسألة مألوفة وغير نادرة في اللغة العربية . . ، وهي قياسية أحياناً وغير قياسية
أحياناً أخرى . فمن البديهي ان تكون النسبة في كلمة جثمان هي (جثماني) ،
والجثمان يعني (الجسم والشخص) (٦) .

(٥) المصدر السابق .

(٦) القاموس المحيط ، ولسان العرب .

كذلك فان النسبة الى بعض الاماكن الجغرافية تكون بصيغة (فعلاني) كما هي الحال في كلمات : رخمان وثرمان وصوان وردمان التي تصبح رخماني وثرماني وصواني وردماني (٧) . والنسبة الى اسم العلم سلمان هي (سلمانى) والى رضوان (رضواني) .

أما النسب غير القياسي وحالات جواز استخدام صيغة (فعلاني) رغم إمكانية استخدام صيغة (فعلي) فهي أكثر من ذلك . ولعل خير ما نستعمل به من أدلة هو القرآن الكريم حيث وردت كلمة (ربانيون) ثلاث مرات بينما وردت كلمة (ربيون) مرة واحدة (٨) . قال تعالى : « . . ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون » . وعنوان كتاب سيدي عبدالقادر الجيلاني جاء بعنوان (الفتح الرباني والفيض الرحماني) دار الكاتب العربي ، بيروت .

وقيل عن نسبة بعض الاعلام (السّماني) و (السّماني) و (ابن السّماني) و (السهواني) (٩) .

كما وردت كلمات نفسي ونفساني ، وشطّي وشطّاني ، وتحتي وتحتاني ، وبرّي وبرّاني ، وفوقي وفوقاني ، وعقلي وعقلاني ، وجسمي وجسماني ، وروحي وروحاني ، ورقبي ورقباني ، وشعري وشعراني (١٠) . ووردت كلمة نفساني بمعنى نفّرس* ، ونافيس* (أي العاين والحاقد) ، وهي منسوبة الى نفسان (١١) .

(٧) الأزدي ، (جمهرة اللغة) ، ج ٣ ، ص ٤١٦ .

(٨) الآيات الكريمة : آل عمران (٧٩) ، والمائدة (٤٧) و (٦٦) .

(٩) خير الدين الزركلي ، (الاعلام) ، ج ٣ ، ص ١٣٩ - ١٤٢ .

(١٠) لسان العرب .

Lane, Arabic - English Lexicon.

(١١)

نفسي أم نفساني ؟

إن جواز استخدام اصطلاح (نفساني) لغوياً واضح مما تقدم ، إلا أن ما أرمي إليه هو ليس مجرد جواز استعمال المصطلحين (نفسي) و (نفساني) حيثما وأينما شاء الكاتب والباحث ، بل انني أود أن ابين أفضلية اصطلاح (نفسي) على (نفساني) علمياً أيضاً ، وللأسباب الآتية :

أولاً - أن كلمة (نَفْس) تعني أشياء كثيرة ولها مدلولات مختلفة مثل : الروح ، والجراحة ، وعين الشيء ، والعظمة ، والعزة ، والهمة ، والأنفة ، والعيب ، والارادة ، والعقوبة ، والدم ، والجسد ، والعند ، والطويل ، والتفريج ، أي خمسة عشر مدلولاً (١٢) .

وإذا قيل (أصابته نَفْسٌ) أي أصابته عين . وفلان نَفْسٌ ونفساني (١٣) ومن خطبة الامام علي (رض) :
« .. قد وَرَيْتُمْ صدري غيظاً ، وجرعتموني الموت أنفاساً .. » ، أي جرعة جرعة (١٤) .

وفي القرآن الكريم استعمالات بليغة ومختلفة لمداول النفس : كالروح ، وذات الشخص ، ومجمل الشيء . وتوجد ثلاث عشرة آية تتضمن كلمة (نفسي) نذكر منها مثلاً :

« .. قال هي راودتني عن نفسي .. » - يوسف : ١٢
و « .. قال ربي إني ظلمت نفسي .. » - النمل : ٢٧
و « .. وكشفت عن ساقها قال إنه صرح ممرّد من قوارير . قالت ربي إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين .. » النمل : ٤٤ .

(١٢) تاج العروس .

(١٣) الزمخشري ، (اساس البلاغة) ، ج ٢ ، ص ٤٦٤ .

(١٤) الجاحظ ، (البيان والتبيين) ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

و . . قل لا أملك لنفسي ضرراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » - يونس : ٤٩ .

إن الاقتصار على إصطلاح (نفسي) قد يحول ذهن القارئ والسماع الى مدلولات مختلفة فيها بعض اللبس والغموض لما في كلمة نفس من مدلولات متعددة . لكن أهم وأخطر مدلول هو الاحتمال الشديد بان تعني كلمة نفسي النسبة الى ذات الشخص بينما يكون المقصود منها ما يتعلق باحوال النفس وعالم النفس .

ثانياً - إن بعض العلماء والاطباء العرب القدامى من المشاهير وذوي المرجع والعمدة (إن لم يكن أغلبهم) قد استعملوا اصطلاح (نفساني) بدل (نفسي) للدلالة على احوال النفس وأمراضها وعلومها وصناعة الطب فيها . فقد استعملها الرازي وابن سينا وحنين ابن اسحق وآل بختيشوع (١٥) . وقد ورد في المقالة الرابعة من كتاب (العشر مقالات في العين) لحنين بن اسحق (ص ١٣٣) مثلاً :

« . . وأما العادة فتكون في ستة أشياء : أولها الهواء . . الخ ، والثاني الحركة والسكون . . ، والثالث الغذاء وعدمانيته . . الخ ، والسادس الآلام النفسانية أعني عوارض النفس . وأما النوع فهو القوة . والقوى ثلاثة : النفسانية والحيوانية والطبيعية . فاما القوى النفسانية فقد أخبرنا بانواعها في القول في طبيعة الدماغ » .

كذلك استخدم حنين اصطلاح (الروح النفساني) (١٦) . كما ورد اصطلاح (الصيدلية الربانية) و (التدبير النفساني) في كتاب (جهاز مقالة) للنظامي العروضي السمرقندي (١٧) . وورد في (القاموس المحيط) وفي (قاموس دوزي) و (لين) اصطلاحات : (روح نفساني) و (كلام نفساني) و (حظ نفساني)

- (١٥) ابو سعيد بن بختيشوع ، (رسالة في الطب والاحداث النفسانية) .
 (١٦) حنين بن اسحق ، (العشر مقالات في العين) ، ص ٧٧ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٤٣ .
 (١٧) السمرقندي ، النظامي العروضي (جهاز مقالة) ، ص ٧٦ ، ٧٨ .

و (نفساني) (١٨) . فالدفع بكون بعض علماء وفلاسفة العرب لا يجيدون أو يكثرثون كثيراً بقواعد اللغة العربية غير مبرر هنا لان الكلمة ليست مترجمة أو أجنبية . ولم تخضع لاجتهادات لغوية ، بل نستدل من كثرة استعمالها بصيغة (فعَلاني) أنها كانت سائدة ومقبولة مستساغة ومفهومة جيداً في تلك الحقب التاريخية .

ثالثاً : ويميل بعض علماء النفس والتربية العرب المعاصرين استعمال اصطلاح (الطب النفساني) و (العلاج النفساني) و (الطبيب النفساني) بدل النفسي ، مثل الدكتور أحمد فؤاد الأهواني والدكتور تجاني الماحي ، والاستاذ حامد عبدالقادر . ومن المفيد ذكر ما تقدم به حامد عبدالقادر الاستاذ بكلية دار العلوم وعضو الجمعية الفلسفية المصرية (سابقاً) في كتابه (العلاج النفساني) حول أفضلية صيغة نفساني على نفسي ، إذ يبدو من تلك المقدمة مبلغ حماسه لاستعمال هذه الصيغة ، ربما لنفس الأسباب التي ذكرتها في أول المقال ، إذ يقول :

« . . . وليس لأحد من علماء العربية أن يستنكر كلمة نفساني بحجة أن النسبة الصحيحة هي نفسي كما يقضي به القياس . ولست أزعـم أن هذه النسبة جارية على القياس ، ولكنني أقرر أنها سماعية صحيحة مألوفة لها نظائر كبيرة : ألا ترى أنهم يقوون روحاني وجسماني ورباني وصمداني ونوراني ؟ .

ثم إنني أفضل في هذا المقام نفساني على نفسي إذ قد يفهم من العلاج المنصّب على النفس مع أن الغرض هو العلاج بواسطة النفس ، سواء اكان المعالج هو النفس أو الجسم . وقد يفهم من النفسي أيضاً (الذاتي) ، ويكون الغرض الطريقة التي يتبعها طريقة جثمانية (أي مادية) أم كانت نفسانية أو روحانية مع أن الغرض هو العلاج بواسطة النفس بقطع النظر عن يتولى العلاج . وهذا وهذا الاصطلاح افضل أيضاً من (شفاء النفس) أو (دواء النفس) لأسباب

لا تخفى على الباحث المحقق . فتمشياً مع اسلوب القدماء ودفعاً للبس آثرت هذه التسمية إذ لا يفهم منها إلاّ العلاج بوسائل نفسية بقطع النظر عن المرض ...» (١٩) فاصطلاح (نفساني) إذن ليس من بدع ومستحدثات العلم المعاصر ، ولا من نتاج الحضارة الحديثة المتهمة باغفال التراث اللغوي .

رابعاً - وختاماً أقول أن إضافة الالف والنون الى بعض الكلمات ذات المدلول العقلي والعلمي يضيف عليها خصيصة تميّزها عن النسبة الاعتيادية . وهكذا أجد في اصطلاحات نفساني وعقلاني وروحاني وجسماني ريناً وعمقاً تجردياً يفوق ما توحى به كلمة نفسي وعقلي وروحي وجسمي . ولا أحسب أنني بحاجة الى دفاع أكثر . واستعين بما قاله (أبو عثمان) من أن « ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب . . » لأن هذه الكلمات هي فعلاً من كلام العرب وليست دخيلة عليه ، وهو ليس من عجالات واجتهادات العصر الحديث .

إن لكل اصطلاح وصيغة موقع وبلاغة وموسيقية . واستلطاف الاذن (وهي أذن العقل) له مع عدم مساسه بالقاعدة والاصول يبرر استعماله دون تردد . فانا لا أماحك أو أغالط ، بل أعترف وأؤيد بان اصطلاح (نفسي) له واقعه الضرورية أيضاً ، وان اصطلاح (نفساني) مقبول أكثر في المواضع الدالة على الأحداث والأمراض والعلاجات والتغيرات التي تطرأ على النفس وتدور حولها أو بواسطتها . . .

وأختتم حجتي بما جاء في كتاب مجالس العلماء لأبي القاسم الزجاجي (ت ٣٧٧هـ) نصاً وذلك فيما نقل عن أبي محمد اليزيدي تلميذ الخليل بن أحمد ان الخليفة العباسي المهدي سألّه بحضور الكسائي «كيف نسبوا الى البحرين فقالوا : بحراني أو الى الحصنين فقالوا حصنيني فأجاب اليزيدي : لو قالوا بحري لالتبس فلم يدرَ النسبة الى البحرين أم الى البحر فزادوا ألفاً ونوناً للفرق بينهما كما قالوا في النسب الى الروح روحاني» (٢٠)

(١٩) حامد عبدالقادر ، (العلاج النفساني) ، ص ٥ .

(٢٠) الزجاجي (مجالس العلماء) ط ١ ، ص ٢٨٨ ، ١٩٦٣ .

قيام الحكم الأيوبي في اليمن

من سنة ٥٦٩ هـ - ٥٧١ - ١١٧٤ - ١١٧٦ م

الدكتور محمود ياسين التكريتي

تمهيد :

تمكنت الدولة الايوبية من توسيع حكمها في مصر وذلك منذ سنة ٥٦٩ هـ - ١١٧٤ م ومن المعروف انها بدأت منذ وفاة نور الدين آل زنكي ، فهي وريثة حكمه في كل من مصر وبلاد الشام والجزيرة ، ومدينة الموالاتة الى الخليفة العباسي في بغداد ، ولم يمض ربع قرن من الزمن تقريباً على قيامها حتى اصبحت مترامية الاطراف من برقة بافريقية غرباً الى الموصل وبلاد الجزيرة شرقاً ومن سواحل الشام ومصر شمالاً حتى مكة واليمن جنوباً وفي الوقت نفسه كان الوطن العربي بأمس الحاجة الى قوة سياسية توحد بين انظمته المتباينة ، والمتعددة ، وبالنظر الى الأخطار الخارجية التي تحيط بالعرب والمسلمين وبخاصة خطر القوى الصليبية لهذا فان قيام هذه الدولة كان تلبية لواقع المرحلة التاريخية التي يمر فيها الوطن العربي خاصة والعالم الإسلامي عامة . وذلك لامتتع اغلب قادتها بالترعة الوجدانية الى جانب قيادتهم حركة تحرير الارض من المحتلين ومما يعكس هذا تمتع بعضهم بفهم وادراك لروح العصر ومبادئه السائدة وخاصة الملك صلاح الدين يوسف مؤسس دولتهم .

فاذا كان هذا دور بني ايوب على الصعيد السياسي فان دورهم في البناء الحضاري واضح ، لمساهمتهم في التطور الذي حصل في الحضارة العربية اذ اتضح ذلك تاريخياً خلال حكمهم .

لقد اقترن عاما ٥٦٨ هـ - ١١٧٣ م ، ٥٦٩ هـ - ١١٧٤ م من حكم الايبيين بتوجيه حملتين عسكريتين ، الاولى قصدت المغرب العربي بقيادة قراقوش مملوك تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين ^(١) تهدف كما ذكر « لتحقيق ما يشاع عن ثروة بلاد المغرب » وكما يقال ان تقي الدين عمر كان يبحث عن جهة يستقر بها ، ^(٢) ومهما تعددت دوافع الحملة فان دافعها الاله هو تحقيق هدف استراتيجي واقتصادي معا تمثل في تأمين الحدود الغربية لمصر من غارات القبائل العربية التي تعيش في الصحراء الغربية يبرز دور صلاح الدين وبعد نظره في فن الحرب حين أدرك ان الصحارى هي دروع مصر الطبيعية كما وسعت من قاعدة حكمه في مصر بانضمام الاراضي السابقة واخيراً فانها حققت اسمى هدف هو الوحدة كما وفرت للدولة الجديدة « الايوبية » عمقاً استراتيجياً باتجاه المغرب العربي واستطاع قائد الحملة قراقوش ملك الكثير من البلاد في افريقية ما خلا المهديّة ^(٣) وسفاقس ^(٤) وقفصة ^(٥) وتونس وما ولاها من القرى والمواضع ^(٦) وضمن الاستراتيجية التي خطط لها صلاح الدين في توفير حماية كبرى لحدود دولته في مصر فقد توجهت الحملة العسكرية الثانية في شهر رجب من سنة ٥٦٩ هـ - ١١٧٤ م الى اليمن بعد ان وقع اختيار صلاح الدين عليها ^(٧) .

- (١) عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم بن الأثير : الكامل في التاريخ : ١١ : ٣٨٩ شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل القدسي المعروف بابي شامة : : الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية : الجزء الاول ، القسم الثاني ٥٤٧ ، ٥٤٨ .
- (٢) نظير حسن سعداوي : التاريخ الحربي في عهد صلاح الدين الايوبي ٤١ .
- (٣) المهديّة : موضعان احدهما بافريقية والآخر اختطه عبدالمؤمن بن علي قرب سهلا ويراد بها هنا (مهديّة تونس التي اختطها المهدي سنة ٣٠٠ هـ) راجع ياقوت : معجم البلدان ٢٩٩/٤ .
- (٤) سفاقس : مدينة من نواحي افريقية جل غلاتها الزيتون وهي على الساحل : ياقوت : معجم البلدان ٢٢٢/٣ (ط دار صادر) .
- (٥) قفصة : بلد صغيرة في اطراف افريقية من ناحية المغرب من عمل الزاب الكبير بينهما وبين القيروان ثلاثة ايام : ياقوت معجم البلدان ٣٨٢/٤ .
- (٦) ابن الأثير : الكامل ١١ ، ٣٨٩ ، ابو شامة : الروضتين ج ١ ق ٢ ٥٤٨ .
- (٧) علي بيومي : قيام الدولة الايوبية في مصر ١٨٧ .

أ - دوافع الحملة :

الدوافع السياسية والاقتصادية :

اختلفت آراء المؤرخين في تحديد الاسباب التي دفعت صلاح الدين الى فتح اليمن فقد ذكر ابن ابي طيء ان السبب في خروج شمس الدولة الى اليمن يعود الى « انه كان كريماً جواداً وكان اقطاعه لا يقوم ولا ينهض بمروءته »^(٨) واتفق ان انتظم في ملكه وخدمته وهو بمصر الشاعر نجم الدين أبو محمد عمارة بن الحسن اليمني^(٩) واختص بمدحه فاذا ما خلا به كان يصف له بلاد اليمن وكثرة اموالها وخيرها وضعف حكامها فمدحه مرة بقصيدة يحرضه فيها على ملك اليمن ومما جاء فيها :

العلم مذ كان محتاج الى العلم فشفرة السيف تستغني عن القلم^(١٠)
كما نراه في الوقت نفسه يقدم لنا سبباً آخر فيقول « كاتبه رجل من أهل اليمن شريف يقال له هاشم بن غانم اطعمه في المعاونة لأن صاحب اليمن عبدالنبي كان قد اعتدى على هذا الشريف هاشم فأعلم شمس الدولة اصحابه بعزمه على اليمن فأجابوه فتجهز^(١١) .

ان ما قدمه بن ابي طيء لا يكفي ان يكون سبباً أساسياً لتوجيه الحملة الى اليمن فحاجة شمس الدولة ابن ايوب الى الاموال وذلك بحجة ان اقطاعه في مصر لا يكفي لسد حاجته تلك هي التي دفعته بأن يقود عسكره ويتوجه الى اليمن ، وكل ما يمكن ان نسأله بهذا الصدد اليس من السهل عليه ان يطلب

(٨) ابو شامة : الروضتين ج ١ ق ٢٠٢ ٥٥٢ (نقلا عن ابي طيء) .

(٩) انظر عماد الدين ، للاصفهاني : خريدة القصر وجريدة العصر : قسم شعراء الشام ٣ : ١٠١ .

ابن الأثير : الكامل ج ١١ ٤٠٠ - ٤٠١ ، سبط ابن الجوزي مرآة الزمان ق ٢ ج ٣٠٢٨ .

(١٠) انظر عمارة اليمني : النكت المصرية في اخبار الوزارة المصرية : ٣٥٢ - ٣٥٣ ، ابو شامة :

الروضتين : ق ٢ ج ١ ٣٥٢ - ٣٥٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ١ : ٢٣٨ ، الحنبلي : شفاء القلوب ٥٠ - ٥١ .

(١١) ابو شامة : الروضتين ق ٢ ج ١ : ٥٥٤ (نقلا عن ابن ابي طيء) (ان حاجة شمس الدين للاموال قد تكون احدى العوامل التي دفعت الى حكم اليمن ولكن لا تكون هي العامل المهم .)

قيام الحكم الايوبي في اليمن

من أخيه زيادة اقطاعه ؟ ويطلب منه الاموال ليستعين بها على وجوه صرفه وخاصة اذا علمنا ان صلاح الدين كان لا يضيّق على أسرته في أمور كهذه^(١٢) فضلاً عن أن الحملة لم تكن من فكرة تورانشاه بن ايوب وحده بل هي جزء من الاستراتيجية للدولة الايوبية بدليل ان صلاح الدين تعود ان يدعو رجال أسرته وكبار امرائها الى مناقشة مثل هذه الامور قبل البدء في تنفيذها^(١٣) فليس من السهولة ايضاً ان يستسلم الى رأى بمجرد ان عرضه عليه شاعره عمارة اليمني يقضي بفتح اليمن وربما كان على علم مسبق بما كان عمارة يفكر به وكما هو معروف ان عمارة كان من انصار الفاطميين ودولتهم وكما قيل « انه كان تواقاً الى ابعاد شمس الدولة عن مصر لكي تضعف قوة الايوبيين فيها وعندها تتاح الفرصة امام بقايا الفاطميين بمصر في التحرك للتعبير عن رغباتهم باعادة دولتهم وبعثها من جديد^(١٤) بما فيه أحياء الخلافة الفاطمية ويكشف عن مثل هذا الامر ما أقدم عليه جماعة من الفاطميين للتآمر على صلاح الدين في القاهرة سنة ٥٦٩ هـ آذار - نيسان ١١٧٤ م ومن بينهم عمارة ابن أبي الحسن اليمني الشاعري بعد اتفاقهم مع اموري ملك بيت المقدس وسانان رئيس الحشيشية ووليم الثاني ملك صقلية على غزو مصر من ناحيتهم في حين يكون دورهم القيام بثورة داخلية في القاهرة حين غياب صلاح الدين

(١٢) انظر علي بيوي : قيام الدولة الايوبية ١٨٨ .

(١٣) للتعرف على مثل الاجتماعات التي كان يعقدها صلاح الدين مع اهله وامرائه واستشارتهم وأخذ رأيهم في الأحداث السياسية فمثلاً نراه يجتمع بهم ويستشيرهم حول ما عزم عليه نور الدين محمود على قصده واخذ مصر منه سنة ٥٦٧ هـ من اجل الاستزادة ، راجع ابن الأثير : الكامل ٣٧٢/١١ - ٣٧٣ ، ابو شامة : الروضتين ٣ ج ١٩/٥ ، ابن واصل : مفرج الكروب ٢٢١/١ - ٢٢٣ .

(١٤) راجع الدور التآمري لعمارة اليمني والفقواطم ، من المصريين ضد صلاح الدين بالتفصيل ابن الأثير الكامل ٤٩٨/١١ - ٤٠١ ، ابو شامة : الروضتين ٢ ج ١ - ٥٦٤ - ٥٦٧ سبط ابن الجوزي مرآة الزمان ق ١ ج ٨/٣٠٤ و : Lane pool saladin, P. 124 - 126

الدكتور محمود ياسين التكريتي

عنها^(١٥) إلا ان المؤامرة كشفت بعد ان عرف صلاح الدين اقطابها وتحقق منهم فاعترفوا له فأمر بصلبهم مما سهل له أمر مواجهة المتآمرين الآخرين . تتفق بعض المصادر على سبب آخر لفتح اليمن فتذكر انها كانت بإشارة من الخليفة العباسي وعلى اثر استغاثة امراء اليمن به من اعتداءات عبدالنبي بن مهدي لسوء سياسته وتصرفه فكتبوا رسالة الى الخليفة ببغداد شكوا فيها اليه امره فلما وصلته طلب بدوره الى السلطان نور الدين محمود^(١٦) ان يرسل احدا من قبله للتحقيق في الشكوى التي رفعها اهل اليمن مما دفع نور الدين الى الكتابة الى صلاح الدين ليجرد عسكره الى قتال عبدالنبي بن مهدي^(١٧) وتلبية لهذا الامر وجه صلاح الدين حملته العسكرية الى اليمن ليملكها ويقطع دابر الفتن فيها^(١٨) وهنا لا بد من الاشارة الى سبب آخر لسير الحملة الى اليمن هو خوف صلاح الدين من اخيه تورانشاه لكونه

(١٥) سعدوي : التاريخ العربي : ٤٢٢ تحقيق قاسم عودم ردي

(١٦) ذكر ابن الاثير ان صلاح الدين هو الذي استأذن نورالدين في ان يسير بعسكره الى اليمن ليفتحها فأذن له بذلك ، ويكشف لنا هذا ان اهل اليمن راسلوا صلاح الدين وليس الخليفة العباسي ببغداد ، ومع هذا فاننا لا نعثر على نصوص تاريخية اخرى تشير الى ما كان يستهدفه الخليفة العباسي من وراء طلبه بتجهيز الحملة ولكن يمكن القول انه اراد تعزيز نفوذ الدولة العباسية في اليمن لانها كانت في خلاف سياسي وفكري مع نفوذ الدولة الفاطمية - يراجع ابن الاثير : الكامل ٣٩٦/١١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ٢٣٨/١ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى : ٣٨٦/٤ ، الفسائي : المسجد المسبوك ١٨١/١ .

(١٧) انظر بهذا الصدد ، أبو محمد عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد ابي مخرمة تاريخ ثغر عدن ١٢٧/١ - ١٢٨ ط ليدن / ذكر هذا التعليق ابو مخرمة نقله عنه المؤرخون الآخرون راجع : ابن خلكان : وفيات الاعيان : ١ : ٧٧٣ ، ابو الضياء عبدالرحمن بن علي الديبع الشيباني الزبيدي : قرة العيون : ٣٧٤/١ ، بغية المستفيد في اخبار مدينة زبيد : ورقة / ٢٩ (مخطوطة) ، يحيى بن الحسين بن القاسم : غاية الاماني في اخبار القطر اليماني ٣٢٢/١ق .

(١٨) ابو الفداء : المختصر : ٦٤/٣ .

اكبر منه واحق بالملك منه ولهذا اقدم على ابعاده الى اليمن تخاضعا منه (١٩) .
واخيرا يبقى سبب سياسي آخر ربما يكون هو الذي دفع صلاح الدين الى القيام
بالحملة وهو خوف صلاح الدين وأهله من نور الدين محمود حينما عزم السير
الى مصر واخذها منهم فاستقر الرأي ان يملكوا بلاد النوبة او اليمن فاذا ما وصل
اليهم لقوه وصدوه (٢٠) .

ان ما سبق قد يكون سببا مقبولا الى حد ما ولكن بعد صلاح الدين الجغرافي
من نور الدين لا يمنع انتقام الأخير منه فيما اذا اراد ذلك لان نور الدين يملك
من القوة السياسية والعسكرية ما يكفي لردعه الا انه اكتفى بما قدمه صلاح
الدين من عذر منطقي تبدد على اثره خوفه وخوف أسرته من نور الدين بعد وقوع
الجفوة بين الاثنين (٢١) . ولدينا سؤال هنا يجب طرحه لماذا جدد صلاح الدين
حماته الى اليمن سنة ٥٧٧ هـ - ١١٨١ م بقيادة اخيه سيف الاسلام ظهير الدين
طغتكين (٢٢) بعد زوال خوفه من نور الدين : وان كل ما ذكر بانها جهزت
بسبب الخلاف الذي وقع بين نوابه في اليمن ومع ذلك قد لا يكن هذا وحده
المبرر المقبول كما لا يصح ان تربط هذه الحملة بالسبب نفسه لحماته عام ٥٦٩ هـ
- ١١٧٤ م ومع هذا فان المعروف عن نور الدين انه توفي سنة ٥٦٩ هـ ، أي

- (١٩) ذكر ابن تغري بردي لنا هذا التعليل استنادا على ما ذكره مؤرخون آخرون كسبط ابن الجوزي
ولهذا فان هذا التعليل لا يمثل كل الحقيقة للدافع الرئيسي للحملة ، انطلاقاً من كون أن الدولة
الايوبية لم يستقر نظامها السياسي وادارتها بعد وكما لا يزال هناك نور الدين محمود سلطان مصر
والشام ولم يكن لصلاح الدين اليد المطلقة للتصرف بملك مصر او غيرها بالاضافة الى ان صلاح
الدين كان يحترم اخاه فيقدمه على نفسه وان حكم تورانشاه في بلاد اخيه صلاح الدين وامواله
نافذ ، وعلى الرغم مما اشيع عنه انه (تورانشاه) كان احق منه بالملك : انظر ذلك في ابن الاثير
الكامل : ١١ : ٤٦ ابن خلكان : وفيات : ١ : ٢٧٣ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان :
ق ١ ج ٨ / ٣٦٢ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة : ٦ : ٨٧ الحنبلي شفاء القلوب : ٥٠ .
(٢٠) ابن الاثير : الكامل : ١١ / ٣٨٦ - ٣٨٧ ، ابو شامة : الروضتين : ق ٢ ج ١ / ٧١٦ - ٢١٧ .
ابن شداد : سيرة صلاح الدين / ٢٢ ، المقرئ : السلوك : ق ١ ج ١ / ٥٢ .
(٢١) وقعت تلك الوحشة بين الطرفين سنة ٥٦٧ هـ .
(٢٢) ستعرف على سير تلك الحملة وهدفها .

قبل الحملة الثانية بسنوات ولم يكن لدى صلاح الدين ما يخفيه حتى يعسكر في اليمن لتكون موطناً له ولاهله في المستقبل فضلاً عن حاجته الى كل جندي لمنازلة الصليبيين في هذه الفترة (٢٣) . . . وهكذا فان معرفة الاسباب لحملة صلاح الدين الى اليمن بقيت غامضة عند المؤرخين ، المعاصرين من المسلمين. يتضح لنا مما سبق ان صلاح الدين اراد تحقيق غرض استراتيجي وهو تأمين حدود مصر الجنوبية حيث تعد اليمن مكمة جغرافيا لمصر في ذلك الوقت وخاصة ارتباطها مع اليمن من جهة البحر الاحمر ومن « الواضح ان صلاح الدين حاول بعد ان استقر في مصر ان يفتح ملحقاتها ويؤمن حدودها ويؤيد ذلك حملاته الحربية على الشوبك والكرك واياة وبرقة والنوبة » (٢٤) وعليه فان هدف الحملة كان لتأمين حدود مصر الجنوبية من الناحيتين الحربية والتجارية مفتاح البحر الاحمر الذي تطل عليه الحبشة المسيحية ويحتمل ان صلاح الدين توجس خيفة من تسرب الفكرة الصليبية في هذا البحر جنوباً الى الاحباش فيصير محاطاً بنارين احدهما على سواحل البحر المتوسط والاخرى على سواحل البحر الاحمر (٢٥) وحدث ما توقعه صلاح الدين فعلاً عندما قام الأمير ارنات صاحب الكرك سنة ٥٧٧ هـ - ١١٨١ م بحملته المشهورة قاصداً تيماء ومنها الى مدينة النبي (ص) (٢٦) وذلك للاستيلاء على تلك النواحي وعلى الرغم من عدم ثبوت مثل ذلك الاتصال او التحالف بين الصليبيين والاحباش (٢٧) ولكن لو تم انتصار ارنات على العرب

(٢٣) سعداوي : التاريخ الحربي / ٤٢ - ٤٣ .

(٢٤) علي بيومي : قيام الدولة الايوبية : ١٨٩

(٢٥) سعداوي : التاريخ الحربي ٤٣ .

(٢٦) ابن الأثير : - الكامل : ٤٧٠/١١ ، ابو شامة : الروضتين ق ٢ ج ٢٣٦/١ وابن واصل :

مفرج : الكروب ١٠٢/٢ .

(٢٧) انما يؤيد وجود اتصال سابق بين الحبشة والصليبيين وعلاقة ذلك بحملات صلاح الدين الى بلاد

النوبة واليمن من جهة وخوف صلاح الدين من الحبشة من جهة اخرى ما يكشف لنا سعداوي

بقوله « منها طلب الملك الصالح طلائع بن رزيق من اسامة بن منقذ قيادة حملة عسكرية ضد

الحبشة لانه سبق وان زار مصر اواخر الدولة الفاطمية فعاد الى بلده شيزر بالشام فراسله ابن =

قيام الحكم الايوبي في اليمن

لحدث مثل هذا ولكانت النتائج على مصر والوطن العربي وخيمة ، الا ان انتصار صلاح الدين انهى كل احتمال وتوقع . . وعليه فإن حماية اراضي مصر هي التي شغلت فكر صلاح الدين ودفعته لانشاء دولة ايوبية مستقبلا تتطلب منه توسيع وزيادة الرقعة الجغرافية التي تشغلها دولته لتكون في مأمن وحماية كاملة من الأعداء وبخاصة من الشمال حيث غارات الفرنجة والصليبيين ومن الجنوب حيث سيطرة الاحباش وبقايا الدولة الفاطمية والخوارج .

الدوافع الاقتصادية : -

لا يمكن اغفال اهمية اليمن الاقتصادية سواء بما يتعلق بأموالها وكثرة خيراتها او اهميتها التجارية وقد لفت ذلك نظر الايوبيين فكان لاشارة عمارة اليمنى الوضوح في اهمية اموالها حينما وصف اليمن للملك تورانشاه بن ايوب عندما اشار عليه بفتح اليمن (٢٨) .

وما يؤكد تلك الاهمية قول تورانشاه الى افراد عسكره عندما ملك مدينة عدن وارادوا نهب البلد « ما جئنا لنخرب البلاد وانما جئنا لنملكها ونعمرها وننتفع من داخلها » (٢٩) وهذا يكشف لنا حاجتهم الى الاموال ومدى امكانية الاستفادة منها في حروبهم وتمشية امور دولتهم الجديدة .

أما من الناحية التجارية فيمكن ان نشير الى مدينة عدن حيث اشتهرت في كونها مرفأ على البحر ولها مرسى عظيم وهي فرضة للهند والزنج والحبشة وعمان وكروان وكيش وفارس (٣٠) وفي ضوء ما احتلته اليمن من اهمية بحرية وتجارية

= رزيق يعرض عليه الاقطاع بمصر ويخاطبه بقيادة الحملة فمنعه نور الدين محمود سلطان الشام وما يشير الى استمرار الخوف من الحبشة في ذهن صلاح الدين « راجع سعداوي : التاريخ العربي : ٤٣ - ٤٤ بالاعتماد على اسامة بن منقذ : الاعتبار : ٢٥ : المقريري : السلوك ج ١ ق ١ ص ٤٨ .

(٢٨) راجع ابوشامة : الروضتين / ق ٢ ج ١/٥٥٢ ابن واصل : مفرج الكروب : ٢٣٨/١ - ٤٠

(٢٩) ابن الأثير : الكامل ٣٩٧/١١

(٣٠) نفس المصدر السابق

اهتم الايوبيون في تنظيم تجارتها ومنذ ان فرضوا سيطرتهم على البحر الاحمر وقد دفعهم الى ذلك التنظيم رغبتهم في استقرار التجار الكارمية (٣١) ونموهم في تلك المناطق الاسلامية (٣٢) كما استهدفوا من وراء ذلك تحقيق هدف سياسي هو ابعاد سيطرة الافرنج على النشاط التجاري والبحري في البحر الاحمر اذا اعتبروا طريق البحر الاحمر ومصر ايسر الطرق وارخصها لجلب التوابل وبيع الشرق النافعة في الاسواق الاوربية (٣٣).

لقد وقع مثل ذلك الصراع بين العرب والافرنج من اجل السيطرة على البحر الاحمر وتجارة اليمن وتكشفها لنا مكاتبة صلاح الدين الى اخيه العادل سنة ٥٨٧ هـ اذ يخبره فيها انتصار عساكره ضد الطامعين من الافرنج (٣٤) كما بعث رسالة اخرى الى الخليفة العباسي الناصر لدين الله المستضيء ابو العباس بن احمد في بغداد يخبره فيها عن الاغراض التي استهدفها الافرنج وهي الاستيلاء على قلعة ايلة الواقعة على البحر الاحمر والوصول الى سواحله والسيطرة عليه لان بلادهم مجاورة له فضلا عن رغبتهم في قطع الطريق امام الحجاج المسلمين ومنعهم للوصول الى مكة المكرمة (٣٥) واخيرا استهدفوا (تجارة اليمن) . واكارم عدن ويلم بسواحل الحجاز (٣٦) ويمضي حتى يخبره بانتصار البحرية العربية عاينهم بحرا وخيول

(٣١) الكارمية (Kuararima) وهي لفظة امهرية تفيد معنى الجبهان وتعرف بالعراق اليوم بالهيل وهو تابل من التوابل التي اشتغلوا بالتجارة فيها ثم صحفت هذه الكلمة واصبحت كارم واطلقت على التجار ومن اجل الاطلاع راجع : صبحي لبيب : التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى (مقالة منشورة في المجلة التاريخية المصرية) : ص ٦ مجلد ٤ عدد ٢ لسنة ١٩٥٢ م القاهرة .

(٣٢) راجع المرجع السابق ص ٧

(٣٣) راجع عن محاولة الافرنج في السيطرة على البحر الاحمر ، ابو شامة ، الروضتين ج ٢ ص ٥٣ - ٣٧ .

(٣٤) انظر الرسالة في : ابي شامة : الروضتين ج ٢/٣٦ طبعة دار الجيل بيروت

(٣٥) راجع المصدر السابق : ج ٢/٣٧ وكذلك راجع عن هذه الاحداث المقريري الساوك ج ١/٧٨/٩

(٣٦) ابو شامة : الروضتين ، ج ٢/٢٧ .

قيام الحكم الايوبي في اليمن

العرب برا ويعدد للخليفة الغنائم التي حصل عليها العرب في حروبهم على الافرنج .

ان ما سبق يكمل الصورة ويوضح الحقيقة للدوافع الحملة الايوبية الى اليمن وعليه تكون الدوافع الاقتصادية لفتح اليمن لا تقل اهمية عن الدوافع السياسية بل نستطيع القول انها تداخلت مع تلك العوامل لترسم معا صورة الواقع الحقيقي للحملة في بعض جوانبها وهيأت الفرصة لقيام الحكم الايوبي في اليمن واستمراره ونستطيع ان نتلمس ذلك من خلال استقراءنا للنصوص التاريخية السابقة .

ب- سير الحملة :

ومهما كانت الاسباب التي دفعت صلاح الدين الى فتح اليمن فالمهم انه اخضعها الى حكمه ووقع اختياره لقيادة الحملة على اخيه الاكبر تورانشاه بن ايوب ، وكانت الخطوة التالية لانجاح الحملة ان اطلق غلة قوص لمدة سنة وكانت اقطاعه وقدر ارتفاعها مئة الف دينار لسنة ٥٦٩ هـ - ١١٧٤ م وزوده فوق ما كان في نفسه^(٣٧) وذلك من أجل توفير الأموال اللازمة للحملة ومن اجل انجاح مهمتها . وخرج بصحبته جماعة من الامراء^(٣٨) يقديرون بألف فارس^(٣٩) فضلا عن سيره من فرسانه وسلكت عساكره البر والبحر في مستهل رجب من سنة ٥٦٩ هـ فوصل هو وقواته الى مكة المكرمة فزار الكعبة بصحبة اميرها بعد ان خلع عليه وعلى اصحابه وطيب قلوبهم ، أقر اميرها في منصبه^(٤٠) ثم اتجه الى اليمن برا فوصلها حتى دخل اراضيها بدون مقاومة تذكر^(٤١) وقد استقبله الشريف هاشم بن غانم الساماني

(٣٧) ابو شامة : الروضتين : ق ٢ ج ١ / ٥٥٤ ، الحنبلي : شفاء القلوب : ٥٠ - ٥١ .

(٣٨) كان من بين الامراء الذين رافقوا الحملة امراء بني رسول وهم خمسة رجال كان لهم الجلالة والوجاهة في الديار المصرية واليهام تنسب الدولة الرسولية ؛ راجع علي بن الحسن الخزرجي :

العقود اللؤلؤية : ٢٨ / ١ - ٢٩ .

(٣٩) قدر عدد الفرسان يحيى بن الحسين ، بثلاثة الاف فارس . انظر يحيى ابن الحسين غاية / ٢٢١

(٤٠) ابن الاثير : الكامل : ٣٩٦ / ١١ - ٣٩٧ ، ابو شامة : الروضتين ٢ ج ١ / ٥٥٤ ،

ابن خلكان : وفيات الاعيان / ١ / ٢٧٣ .

(٤١) سعادوي : التاريخ الحربي المصري : ٤٤ ، بيومي قيام الدولة الايوبية : ١٨٩ .

الدكتور محمود ياسين التكريتي

وجميع الأشراف من بني سليمان ، وجموع كثيرة من أهل اليمن (٤٢) وبعد الاستقبال بدأت عملية تصفية الحساب مع امراء اليمن ممن أبدوا مقاومة لجيش الأيوبيين ومعارضة لحكمهم الجديد .

اتبع تورانشاه في حرب اليمن خطة عسكرية عرفت بمواجهة اعدائه متفرقين الى جانب استعماله المباغته العسكرية ، وكان اول همه توجيه الضربة الى زبيد حيث يتحصن في داخلها اميرها عبدالنبي بن مهدي متولياً قيادة سكانها للحرب مما اضطر معه شمس الدولة الى فرض الحصار حول سورها (٤٣) فاذا ما قاتلهم لم يثبت امامه وفتح البلد عنوة فملكه والقي القبض على عبدالنبي بن مهدي وزوجته المدعوة بالحره فأخذه اسيراً وسلمه الى احد امرائه المسمى سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ من امراء شيزر في الشام (٤٤) كما تم الاستيلاء على امواله (٤٥) .

ان سقوط زبيد يمثل الخطوة الاولى للحكم الايوبي في اليمن كما عبر عنه سقوط مملكة ابن مهدي (٤٦) وزوال نفوذ المهديين (الاسرة المهديية) (٤٧) اذ من

- (٤٢) ابو شامة : الروضتين : ج ٢ / ٥٥٤ .
(٤٣) ابن الأثير : الكامل . ٣٩٦/١١ ، ابو شامة : الروضتين ج ٢ / ٥٥٤ .
(٤٤) ابن الاثير . الكامل : ٣٩٧/١١ ، ابو شامة : الروضتين : ج ١ ق ٢ / ٥٥٤ الذهبي / تاريخ الاسلام : / ٤ م ورقة (٤٥٤) نسخة دار الكتب المصرية رقم (٣٩٦) .
(٤٥) راجع سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان / ج ٨ ق ١ / ٣٠ ، ابن خلدون : التاريخ ٣٨٧/٣٠ ، القلقشندي : مآثر الانافة : ٥٤/٢ .
(٤٦) انظر ابن الدبيع الشيباني : الزبيدي : قرة العيون : ٣٧٣/١ ، بغية المستفيد/ ورقة ٢٩ (مخطوط) حسين بن احمد العرشي : بلوغ المرام في شرح مسك الختام ٤١ (نشره الاب انستاس الكرمللي) - القاهرة ١٩٣٦ م - حسن سليمان : تاريخ اليمن السياسي : ٢٥٢ .
(٤٧) المهديون (الاسرة المهديية) حكمت الاسرة المهديية من سنة ٥٥٤ هـ - ٥٦٩ هـ / ١١٥٩ م - ١١٧٣ م في زبيد ، وحكم من هذه الاسرة ثلاثة امراء فقط وهم علي بن مهدي ، ومهدي بن علي ، وعبدالنبي بن مهدي الذي كان ثالث حكام الاسرة بل الأخير . انظر : Lane Poole . Mohammadun danasties : P, 95 وقد نقلها منه جمال الدين الشيال محقق الروضتين ، راجع ابو شامة الروضتين / ج ١ ق ٢ / ٥٥١ (هامش ٦) ، ابن واصل مفرج الكروب ٣٨/١ (هامش ١) .

قيام الحكم الايوبي في اليمن

المعلوم ان عبدالنبي ملكهم مات في الاسر وما ان استقرت الأحوال السياسية في مدينة زبيد وتأكد شمس الدولة من اذعان اهلها للحكم الجديد حتى باشر في اقامة الخطبة العباسية وتنظيم الادارة فيها^(٤٨) ، ومما لاشك فيه ان الحملة حققت هدفاً مباشراً للعباسيين اذا اعادت اليمن الى تبعيتها السياسية .

كانت الخطوة الثانية من حكم تورانشاه في اليمن هي توجيه الحملة العسكرية الى عدن حيث تولى الحكم فيها بقية لملك آل زريع وكان حاكمها ياسر بن بلال بن جرير المحمدي ، ورث ملكها من ابيه بلال بن جرير ، وهو نائب آل زريع . بعدن^(٤٩) ولما وصل عسكر الايوبيين الى عدن^(٥٠) لم يستطع دخولها في بادئ الأمر ، وذلك لما تمتاز به من موقع حصين فهي من جهة البر من امنع البلاد واحصنها^(٥١) في حين يحيط بهذا البحر من الجهات الثلاث الاخرى . وما ان سمع صاحبها بقدوم شمس الدولة حتى اسرع هو الآخر الى لقائه فاذا دارت المعركة بينهما هزم عسكر عدن ففسح المجال امام الجيش الايوبي بالانسياح الى داخل المدينة والاستيلاء عليها وبهذا سقطت ثاني مدن اليمن بل ثاني اماره فيها هي اماره عدن وانهار معها حكم آل زريع^(٥٢) .

لقد اخطأ حاكمها ياسر بن بلال بن جرير في تقدير الموقف العسكري مع جيش بني ايوب ، فهو لم يحسن التصرف عن طريق الاستفادة من حصانة

(٤٨) ابن الاثير ٣٩٧/١١ ، ابو شامة ، الروضتين : ج ١ ق ٢/٥٥٤ ، الزبيدي ، بغية المستفيد : ورقة ٢٤ .

(٤٩) ابن خلدون . التاريخ . ٢٨٧/٣ ، ابن الديبع ، بغية المستفيد : ورقة ٢٩ ، وكل ما ذكر عن ياسر بانه كان مولى الداعي محمد ابن ابي السعود بن زريع وهو آخر من تولى من الدعاة أبو معرمة ج ١ : ٤٦ ، جمال الدين ابي الفتح يوسف بن يعقوب ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ، والمعروف بتاريخ المستبصر : ١٢٧ .

(٥٠) ابو شامة : الروضتين / ج ١ ق ٢/٥٥٤ .

(٥١) ابن الاثير : الكامل ٣٩٧/١١ .

(٥٢) ابن الاثير : الكامل ٣٩٧/١١ ، ابن خلدون : التاريخ ٣٨٧/٣ .

ومنعة المدينة (فلو تحصن في داخلها واقام بها ولم يخرج عنها) (٥٣) لتغير الموقف العسكري ، وانقلب النصر الى هزيمة ، وتقهر العسكر الايوبي خائبا ، فكانت نتيجة اللقاء ان ملك بنو ايوب عدنا ووقع ملكها ياسر بن بلال اسيرا بايديهم ، ومعه انتهى حكم آل زريع (٥٤) وسقوط امارتهم .

وسلك تورانشاه سياسة طيبة مع سكان عدن فعندما اراد الجند نهب المدينة منهم وقال «ما جئنا لنخرب البلاد وانما جئنا لنملكها ونعمرها وننتفع من دخلها» (٥٥) وعندما دخلت عدن تحت السيطرة الايوبية رحل شمس الدولة عنها باتجاه زبيد اذ اتخذ قرارا يتضمن اخضاع ما بقي فيها من القلاع والحصون التي لا تزال تعود ملكيتها الى عبد النبي بن مهدي كقلعة تعز (٥٦) وقلعة التعكر (٥٧) والجند (٥٨) وغيرها (٥٩) وقيل انه فتح ثمانين حصنا ومدينة وقيل انه لما قتله سير نواب القلاع مفاتيحها اليه وهي احدي واربعون حصنا (٦٠) .

لم يغب عن ذهن شمس الدولة تورانشاه بن ايوب الاستيلاء على صنعاء فتوجه اليها بعد ان فرغ من قلاع وحصون زبيد فوصلها في المحرم من سنة ٥٧٠ هـ - ١١٧٤ م

(٥٣) ابن الأثير : الكامل / ٣٩٧/١١ ، ابن واصل : مفرج الكروب / ٢٤٢/١ .
(٥٤) آل زريع : وهم آل زريع بن العباس بن المكرم ولاة عدن نسبتهم من همدان ثم من جشم بن اصبها ، راجع ، ابو مخرمة / ٤٠/١ .

(٥٥) راجع - ابن الأثير : الكامل / ٣٩٧/١١ - ٣٩٨ ، ابن واصل . مفرج الكروب / ٢٤٣/١
اما الدافع في منع تورانشاه بن ايوب الجند من نهب عدن فانه اراد ان يحقق هدفين هما كسب ود الرعية وتأييدهم لحكمه الجديد ، الى جانب الاستفادة من دخلها واموالها ليمزز موقفه ، ذلك الحكم .

(٥٦) تعز : قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورات : ياقوت : معجم البلدان : ٣٤/٣ .
(٥٧) التعكر : قلعة حصينة باليمن من مخلاف جعفر مطة على ذى جيلة : ياقوت : معجم البلدان : ٣٤/٢ .

(٥٨) الجند : جبل باليمن هكذا ذكره ياقوت : معجم البلدان / ١٧٠/٢ .
(٥٩) ابن الأثير : الكامل / ٣٩٨/١١ ، ابن واصل : مفرج الكروب / ٢٤٣/١ : (مر بنا ذلك سابقاً) .

(٦٠) الزبيدي : بغية المستفيد ، ورقة / ٢٢٩ الحنبلي : شفاء القلوب / ٥٢ .

وضمنها الى ملكه وبهذا استطاع ان يصفي الحساب مع المعارضة .
 ان اشهر ما عرف به حكمه بانه ملك اكثر بلاد (٦١) فاحسن السياسة
 مع اهل البلاد وكسب ودهم ونال طاعتهم بالعدل والاحسان ومما يؤكد هذا هو
 عودة زبيد الى احسن احوالها من العمارة والامن والاستقرار ، كما نتج عنه ثراء
 الكثير من سكانها (٦٢) . ثم اتخذ منها مركزا لحكمه الا انه استوخم هواءها
 فسار في الجبال ومعه الاطباء يتخير مكانا صحيح الهواء للسكنى فوق اختيارهم
 على تغز فاختط هنالك مدينة واتخذها مركزا لملكه ولماوك بني ايوب من بعده (٦٣) .
 استمر اتصال الملك تورانشاه باخيه الملك صلاح الدين وما ان اتم سيطرته
 على اليمن نراه يكتب الى اخيه من اليمن يخبره بانتصاراته ، فكتب الملك الناصر
 صلاح الدين الى نور الدين محمود يخبره بما افاض الله عليه من الاحسان بملك
 البلاد فأرسل نور الدين من عنده مهذب الدين ابا الحسن علي بن عيسى النقاش
 الى الخليفة العباسي في بغداد يخبره بفتح اليمن (٦٤) .
 وعلى مدى سنتين من حكم الملك شمس الدولة تورانشاه بن ايوب استقرت
 الحالة السياسية باليمن ولم يظهر ما يشير الى ضعف حكمه الا تحرك صاحب
 حضرموت (٦٥) . ضده ولكنه استطاع التصدي له وقتله وعاث شخص آخر
 يسمى هارون في تلك البلاد ، مما دفعه ان يجري بعض التعديلات في ادارته ،
 فولى مملوكه ياقوتا تغز (٦٦) وجعل اليه امر الجند كما ولي قلعة تعكر الى مملوكه
 قايماز ، وعندها قرر العودة الى مصر وترك حكم اليمن .

- (٦١) ابن شداد : سيرة صلاح الدين : ٤٦ ، ابن الأثير ، الكامل : ٤٦٨/١١ ، الخزرجي
 العقود اللؤلؤية : ٢٩/١ ، يحيى بن الحسين : غاية الاماني / ٣٢٧/١ .
 (٦٢) ابن الأثير : الكامل / ٣٩٨/١١ ، ابن واصل : مفرج الكروب / ٢٤٣/١ .
 (٦٣) ابن خلدون : التاريخ : ٣٨٧ ، الزبيدي / بغية المستفيد ورقة ٢٩ .
 (٦٤) ابو شامة : الروضتين / ج ١ ق ٢/٥٥٥ - ٥٥٦ .
 (٦٥) حضرموت : ناحية واسعة شرقي عدن بقرب البحر : ياقوت ٢/٢٧٠ .
 (٦٦) ابو شامة : ج ١ ق ٢/٦٦٥ سبط ابن الجوزي / مرآة الزمان / ج ٨ ق ١/٢٣٥ .

الدكتور محمود ياسين التكريتي

اجتمعت عدة اسباب دفعت بالملك تورانشاه الى ان يترك اليمن منها انها لم تطب له حيث سثم الإقامة^(٦٧) فيها كما حمله الشوق الى رؤية اخيه الملك الناصر صلاح الدين وهو في الشام فضلاً عن رغبته في ان يلتقي مع ملوك الشام ويجتمع بهم^(٦٨) في وقت كان القاضي الفاضل يكتب اليه الرسائل الفائقة ويودعها شرح الاشواق مما اثار به الشوق والحنين الى الشام^(٦٩) فغادر اليمن حتى وصل دمشق في شهر ذي الحجة من سنة ٥٧١ هـ^(٧٠) ثم غادرها الى لقاء صلاح الدين فأدركه بمدينة حماه فتعانقافي المخيم بالميدان وسر السلطان بلقائه^(٧١) وذكرانه كتب الى اخيه السلطان صلاح الدين من الطريق حينما خرج من اليمن يخبره بوصوله^(٧٢) وكان يستأذنه وضمنه شعرا من قول الشاعر بن المنجم المصري مطلعها^(٧٣)

الشوق اولع بالقلوب وأوجع
ويعمضي حتى يقول : -

وإلى صلاح الدين اشكو انني من بعده مضى الجوانح موجع^(٧٤)
وبقي مقيما عنده حتى ولاه دمشق واعمالها والشام وامره بان يكون في وجه
الافرنج لانه خاف مكاتبة اهل حلب لهم وكما هو معروف عنهم^(٧٥) الا انه

- (٦٧) الحنبلي : شفاء القلوب / ٥٣ .
(٦٨) ابو شامة : الروضتين / ج ١ ق ٢٦٣ .
(٦٩) راجع اليافعي . مرآة الجنان / ٤٠٤/٣ .
(٧٠) ابن شداد : سيرة صلاح الدين / ٥٢ ، ابو شامة . الروضتين / ج ١ ق ٢٦٥/٢ ، في حين ذكر ابن الأثير انه قدم الى دمشق في شهر رمضان من سنة ٥٧١ هـ / والصحيح انه وصلها في بقية شهر ذي الحجة من نفس العام (ابن الأثير حوادث سنة ٥٧١ هـ) .
(٧١) ابن واصل : مفرج الكروب / ٤٨/٢ .
(٧٢) الحنبلي : شفاء القلوب / ٥٣ ، يحيى بن الحسين : اخبار القطر اليماني / ٢٥/١٠ .
(٧٣) الشاعر ابن المنجم المصري . هو الشاعر نثري الدولة علي بن المفرج المنجم ، ت ٦٣٠ هـ .
الاصبھاني ، الخريدة ، قسم شعراء مصر / ١٦٨/١ .
(٧٤) ابن الأثير الكامل / ٤٣٤/١١ ، ابن واصل . مفرج الكروب / ٤٨/٢ - ٤٩ .
(٧٥) ابو شامة : الروضتين / ج ١ ق ٢٦٥/٢ ، كان مثل ذلك التحالف قائماً بين الأتابكة والافرنج منذ سنة ٥٧١ هـ / مفرج الكروب / ٣٨/٢ ، عبدالفتاح عاشور / الحروب / ٧٤٧/٢ .

قيام الحكم الايوبي في اليمن

رحل عن الشام قاصداً مصر سنة ٥٧٤ هـ - ١١٧٨ م ^(٧٦) فطلب من اخيه الاسكندرية على ان تكون اقطاعاً له ، فاجابه الى ذلك فاقام فيها الى حين وفاته في شهر محرم سنة ٥٧٦ هـ - ١١٨٠ م ويبدو انه استمر في الاحتفاظ بسلطته على اليمن حتى وفاته حيث ذكر انها كانت له اكثر اليمن ونوابه تحمل اليه الاموال من زبيد وعدن وما بينهما من البلاد والمعاقل ^(٧٧) وبقيت بيده الى ما بعد خلافة المستضيء ^(٧٨) ومع ذلك كله فلو استمر شمس الدولة مقيماً باليمن يتولى شؤونها السياسية بنفسه لتمكن للحكم الايوبي ان تثبت اركانه ولم يتمكن الحكام والنواب الخروج من تبعيته السياسية والادارية ، ولدينا نص تاريخي يكشف لنا كيف هابه ملوك اليمن وسكانها فيذكر انه حين هم شمس الدولة بمغادرة اليمن الى مصر تناقل الناس حديثه فاستغل الامر رجل يقال له عباس وهو صهر ياسر بن بلال بن جرير المحمدي صاحب عدن الذي كان بينه وبين ياسر عداوة فاراد عباس ان يوقع بخصمه فافتعل كتاباً على لسان ياسر وزور عليه علامته وعنونته الى زيد بن عمرو بن حاتم صاحب صنعاء يذكر فيه ان شمس الدولة سائر الى اخيه صلاح الدين وذلك لضعف حكمه في اليمن ويحرضه فيه على الامتناع من تسليم الاموال اليه ، فوقع الكتاب بيد شمس الدولة فلما وقف عليه استدعى ياسراً واستجوبه عما فيه فانكر كتابته وتوقيعه ودافع عن نفسه فلم يصدقه شمس الدولة فأمر بقتله فقتل بين يديه صبراً وعلى اثرها هابه ملوك اليمن وحملوا اليه الاموال وحلفوا له على الطاعة ^(٧٩).

بقي الملك تورانشاه طيلة الفترة التي مكث فيها باليمن تابعاً الى اخيه صلاح الدين

(٧٦) ابن عبدالحى الحنبلي . شذرات الذهب / ٣ / ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٧٧) ابن الأثير . الكامل / ١١ / ٤٦٨ - ٤٦٩ ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية / ٢٩ / ١ : الفسائي : المسجد المسبوك / ١ / ١٨١ الحنبلي : شفاء القلوب : ٥٣ ، يحيى بن الحسين : اخبار القطر اليمني / ١ / ٣٢٧ ، ابن العبري / تاريخ مختصر الدول / ٢١٨ .

(٧٨) انظر القلقشندي : مآثر الانافة : ٥٤ / ٢ - ٥٥ .

(٧٩) ابو شامة : الروضتين / ج ١ / ٢ / ٤٦٣ - ٤٦٤ .

الدكتور محمود ياسين التكريتي

يوسف بن ايوب ، ولم يبد منه اي تصرف سياسي او اداري يعكس لنا بانه حاول الاستقلال عن مصر والشام بل على العكس من ذلك اذ حمله الشوق والحنين ورؤية اخيه صلاح الدين الى ترك اليمن ومغادرتها والاجتماع بأخيه في الشام .

السياسة الايوبية في اليمن بعد وفاة الملك تورانشاه بن ايوب :

غادر الملك شمس الدولة تورانشاه اليمن الى الشام سنة ٥٧١ هـ - ١١٧٦ م ، تاركاً فيها نوابه وهم الامير سيف الدولة ابو الميمون مبارك بن كامل بن منقذ على زبيد والتهائم ، وعثمان بن علي الزنجيلي على عدن وتوابعها ومملوكه ياقوت التعزى على تعز واعمالها (٨٠) ومظفر الدين قايماز على جبلة ونواحيها (٨١) اما الامير سيف الدولة ابن منقذ (٧٢) فقد استأذن الملك شمس الدولة تورانشاه بالعودة الى الشام على ان يعفيه من منصبه واذن له فاستتاب اخاه خطاب بن منقذ في زبيد (٨٣) .

ولما توفي الملك شمس الدولة وقع الخلاف بين نوابه كما اعلنوا شق عصا الطاعة للحكم الايوبي وامتنعوا عن دفع الخراج ، وضرب كل منهم سكة باسمه ومنع اهل بلده ان يتعاملوا بغيرها الا مظفر الدين قايماز فانه عجز عن ضبط مخالف ذي جبلة . فنهض اليه عثمان الزنجيلي من عدن طامعاً في بلاده فتسلمها وتوجه

(٨٠) ابو شامة : الروضتين / ج ١ ق ٢٦٤/٢ - ٦٦٥ ابن واصل : مفرج الكروب / ١٠٢/٢ - ١٠٣

(٨١) ابو مخرمة : تاريخ ثغر عدن / ٢٣٨/٢ ، الزبيدي . قرة العيون / ١ ق ٣٨٣ يحيى بن الحسين : غاية الاماني : ٣٢٦/١ .

(٨٢) الامير سيف الدولة ابن منقذ من امراء شيزر ولد بالشام سنة ٥٢٦ هـ وتوفي سنة ٥٨٩ هـ .

خرج بصحبة الملك شمس الدولة الى مصر وظل يقيم فيها الى حين وفاة شمس الدولة سنة ٥٧٦ هـ

وفي ٥٧٧ هـ - قبض عليه صلاح الدين وودعه السجن على اثر وشاية ثم اطلق حتى توفي بمصر سنة ٥٨٩ هـ راجع : العماد الاصبهاني : الخريدة : قسم الشام : ٢٢٣/١ ابن واصل :

مفرج الكروب / ١٠٣/٢ - ١٠٤ ابو مخرمة تاريخ ثغر عدن / ٢ ق ٦٩ . (ويضيف الزبيدي

انه من امراء الدولة الصلاحية بمصر شاعراً) قرة العيون : ١ ق ٣٨٣ .

(٨٣) ابن واصل : مفرج الكروب / ١٠٣/٢ .

الى حضرموت فنهبها ثم رجع الى عدن^(٨٤) كما استفلحت الفتنة بين خطاب ابن منقذ - والي زبيد - وعز الدين عثمان ابن الزنجيلي ، والي عدن - عندما سمعا بوفاة الملك المعظم واخذ كل واحد منهما يسعى في فرض سيطرته على بلد الآخر^(٨٥) واستمرت بينهما الفتن فلما علم السلطان صلاح الدين بذلك خاف ان يخرج اليمن من حكم بني ايوب ، فارسل عسكرياً بقيادة الامير صارم الدين خطاب وحمله كتاباً الى الامراء يأمرهم به ان يسيروا معه الى قتال خطاب بن منقذ واخراجه من زبيد ، وما ان وصل حتى بدأ الامراء يفدون اليه ، فسار بهم الى زبيد في وقت كان خطاب قد هرب منها فدخلها واعادها الى السيطرة الايوبية الا ان الامير صارم الدين خطاباً مات^(٨٦) مما سهل على خطاب بن منقذ ان يعود الى امارته بزبيد واقطاعه ، فاطاعه الناس^(٨٧) وهكذا عادت زبيد واعمالها الى خطاب في حين بقي عثمان الزنجيلي يخطط للايقاع به فلم يستطع^(٨٨) وما ان تسربت اخباره الى صلاح الدين وما حل باليمن من فتنة بسببه ، قرر ان ينتدب اخاه الملك سيف الاسلام ظهر الدين طغتكين للقائه والقضاء على دابر الفتنة في اليمن^(٨٩) واتعود اليمن من جديد تحت الحكم الايوبي .

وعليه فان قيام الدولة الايوبية في اليمن كان يمثل ضرورة من ضرورات الحكم الايوبي وان امتداد سيطرتهم الى الاراضي الواقعة جنوب مصر باتجاه البحر الاحمر الى اليمن والحجاز كانت تفرضه حاجة دولتهم العسكرية الى توفير مزيد من الاراضي ترابط عليها عساكرها وتملك من فوقها حرية التحرك العسكري لقتال

(٨٤) الزبيدي : قرة العيون ٣٨٤/١/ الخرجي : العقود اللؤلؤية/١/ ٢٩ ، غاية الاماني في اخبار القطر اليماني : ٣٢٦/١ .

(٨٥) ابن الاثير : الكامل : ٤٧٢/١١ ، ابو شامة : الروضتين ٢٦/٢ طبعة دار الجيل ط٢/ ١٩٧٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب ١٠٤/٢ .

(٨٦) راجع الزبيدي : بغية المستفيد : ورقة ٣١/ (مخطوط)

(٨٧) ابن الاثير : الكامل ٤٧٢/١١ ابن واصل مفرج الكروب ١٠٤/٢ .

(٨٨) الزبيدي . قرة العيون : ٣٨٦/١ .

(٨٩) ابن الاثير الكامل : ج١/ ٨٠ : مفرج الكروب ١٠٥/٢ .

الخارجين والمتآمرين على قيم ومبادئ الامة . خاصة وان حكم هذه الدولة في مصر قد نشأ وسط انظمة سياسية متباينة بعضها أزيل في حكم قوتهم العسكرية وجهود زعامتهم كالدولة الفاطمية في حين بقيت القوى السياسية الاخرى في الشام والجزيرة تهدد كيان الدولة الجديدة في مصر وتتآمر عليها كقوة الفرنج في ساحل الشام ومصر وبالتعاون مع الصليبيين الى جانب القوى المحيية من الدول والامارات الاسلامية في بلاد الشام والجزيرة حيث يتمتع غالبية زعماء تلك الدول بالترعة الشخصية ولذا اصبح لوجود انظمتهم وسط دولة بني ايوب او على حدودها الاقليمية الوهمية خطرا يهدد وجود الامة ومبادئها في الوحدة والتحرير .

ان خلق نوع من التجانس الفكري اصبح الاساس والمنطق لدولة صلاح الدين الى الوحدة بعد وفاة نور الدين محمود سنة ٥٦٩ هـ - ١١٧٤ م والتي ينتظرها بنو ايوب والمسلمون وقد وجدها فعلا في سياسة صلاح الدين ومن خلال قيادته للجماهير . وعلى مدى ما حققه من انتصارات في مصر والشام والجزيرة خلال حكمه الذي امتد من سنة ٥٦٩ هـ - ٥٨٩ هـ

لقد ارتبطت اليمن العربية في تلك السياسة منذ ان حكمها بنو ايوب سنة ٥٦٩ هـ - ١١٧٤ م ان طبيعة الاوضاع السياسية فيها يختلف نسبياً عن بلاد الشام والجزيرة ففي البلاد الاخيرة وقفت الجماهير الى جانب صلاح الدين فقاتلت تحت قيادته الا فرنج الصليبيين في حين سرت الاطماع الشخصية والترعة القبلية التي اتسم بها حكم نوابه عساكر اليمن وجماهيرها باتجاه رفع شعار المعاداة لحكمه بل كان له دور في تحديد هوية الحكم وقد اتضح ذلك جليا من الصورة التي عكسها حكم تورانشاه بن ايوب في اليمن وبمجرد عودته من اليمن الى مصر عادت الفوضى السياسية والعسكرية وانتقض نوابه ضد حكمه وقد تجاوز بعضهم ذلك الى التلويح بشعار الاستقلال .

ان رد الفعل هذا لدى بعض نواب بني ايوب في اليمن وضع السلطان صلاح الدين امام الحقيقة السياسية الثابتة وهي ان ليس بالامكان ادارة شؤون اليمن

قيام الحكم الايوبي في اليمن

السياسية والادارية من مصر او الشام عن طريق نوابه بل لا بد من استخدام القوة العسكرية فهي الكفيلة بازالة كل مظاهر التردد والانقسام ولهذا قرر ارسال اخيه الملك سيف الاسلام ظهير الدين طغتكين على رأس حملة عسكرية لحسم الموقف وانتزاع زمام المبادرة من العناصر المنشقة ذات النزعة القبلية والاطماع الشخصية وقد نجح في ذلك اذ استطاع الاخير ان ينقذ الحكم الايوبي في اليمن من الضياع فجاء ذلك سنة ٥٧٧ هـ - ١١٨١ م حينما اعلن ذلك بنفسه لتعود اليمن الى حكمه وبعمله هذا وفر لدولته عمقاً استراتيجياً من الجنوب وباتجاه البحر الاحمر والحجاز .



آراء وأنباء

من ألفاظ الحضارة

هذه طائفة من الألفاظ الحضارية الدخيلة ، التي تجري بها الألسنة أو تدور في بعض الكتابات اليوم ، منسوقة على الحروف . وهي مما رصدته لجنة اللغة العربية ، أو مما ورد على المجمع من دواوين الدولة ، فتوفرت على درسها ، ووضعت ما يقابلها من فصيح العربية ، لتحل محلها ، وتدرأ بما وضعت عوادي الاستعجام الذي عب عبابه وطني .

وسنوالي نشر أمثال هذه الألفاظ الدخيلة ، وغيرها من أوضاع جديدة ، تباعاً في الأجزاء الآتية .

واللجنة اذ تضع هذه الأوضاع الجديدة أمام أنظار المعنيين باللغة العربية الحراس على سلامتها ، ونفي الزيغ والفساد عنها ، ترحب بما يلاحظونه عايتها ، أو يرونه خيراً مما ارتأته أو قررته ؛ التماساً للأفضل ، وتفضيلاً للأصح على الصحيح ، وللصحيح على غيره .

محمد بهجة الأثري

(مقرر اللجنة)

المصطلح المتداول

اوضاع اللجنة

(أ)

أتوماتيكي	ذاتي الحركة
أتوماتيكية	ذاتية الحركة
أتيلية (١)	(١) شغل (٢) مَفَن
أرْدُفُر (٢) « غذائية »	لهنة (يضم فسكون ففتح)
أرشف	مَضْبَرَة (بفتح الميم) « ج : مضابر »
أرضي شوكي (أرتشوك كاتالانا)	خرشوف قطالونية
« غذائية »	
أزبرى متنوعة « غذائية »	توت أرضي متنوع
أسباراكوس بارد « غذائية »	هليون بارد
أسباراكوس مع صلصة هولندية « غذائية »	هليون بمرق هولندي
استراتيجية	سَوَق - سَوَقِيَّات
إستندرد	قياسي
استنسل	ورق مشمع
أكسيد يَلَوُ (oxide yellow)	أصفر الأكسيد
أكاديميك (academic)	(١) جامعي (٢) مجمعي (٣) علمي
أكاديمية (academy)	مَجْمَع
أكريلك	أكريل
ألْسنة اسكارلاتا « غذائية »	لسان « اسكارلاتا »
إمبريال	تسلطي

- (١) فرنسية « atelier » لها عند الفرنسيين مدلولان : الشغل ، وموضع الشغل ، ويقابل ثانيهما بالعربية (المفن) بفتح الميم والفاء وتشديد النون.
(٢) ما يتعمل به قبل الغذاء .

المصطلح المتداول

أوضاع اللجنة

إمبريالية (imperialism) ^(١)	تسلطية
أمولشن فاتح (emulsion) « صناعية »	مُستَحْلَب ^(٢) ناصع
إمولشن غامق « صناعية »	مُستَحْلَب أَدُكَن
أنتراكون (براد وفيرد) « غذائية »	خاصرة عِجَل (براد وفيرد)
إنتليجنسيا (intelligentsia)	مفكرون
أوكسيد « كيميائية »	أكسيد
أوكسيد الزنك « كيميائية »	أكسيد الزنك
أيدولوجية (ideology)	(١) مَذْهَب (٢) مذهبية
آيس كريم « غذائية »	مُثَلِّج
إِشارب (echarpe)	شَرْب (ج : شُرُوب)

(ب)

برينة	بريمة (مِثْقَب لولبي)
پستين (piston)	مكبس
بسكويت (لاتيني) (biscuitus)	بِسْكِيْت
بصمة الأصابع	طبع الأصابع
بف	نقش
بكرة	بَكْرَة
پلاستيك	لَدِينَة (ج : لدائن)
بلُوز	دِثَار
بلوك	(١) كُنْلة (٢) تربية

(١) مصدر من امبريال (imperial) : أصله لاتيني بالصيغة نفسها ، ومعناه المنسوب الى الإمبراطورية ، أو الإمبراطور . ويراد بالامبريالية في استعمال اليوم : سياسة التوسع والتسلط غير المباشر من دولة قوية على دولة ضعيفة لاستغلال مواردها .
(٢) بفتح اللام .

المصطلح المتداول

أوضاع اللجنة

لوح حديد	پليت حديد
صباغ	پنتلايت
سروال	بنطلون
ذَرُور ^(١) سائل	پودرة سائلة (ميك اب سائل)
ذَرُور مضغوط	پودرة مضغوطة
مَصْفِق ^(٢) (بفتح فسكون فكسر) .	بورصة
بُورَق (بضم الباء وفتح الراء)	بورگ
أُنْبُوب (ج : أُنَابِيب)	بُوري
غِماء (بكسر أوله وتخفيف ثانيه)	بونيت
دِهَافِد	بوية
دِهَان أَدُكَن	بوية دهنية غامقة
دِهَان ناصع	بوية دهنية فاتحة
(١) الدَّوَاوِينِيَّة (٢) الشَّكْلِيَّة (٤)	بيروقراطية (bureaucracy) (٣)
بيض البنادقة	بيض بالبندكتين « غذائية »
ثنائي كربونات الأمونيوم	بيكاربونات الأمونيوم
صودا الخبز	بيكاربونات الصوديوم
ناقلة	پيكب (pickup)

(١) بفتح الذال .

(٢) ضبط في «المعجم الوسيط» بفتح الفاء، والصحيح كسرهما، لأن فعله المضارع المشتق منه مكسور العين.

(٣) عرفت في اصطلاح الفرنجة بما يأتي : (أ) حكومة تتركز السلطة فيها في أيدي جماعة من الموظفين الإداريين . (ب) أصحاب السلطة من موظفي هذه الحكومة . (ج) تركز السلطة في أيدي جماعة من الموظفين الإداريين . (د) نظام حكومي مغالي في التزام شكلية .

(٤) اختيار لفظة (الدواوينية) للدلالة على تركز السلطة في أيدي جماعة من الموظفين الإداريين ، واختيار (الشكلية) للدلالة على المغالاة في التمسك بالجانب الشكلي الجامد في أعمال الدواوين .

أوضاع اللجنة

المصطلح المتداول

ذَرُور الخَبَرُ

بيكيني (١)

بيكن باودر

بيكيني (bikini)

(ت)

شَلال

لينة

طَلَق

الأعالي

ساحبة

كظيمة

شِبائِك

تصنيع الفَحَمات

تدبير

مركز تحقيقات كابتوير تعبئة (في العسكرية)

تِقْنِيَّة

تلفاز

واحية (أو : واح) .

كرة المِضْرَب

تافكه (٢)

تالة

تالك (٣)

تب - توب

تركتر tractor

تِرْمُس

تريكو

تصنيع بروشات الكاربون

تكتيك tactics

tactique

تكنولوجيا (٤) technology

تلفزيون television

تلكس

تنس tennis

(١) هو ثوب سباحة من قطعتين ترتديه النساء ويظهر أكثر الجسد معه عارياً ، واللفظ في الأصل علم لجزيرة من جزر مارشال في غربي المحيط الهادي ، وقد أقرته اللجنة معرباً لهذا السبب .

(٢) لفظة كردية .

(٣) حجر .

(٤) وضعت اللجنة مقابلها بالعربية (التقنية) بوزن (العلمية) . وهي مصدر صناعي من (التقن) بوزن العلم ، والتقن : الرجل الذي يتقن عمله * وما شاع من نطقها بوزن كلمة (الأدبية) أو بوزن كلمة (التربية) ، فهو خطأ .

أوضاع اللجنة

المصطلح المتداول

تنورة

تنورة shirt

قصاصات

تورمز (سيميّة) turims

ترفة

توفي toffee

نسخة الاختبار

تست برنت test print

(ث)

مُخَفَّف

ثِنَر thinner

(ج)

سُترة

جاكيت jacket

رقائق البطاطس

چبس chips

فحام (بوزن كتاب)

جرافيت^(١)

شكّلة

چكّليت

جُنُبُذ (بالذال المعجمة)

جنبد

جوارب

جوارب

مركز تحقيقات كميوتير علوم هلام دري

جلي jelly

سياسة جغرافية

جيوپوليتيك^(٢) geopolitics

هَلَامِيّة (حلوى)

جلاتين gelatin

چيف كامرا من chief camera man مدير التصوير

(ح)

حامِضٌ " حَلَوٌ "

حامِضٌ حَلَوٌ

الحامض الخلّي

حامض الخلّيّك

(١) يوناني graphit بمعنى يكتب .

(٢) عرفت بما يأتي :

(أ) دراسة تأثير العوامل الجغرافية والاقتصادية والبشرية في سياسة الدولة الخارجية خاصة .

(ب) سياسة حكومية مبنية على أساس هذا العلم .

المصطلح المتداول

اوضاع اللجنة

حامض الستريك

حامض الليمون

حامض الليمون

حامض الليمون

حديد الراسطة

حديد شريطي

(خ)

خردل

خرّ دل

خضراوات متنوعة

خضراوات متنوعة

(د)

دارسين

دار صيني

دانتيل

مُخَرَّم

دايوكسيكارب

سَمُّ مَبِيد

دبليكيتر duplicater

مُسْتَنْسَخَة

در نفيس أبو الديشلي

مِفْلَ ذاتي الدوران

دستمبر

مركز تحقيق كابتور عطاء مائي

دكتاتورية^(١) dictatorship

(١) استبداد (٢) مستبد

دكستروز

سُكَّر العنب

دَمْلُوك

دُمْلُوك

دوبل كونسومية « غذائية »

ماء لحم مُغْلَظ

(١) عرفت في كتب الفرنجة بما يأتي :

(أ) منصب الدكتاتور (الحاكم المطلق) .

(ب) الحكم المطلق .

(ج) حكومة أو دولة يحكمها حاكم مطلق .

وقد ارتأت اللجنة أن تطلق على هذا النوع من الحكم : (الاستبداد) ، وعلى الحاكم لفظ :

(المستبد) .

المصطلح المتداول

أوضاع اللجنة

إحلال	دوبلاج ^(١) doublage
مُجمّدة (مثلّجة)	دوندومة ice cream
جدال : (للمصدر)	ديالكتيك ، دياالكتيكية dialectic
جدليّ : (للوصف)	
جدلية : (للمذهب)	
زينة	ديكور decor
تزيين	ديكوريشن decoration
موزّعة (في السيارات)	ديلكو ، أو : distributor

(ر)

مُشعة	راديتز
مذياع	راديو
مذياع نضيدي	راديو ترانزستور transresistor
توت الأرض	رازبري raspberry
رباط	ربطة عنق
بردة ، أو : بُرد	روب ^(٢) robe
شريحة بقر مُحَمّصة	روست بيف « غذائية »
خدمات الغرف	روم سرفيس room service
مدّحة	رولة

(١) لفظة فرنسية في لغة (السيمبا) بمعنى : إحلال لغة محل لغة أخرى ، في العرض السيمي ، فوضعت اللجنة (الإحلال) لهذا اللفظ الأجنبي ، والمحل ، (للمدبلج) اسم فاعل ، والمحل (للمدبلج) اسم مفعول .

(٢) لفظ فرنسي وانكليزي (robe) يراد به نوع من الثياب يشبه الجبة ، يرتدى فوق الملابس ، وضعت اللجنة له (البردة) و (البرد) .

المصطلح المتداول

اوضاع اللجنة

رونيو roneo	مُستنسخة
ريبورتاج reportage	استطلاع
ريتارد ر retarder	مُعَوَّق او مؤَخَّر
ريد أوكسايد « صناعية »	أكسيد أحمر
ريد ر reader	مِقْرَأَة
ريد كشن پرينت reduction print	طَبْعَة مصغرة
ريد ليد « صناعية »	رصاص أحمر

(س)

سايلنت فلم silent film	رَق صامت
سباكتي بالصوص « غذائية »	إِطْرِيَة مَرَقِيَة
سپرستات superstat	مِرْسام
ستاتيكية staticism	رُكُودِيَة
سترك أسد citric acid	حامض الليمون
ستيك	شَرِيحَة بَقَرِيَة
ستيك تندر لوين بالفلفل	شَرِيحَة خَاصِرَة طَرِيَة مِفْلَکَة
سكروز sucrose	سُكَّر العنب
سلامي « غذائية »	خَنزِيرِيَة (بَقَرِيَة)
سلايد (١) slide	شَرِيحَة
سلة فواكه طازجة	سَلَة فَوَاكِه غَضَّة (طَرِيَة)
سَلَطَة	خُضَرِيَة
سَلَطَة قلب الخس « غذائية »	خُضَرِيَة لَبّ الخس

(١) رقيقة سميّة توضع في اطار وتزلق في الفانوس السحري .

أوضاع اللجنة

المصطلح المتداول

خُضْرِيَّةُ الموسم	سَلَطَةُ الموسم « غذائية »
أُسْطُوَانَةٌ (في السيارة)	سَلِينْدَر cylinder
أَجْمُود	سُوپَر « صناعية »
مِنْهَدَةٌ	سُوْتِيَان (١)
عِلْمُ الْاجْتِمَاع	سُوْسِيُولُوجِي sociology
مُذْبِيَّة	سُوْلْفِيكْس « صناعية »
مَنْفَذُ الزِينَةِ	سِيْت دَرِيْسِر set dresser
مُنَسَّقُ الزِينَةِ	سِيْت دِيكُورِيْتِر set decorator
خَزْفٌ ، أَوْ : صِنَاعَةُ الْخَزْفِ	سِيْرَامِيك (٢) ceramic
زَفُون	سِيْفُون (٣) siphon
لِصُوق	سِيكُوتِيْن
مَانِعُ التَّسْرِبِ	سِيْلَر (بِكْسَرِ السِّيْنِ)
مَنْظَرٌ	سِيْن scene
مَرْكَزُ تَحْقِيقَاتِ كَافِيُوْرِيْزْمِ عِلْمِ السِّيْنِ	سِيْنَارِيُو (٤) scenario

(١) لفظ فرنسي soutien ، يراد به ما يحمل النهدين ، وهو في الأصل لفظ مركب من

كلمتين souiten gerge .

(٢) ceramic (بالانكليزية) ceramique (بالفرنسية) أصلها باليوناني keramos

معناها الخزف . وهو لفظ مركب من جذرين kwer بمعنى يحرق و mos بمعنى يمزج . واستعمل في الانكليزية والفرنسية بمعنى الخزف .

(٣) يطلق على الخزان الذي يستعمل مأوّه لدفع الاقذار في المراحيض . وضعت اللجنة له لفظ (الزفون) وهو في العربية قريب بمدلوله ولفظه من هذا اللفظ .

(٤) ايطالي scenario ، يقابله بالانكليزية scenary ، ومعناه الخطوط الواضحة لمسرحية ونحوها ، تحدد فيها أسماء الأشخاص ، والأدوار ، والمناظر ، والأحوال ، والتوجيهات المسرحية .

المصطلح المتداول

اوضاع اللجنة

سينثك إنامل	Synthetic enamel	دِهَان لَمَاع مُصَنَّع
سينما	cinema	سِيْمَا (بحذف النون)
سينما سكوب ^(١)	cinemascope	سِيْمَا عَرِيضَة

(ش)

شاتو بريان مع صلصة بيرنيز « غذائية »	شَرِيحَة بَقَر بَمَرَق (بيرنيز)
شاصي chassis	هِيكَل
شاهپو	غَسُول
شامپو ياسمين للشعر الاعتيادي	غَسُول يَاسْمِين لِلشَّعْر الطَّبِيعِي
شامپو ياسمين ضد القشرة	غَسُول يَاسْمِين لِلقَشْرَة
شتايكر	تَرْبِيْعَة
شرائح بط مشوي « غذائية »	شَرَايِح بَطّ مَشْوِيَة
شرائح تندرلوين « غذائية »	شَرَايِح تَنْدَرْلُوِين « غِذَائِيَة »
شرائح تندرلوين رقيقة بالجلاتين	شَرَايِح خَاصِرَة طَرِيَّة بِالْهَلَام
شرائح غنم مشوي مع صلصة النعناع	شَرَايِح غَنَم مَشْوِيَة مَنَعْنَعَة
شعرية ومعكروني « غذائية »	شَعْرِيَة وَمَعْكُرُونَة
شوربة « غذائية »	حَسَاء (بفتح الحاء)
شورت short	سُرْوَال قَصِير
شورت بريك داون short break down	تَوَزِيع اللَّتَطَّات
شورت فلم short film	رَقّ قَصِير

(١) أصل معنى (سكوب) بالانكليزية (المجال)، أو المراد بالسينما سكوب: السيما الواسعة (المعرض) وضعت اللجنة لها : (السيما العريضة) .

المصطلح المتداول

اوضاع اللجنة

شورت فيچر short feature

رقّ وسيط

(ص)

صدرية

صدار (بكسر أوّله)

صوص « غذائية »

صلصة

صوصج « غذائية »

نقّانق

(ط)

طبق الشيف « غذائية »

أكلّة اليوم

طرشي « غذائية »

مُخلّل

(ع)

عسل التمر « غذائية »

دبس

علاج chewing gun

علك

عنبّة « غذائية »

أنّج

عنجاص

مركز تحقيقات كميوتير علوم الجصاص وإنجاص

(ف)

فاشية « فاشستية » (١)

فاشية

فامد

مُبيد

فستان

مُطرّف

فلاش flash - light « سيمية » وامضة

فلاش باك flash back « سيمية » عودّة

فلّر حشوة

فلبس flips

تقلب

(١) (ايطالي) fascis ، (لاتيني) fascis .

المصطلح المتداول

اوضاع اللجنة

(١) رَقَّ (٢) شريط

مُحرَّر الرقوق

ملصقة

لَصُوق

لَقَطَات مستبعدة

مراقب التنسيق

مُصَوِّرة

مليسة

مأثورات شعبية

فيتامين (تعريبا)

سينما المنزل

مجففة

جداذة

(م) تحت قيادة كاتير علم ردى

سَيَّر (ج : سيور)

مِبْدَل ، أو : فِضْلَة

فيلم

فلم أدبتر film editor

فلم سبليسر film splicer

فلم سمنت film cement

فلم ويست film waste

فلور سكريتري floor secretary

فوتستات

فورميكا formica

فولكلور

فيتامين vitamin

فيديو تيب video tape

فير faire

فيشة (فيش)

قايش

قميص النوم

(ك)

ملاك (بكسر الميم)

مَفْحَمَة

مُقَوَّى اللدائن

مُقَوَّى

تجسيد

كادر cadre

كاربوريتر carburettor

كارتو بلاستيك carto plastic

كارتون

كارتون^(١) cartoon

(١) بضم التاء في لغة (السينا) ، وهو غير (الكارتون) المائلة تاؤه . corton المقابل للورق المقوى - وضعت اللجنة للمصطلح للسمي (التجسيد) ، واللفظ الأول : المقوى .

المصطلح المتداول

اوضاع اللجنة

كارى « غذائية » curry	كارى (تعريباً)
كاستر custard	قُشادة
كاسيت cassette	مِحْفَظَة
كاكاو cocoa	كاكاو (تعريباً)
كافيتريا cafeteria	مَنَاف ^(١)
كاونتر حديد	نَضَد حديد
كباريه cabaret	مَلْهَى
كت أوف آريا cut - off area	مِسَاحَة منقوصة
كتنگ cutting « سيمية »	تقطيع
كتنگ روم cutting room	غرفة التقطيع
كجب kechup أو catsup « غذائية »	طَمَاطِيَّة
كراج	مَرَأَب
كرافيك آر تِس graphic arts	فنون تخطيطية
كركم « غذائية »	كركم (تعريباً)
كريستال crystal	بِلَّوَر
كريم cream « غذائية »	قِشْدَة
كريم چاب cream chops « غذائية »	هَبْرِيَّة
كريم الوجه	دِهَان الوجه
كَعَك	كَعَك (بتسكين ثانية تعريباً)
كفوف gloves	قَفَازَات

(١) من قول العرب : نثف يَنَاف ، إذا أكل ويصلح في الشرب؛ ونثف في الشرب : ارتوى ، ونثف من الطعام إذا أكل منه .

اوضاع اللجنة

المصطلح المتداول

صافقة	clap board « سيمية »	كلاب بورد
كُلَى		كلاوي « غذائية »
سُكَّر العنب		glucose كلوكوز
دهان شفاف		clear enamel كلير إنامل
دهان شفاف غير لماع	clear flat laquer	كلير فلات لاكر
بطانة		comparse كمپرس
(١) حواجز (٢) خفايا	coulisse ^(١)	كواليس ^(١)
جَوْقَة		chorus كورس
مَشْدَة		corset كورسيه
ذُرَّة شامِيَّة		corn - up كورن أب
مُفَصِّل الملبس	costume designer	كوستم ديزاينر
مُتَرْخِم		couveuse ^(٢) كوفيز
مُنَوَّعَة الفواكه		كوكتيل الفواكه « غذائية »
لَفِيفَة		كوكلة
مُسْرَوِّل	collaun « فرنسي »	كولون

- (١) لفظ فرنسي أطلق مفردة وهو (الكواليس) (coulisse) في الأصل على مؤخر المسرح . ويقال في الاستعمال الشائع اليوم (ما وراء الكواليس) ، ويعنون بواطن الأمور وخفاياها ، ورأت اللجنة وضع كلمة (الحواجز) في مقابل (الكواليس) في لغة المسرح ، و (الخفايا) للاستعمال المجازي في مقابل (ما وراء الكواليس) .
- (٢) وضعت اللجنة مقابلها للآلة (المرخمة) بضم الميم وسكون الراء وكسر الخاء المعجمة ، والموضع (المرخم) بضم الميم وسكون الراء وفتح الخاء المعجمة .

المصطلح المتداول

اوضاع اللجنة

كومبرادور ^(١) comparador	وكلاء مستغلون
كومبليكشن فلم complication film	رَقُّ مُجَمَّع
كومپوت compote	كومبوست
^(٢) composte	مُرَبَّب
كومون ^(٣) commune	لجنة باريس الثورية
كوميدي ^(٤)	صِوان (بكسر الصاد)
كوميتانغ (كوميتانك) ^(٥)	حزب الشعب الوطني
kuomintang (kuo-min-tang)	
كونسوميه consomme « غذائية »	مَرَق اللحم
كونفرنس conference	مؤتمَر
كوي ironing	كيّ

(١) جاء تعريفها في دائرة المعارف البريطانية ٥٥/٣ :

« مصطلح انكليزي من (البرتغالية) أطلق اول الأمر على أعضاء طبقة التجار الصينيين الذين ساعدوا التجار الغربيين في الصين في القرنين (١٨ و ١٩ وأوائل العشرين) . وقد كان هؤلاء الكومبرادور المرتبطون بعقود مسؤولين عن توفير الصرافين الصينيين المختصين والمترجمين والحمالين والحراس ، وعدد من هؤلاء صاروا أثرياء بالغى الثروة ، وأسسوا مصالح خاصة ، وفي الآونة الأخيرة أصبح المصطلح يشير الى الناس الذين ساعدوا وأسسوا مصالح خاصة ، ثم أصبح المصطلح يشير الى الناس انذين ساعدوا الاستغلال الاستعماري الغربي في الصين » . وبعد مراجعة كتب أجنبية أخرى ، قررت اللجنة اختيار المصطلح (الوكلاء المستغلون) للكومبرادو ، واختيار المصطلح (الوكالة الاستغلالية) للكومبرادورية .

(٢) يراد بهما الفواكه المطبوخة المحلاة - وضعت اللجنة لهما (المربب) .

(٣) لفظ فرنسي خاص ، وضعت له اللجنة عبارة (لجنة باريس الثورية) .

(٤) لفظ فرنسي وضعت اللجنة له (الصوان) .

(٥) اسم الحزب الوطني الصيني . أصله صيني مؤلف من kuo ومعناه وطني و min ، ومعناه الشعب و tang ومعناها الحزب ، أسسه سن - يات - سن ، (سنة ١٩١٢) - إرتأت اللجنة ترجمته بـ (حزب الشعب الوطني) .

المصطلح المتداول

اوضاع اللجنة

كيج gauge

قياس

(ل)

لا ينوتايب^(١) linotype

سطريّة

لباس

لبيسة (ج لبائس)

لباس ليلي night dress

لباس الليل

لبسان بلاستيكية

لبائس لدائنية

لتر litre

لتر (تعريباً)

لوپ فيلم loop film

رقّ دوّار

لوبريكنّت lubricant

مزلّق

لوبي lobby

إستمالة

لوتس lotus

زنبق

لوري lorry

شاحنة

لونا بارك luna park

مركز ترفيهي

ليبرالية liberalialism

المدّهب الحرّ

(م)

مايستر

مُوجّه

مايكرو بايولوجي microbiology

أحياء مجهرية

مايكروفون microphone

مذياع

مايكروويف micro - wave

موجة دقيقة

(١) لفظة انكليزية تطلق على آلة سبك الحروف المطبعية ونضدها سطرياً ، بحيث يسبك السطر كله عند ترتيبيه ، ويسبك ثانية عند إصلاح اي حرف كان فيه ، وكذلك تطلق على الحروف المنضودة بطريقة سبكها سطرياً ، أو على الطباعة بهذه الطريقة ، فرأت اللجنة تسميتها (السطرية) .

المصطلح المتداول

أوضاع اللجنة

شَمْلَة	مايو maillot « فرنسية »
مناديل	محارم
مَرَق قَشْتَالَة	مرق كاستيليان « غذائية »
مَرَق لحوم قَطْلُونِيَة	مرقة لحوم « كاتا لانا »
مسحوق الهَلَام	مسحوق الجَلِي jelly powder
مسحوق خميرة الكيك	مسحوق خميرة الكيك
مُسَجَّلَة	مسجلة الصوت
مُجَسَّد	مِشَدَّ
مكرومتر (تعريياً)	مكرومتر ^(١) micrometer
مطيَّبات	منكّهات
أثاث	موبيليات « صناعية »
طراز	موديل model « للسيارات »
كاشي مُزَوَّق	موزائيك
نفيشة	موطا « غذائية »
حَرْفِيَة	موفيله « غذائية »
وِسَام	مونوتايب ^(٢) monotype
تجميل	ميدالية medal
	ميك أب make up « ماكياج »

(١) أداة لقياس الأشياء الدقيقة .

(٢) لفظة انكليزية تطلق على آلة سبك الحروف المطبعية ، ونضدها أحادياً ، بحيث يكون كل حرف منفصلاً عن الآخر ، وكذلك يطلق على الحروف المنصودة بطريقة أحادية ، أو على الطباعة بهذه الطريقة ، - رأت اللجنة تسميتها (الحرفية) .

اوضاع اللجنة

الرقّ الأصل

المصطلح المتداول

مَيّن فلم main film

(ن)

نادي الاهتزازية

النازية

أنبوبة

مفصل الباب

جوزية

جريدة سيمية

نادي الديسكو

النازية nazism

نبوبة « صناعية »

نرمادة

نوكة « فرنسي » nougat

نيوز ريل news reel

(و)



وارنيس (١) « صناعية »

وارنيس رائق « صناعية »

واير نيكول wire nickoel

ورشة (٢)

شريط الفصل الواحد

مخزن الملابس

ون ريل فلم one - reel film

وورد روب كوستومز

wardrobe costumes

نسخة العمل

ووركينك كوبي برنت

working copy print

(١) اسبانية ، منسوبة الى (برنيقة) مدينة في اسبانية .

(٢) الكلمة من اللفظة الأجنبية (workshop) ، لها عدة استعمالات في الأقطار العربية ، منها :

١- في المؤسسات التعليمية ، تطلق على مواضع التدريب على الحدادة والنجارة والخراطة ونحوها ، فيقابلها (المشاغل) ومفردها (المشغل) .

٢- في المصانع ، تطلق على مواضع اصلاح الأدوات والآلات ، ويقابلها (المعامل) ، ومفردها (المعمل) .

المصطلح المتداول

اوضاع اللجنة

(هـ)

هامبركر « غذائية »	هَمْبُرْكِيَّة (١)
هامر فنيش hamer finish	دهان صدّفي برّاق
هنگلاين angle iron	حديد الزاوية
هيردرسر hair dresser	مزيّن الشعر

(ي)

يخت yacht	زَلّال
-----------	--------



مركز تحقيق كافيير علوم إسلامي



(١) نسبة الى مدينة هامبرك في المانية .

عَرْضُ الْكُتُبِ

مَجْمُوعُ الْكُتَابَانِ الْحَرَّةِ فِي أَبْنِيَّةِ مَدِينَةِ الْمُوصِلِ

تأليف : نقولا سيوفي ، وتحقيق : سعيد الديوهجي

الخطاطة والاعتناء

مؤلف الكتاب نقولا سيوفي ، ولد في دمشق سنة ١٨٢٩ م ، وقيل إن أصله من حلب . واتصل بالأمير عبدالقادر الجزائري . وحصل على الجنسية الفرنسية سنة ١٨٦٦ م بصورة فوق العادة .

وفي سنة ١٨٧٣ م عين بوظيفة مترجم أول في القنصلية الفرنسية ببغداد . وفي سنة ١٨٧٥ م نقل إلى مثل وظيفته في الموصل ، ثم نقل إلى حلب فدمشق ، ثم عاد إلى الموصل . وفي آخر عمره أقام في لبنان وتوفي فيها سنة ١٩٠١ م .

وفي أثناء إقامته في الموصل ، اقتنى كثيراً من المخطوطات والقطع الأثرية ، وباعها لمكتبات ومتاحف فرنسة وألمانية وإنجليزية ، وألف كتابه هذا — ولا نستبعد أن يكون — بتكليف من الحكومة الفرنسية ، للحصول على ما تحتاج إليه من معلومات ، يلوح لنا هذا مما تبين بعد ذلك من معاهدة سايكس بيكو التي تكون بها الموصل تابعة لفرنسة . وفي الكتاب أغلاط وأوهام كثيرة ، وقد يكون للمؤلف بعض العسدر في ذلك ، لأن أغلب الكتابات المحررة في المساجد ، والتكايا والمسندارس ، وبعض الدوائر ، والقصور ، كانت بخطوط مركبة ومتداخلة ، قد تصعب قراءتها إلا بعد الثاني والمراجعة .

وقد تصدى الأستاذ سعيد الديوهجي مدير متحف الموصل ، لتحقيق الكتاب ، والتعليق عليه ، فزار اماكن الكتابات التي ذكرها سيوفي ، وقارنها بما ورد في الكتاب ، وأشار الى الكتابات التي أزيلت ، أو نقلت الى أماكن أخرى . وصحح الانخطاء التي وقع فيها سيوفي عند النقل ، ووضع الكلمة المصححة بين قوسين ، أما الكلمات المطموسة أو المثلثة ، فزاد عليها المحقق ما يوضحها ، وجعلها بين حاصرتين وخرج الآيات القرآنية الكريمة الواردة في الكتابات ، ونسب الابيات الشعرية الى قائلها جهد الامكان وترجم لهم في الهامش . وأضاف الى الكتاب ملحقات بالكتابات التي لم يعلم بها المؤلف ، أو لم يوفق لجمعها ، والكتابات التي استجدت على الأبنية بعد كتاب سيوفي . وجعل فهارس للأعلام والامكنة وجدولا للخطأ والصواب . وطبع الكتاب بمساعدة وزارة المعارف العراقية سنة ١٩٥٦ م بمطبعة شفيق في بغداد ويقع في ٢٦٢ صفحة .

وقد وجدت في الكتاب أوهاماً كثيرة ، واذا كنا قد التمسنا بعض العذر للمؤلف ، في وقوعه فيها ، فإن ذلك ينتفي بالنسبة الى المحقق ، وهو مدير متحف الموصل ، وقد توافرت لديه أسباب المراجعة ، وتيسرت له سبل التحقيق والضبط من ناحية الوظيفة والعمر والوقت .

وها أنا ذا أدون ما لاحظته على الكتاب ، بحسب تسلسل الصفحات . ص ١٣ س ٧ : أبيات من نظم السيد احمد بن السيد حامد الفخري :

لله جامسع نور للأنام به	مسر الدهور تعبداً وتهجداً
إنشاء أم المكرمات حلیمسة	وحمرأ كهف الخير للبر تقصد
وعاضدها صنو المكارم شبلها	سلیل امین فی المكارم أوحده
فجزى (الاله) جميعهم (من فضله)	خيراً الى يوم القيامة يسؤبد
من شرط واقته الكريم مؤرخاً	(أوصى) الصلاة على النبي محمد

إن هذه الأبيات تجمع بين بحري (الطويل) و (الكامل) ، فالبيت الأول صدره من الطويل وعجزه من الكامل ، والبيت الثاني عكس ذلك . والبيت الثالث من الطويل ، والبيتان الرابع والخامس من الكامل ، كما أن في البيت الخامس إقراءً لأن قافيته مكسورة ، والأبيات الأربعة مضمومة القافية ، إلا إذا كانت القافية ساكنة ، ولا أراها تصلح هنا . وكان ينبغي للمحقق أن يشير إلى ذلك .

ص ١٤ س ١ :

عباد الله صوموا وصلوا بجد وكونوا لله متقين .

البيت مختل الوزن . وإذا كانت العبارة نثراً فلماذا قطعت كشطري البيت ؟

ص ١٩ س ٢٠ :

لقد قارب اتماماً فان (رتم أورخه)

(ألا) يا من (بناء) قاصداً الله بشراكا

سنة ١٠٨٤ هـ

أقول : إن البيت يتكون من بيتين ، وهو من الهزج ، كل شطر بعد بيتاً . ولفظ الجلالة في البيت وهم ، وصوابه (لله) بغير ألف .

كما أن مجموع التاريخ يساوي سنة ٩٧٥ هـ وليس سنة ١٠٨٤ هـ .

ولما كانت الكلمتان المحصورتان بين قوسين في البيت (ألا) و (بناء) هما من تصحيح المحقق كما أشار في أول الكتاب ، فإنه لم يكن موفقاً في اختيار الكلمتين ، وإنه إن كان قد أصاب في المعنى ، فإنه لم يصب في التاريخ .

ص ٢٢ الحاشية ١ :

ورد تخريج الآية (البقرة : ١٨) ، والصواب (النساء : ١٠٣) .

ص ٢٣ س ١١ :

فأجراه في ذا السلسيل مؤرخاً : [سبيل روى جوداً حديث شفاءه]

سنة ١٢٤١ هـ .

في أن كلمة [عمره] التي وضعها المحقق هي التي أدخلت بالوزن ، فلم يوفق المحقق لاختيار كلمة [عمره] من ناحيتين ، الأولى إخلالها بالوزن ، والثانية تأثيرها في القافية . والقافية مفتوحة أصلاً بتأثير الكلمة لمطموسة ، التي تجعل القافية مفتوحة ، وإلا وجب أن يكون الشطر (. . . قصر مشيد)
ص ٧٤ س ٨ : مراد العلماء كلام الشهداء .

يبدو أن المؤلف نقولاً سيوفى لم يحسن قراءة العبارة ، وصوابها (مداد العلماء كدم الشهداء) وهي من كلام النبوة ، ولم ينبه المحقق عليها .
ص ٧٤ س ١٧ : من علم بما علم أورثه الله علم ما لا يعلم .
والصواب : من عمل بما علم .
ص ٧٥ س ٤ :

دار علوم بابها معلمه طلابها حجتهم مفحمه
وكل من حلّ بها لم يجسد في فكره من خطّة او غمه
يبدو ان المؤلف لم يحسن قراءة العبارة ، لأنها سقيمة المعنى . ولعل الصواب :
وكل من حلّ بها لم يجد في فكره من خطأ او غمه
والعمه في البصيرة كالعمى في البصر .
ص ٧٨ س ٧ :

(اميرنا فاشهد) أنه خير من أئى

الينا بمعروف فان شتم قيسوا
وصدر البيت مختل الوزن ، ولا شك في أن تصحيح المحقق للكلمتين بين القوسين هو الذي أدخل بالوزن .
ص ٨٦ س ٥ :

ألفاظه محكمات ما بها عوج كلا ولا الظل يوماً له اقترحا
بدلت نفسك في نصيح العباد على وقف المراد فبشر من انتصحا
أقول : إن العجزين في البيتين مختلا الوزن ، وفي البيت الثاني (وقف المراد ...)
صوابها (وفق المراد . . .) ولعل صواب العجز الثاني (وفق المراد فبشر من قد انتصحا) .

ص ٨٧ حاشية ١ : تخريج الآية (العنكبوت : ٤٥) ، والصواب : (النساء : ١٠٣)
ص ٨٩ س ٨ :

(لذا سبلت ماءً) وشادت بناءه لتحضى به يوم القيامة ناجيا
الصواب : لتحظى بالظاء ، وقد مرّ مثلها .

ص ١٠٦ س ١٦ : . . . سنة (واحد وثلثين) وسبعمئة هلا لية .
والصواب (إحدى وثلثين) ، والكلمة من تصحيح المحقق .
ص ١٢١ س ٩ :

ومن فضل فخري تجرع مؤرخاً

(حلا ماء خير) [إنه من سليمانا]

سنة ١٢٢٧ هـ

أقول : إن صدر البيت غير واضح المعنى . وأما عجزه فهو من مقطعين ،
الأول من تصحيح المحقق لانه بين قوسين ، والثاني من وضعه ، لانه بين حاصرتين ،
ومجموع التاريخ يساوي سنة ١٢٢٩ هـ وليس سنة ١٢٢٧ هـ .

ص ١٢٢ س ١١ : ثمانية أبيات نسبها المحقق الى الشيخ عبدالله باش عالم
العمرى ، وبيت التاريخ فيها :

أنشأته فأتيت فيه مؤرخاً بعمارة الملك (الأقر) محمد

سنة ١٢٥٨ هـ

أقول : ان كلمة (الأقر) هي من تصحيح المحقق ، لأنها بين قوسين ،
ولو أن المحقق صحّح الكلمة بعبارة (الأرق) لكانت أفضل وأكثر مناسبة من
كلمة (الأقر) وهي مثلها في الحساب . والأبيات لم أجدها في ديوان باش
عالم المخطوط ، وكان الاولى بالمحقق أن يشير الى ذلك ويستدركها على جامع
الديوان .

ص ١٣٤ س ١٣ :

[تبارك] رب العرش (وفق) عبده سليمان كثر الجود قام مجددا
الصواب : كثر الجود . . .

ص ١٣٤ س ١٦ :

مجموع الكتابات المحررة في ائنة مدينة الموصل

يا من أعطاه فضلاً مؤرخاً سليمان بيت (العلم) ينشيه بالهدى

سنة ١١٩٢ هـ

أقول : إن صدر البيت مختل الوزن ، ومجموع التاريخ يساوي سنة ١١٩٠ هـ .
ولعل كلمة (العلم) التي هي من تصحيح المحقق قد أدخلت بحساب التاريخ .
أو يكون التاريخ ١١٩٠ هـ صحيحاً ، وحصل الوهم عند النقل .

ص ١٦٠ س ٥ :

إذا ما جزتسه أرّخ وأنشد (وقل للناس) حي على الصلاة

سنة ١٢٣١ هـ

ان مجموع التاريخ يساوي سنة ١٣٣٩ هـ ، ولا شك في ان عبارة (وقل
للناس) وهي من تصحيح المحقق . قد أدخلت بالحساب .
ص ١٦٢ س ١٦ : اربعة ابيات نسبها المحقق الى الحاج عثمان بك الحيائي
الجليلي ، وهي من الكامل والبيت الثالث فيها :

(يمم) حمى ذاك الضريح فان في

زيارته تاقى جميع المحاسن

والبيت مختل الوزن ، صدره من الكامل ، وعجزه من الطويل . ولعل الصواب
(فيمم) .

ص ١٦٤ س ٢ :

قد شاهدها العمري عبدالله كي يحضى بأخراه بأجر مؤنس
والصواب : يحظى بالظاء ، وقد مرت مثيلاتها ، وكان على المحقق
ان يصححها أو يشير اليها .

ص ١٧١ س ٣ (الملحق)

للعلوم تعالى شأنها

جددت أوقافنا مديرية

والصواب . . . مدرسة ، وهي في تاريخ مدرسة للعلوم .

ص ١٨٠ س ٣ :

واجعله واسطة اذا خطب دهي تنجو بدا من كربك الجسيم
أقول : ان صدر البيت من الكامل ، وعجزه من السريع ، وهو ضمن خمسة
أبيات كلها من الرجز . ولم ينه عليها صاحب الملحق .
ص ١٨٩ س ٥ :

وان ترم فيض أنوار تؤرخه زر مرقداً فيه أنوار السيد النوري
سنة ١٣٠٥ هـ

قلت ان عجز البيت مختل الوزن ، ومجموع التاريخ يساوي سنة
١٣٠٧ هـ . وصواب الشطر (زر مرقداً فيه نور السيد النوري) وبه يستقيم
الوزن ويتفق مع التاريخ .
ص ١٩٦ س ٢٣ :

فمد فاز في انشائها قلت أرخوا لا نشأ محل الكتب فاز سليمان
سنة ١١٩٢ هـ

ان مجموع التاريخ يساوي سنة ١٢٠٢ هـ . وليس سنة ١١٩٢ هـ .
ص ١٩٧ س ٨ :

على بابہ التوفيق نادى مؤرخاً سليمان بيت العلم ينشيه بالنسدا
سنة ١١٩٢ هـ

إن مجموع التاريخ يساوي سنة ١٢٩٥ هـ وليس سنة ١١٩٢ هـ . والفرق بعيد .
ص ٢١٢ س ١ :

... كنا نسمع هذا ونقوله بتحفض ...

والصواب : بتحفظ ، بالظاء .

ص ٢١٤ س ١٢ :

دار نعيم بالهنا قد عمرت وانشئت فيها على رغم الحسود
أقول : إن صدر البيت من الرجز ، وعجزه من الرمل ، ويبدو أن

صواب صدر البيت الأول : (نعم دار بالهنا قد عمرت) ، لا كما نقلها المؤلف ،
وأدخل بوزنها .

ص ٢١٦ من ١٧ :

لو تعلم الدار فيمن زارها فرحت

واستبشرت بمزيد وباست موضع القدم

اقول : إن عجز البيت مختل الوزن ، وأعمل الصواب :

(واستبشرت ثم باست موضع القدم) .

وبعد : فإن هذه الملاحظات لا تقلل من شأن الكتاب وأهميته ، وكبير

فائدته ، وإنما تزيد في حسنة وتقربه الى الصواب في طريق الكمال ، وحبذا

لو يلتفت اليها محقق الكتاب ويفيد منها أو يناقشها ويعلق عليها عند طبع

الكتاب ثانية .



الدكتور عبدالرزاق محيي الدين في ذمة الخلود

ينعي رئيس وأعضاء المجمع العلمي العراقي الدكتور عبدالرزاق محيي الدين ، وقد وافاه الأجل المحتوم بعد مرض مفاجيء لم يمهل طويلاً . فكانت وفاته خسارة كبرى للفكر والأدب ، لما عرف عنه من خلق رضي ، وعقل راجح وبصيرة نفاذة ، وتقدير للأدب الرفيع ، وإيمان صادق بالعروبة والإسلام .

كان لوفاته وقع أليم في نفوس العدد الكبير من أصدقائه ومعارفه وطلابه . وقد اجتمع كل من درس على يده ، أو عمل معه على تقدير اطلاعه الواسع ، وعلمه الغزير ، وتذوقه للأدب والشعر ، فكانت كتاباته نماذج أدبيّة رائعة في دقة مفرداتها ، وبلاغة تعبيرها ، وسلامة أسلوبها ، ووضوح فكرتها . وسيبقى مانشره من مقالات معيّنات ثراً لمن ينشد التعبير البليغ عن الفكرة السليمة .

وتميّز شعره بجزالة تشعّش الاغراب وتترفع عن الاسفاف وتُعبّر عن مشاعر رقيقة واحساسات صادقة يسجل فيها عواطفه ومشاعره وافكاره ، او ينظمها في تكريم او رثاء ذوي المكانة في الفكر والادب ؛ فشعره سجل يدون فيه مزايا كرماء الامة ويخلد ذكراهم .

ولد الفقيد الكريم سنة ١٩١٠ في النجف الاشرف ، من اسرة عربية عرفت بالاستقامة والفضل ، وانجبت عدداً ممن برز في العلم والادب . وغذته اسرته بالخلق الفاضل والصالح وحب الخير ، فلما شب واستقر ادراكه انصرف الى الدراسة والعلم ينهل ممن في بلده من علماء في اللغة والادب وعلوم الدين ، فكثروا له اساساً صلباً في هذه الميادين . ثم رحل الى القاهرة ، فتابع دراسته في دار العلوم متلمذاً على الأفذاذ من أساتذتها ونال شهادتها بعد اربع سنوات من الدراسة .

ولم تقنع نفسه الطلعة بالاكْتفاء بما حصل ، فعاد الى القاهرة يتابع دراسته العليا في جامعتها ، فنال شهادة الماجستير في رسالة عن أبي حيان التوحيدي ثم شهادة الدكتوراه في رسالة عن أدب الشريف الرضي وثبّت بان اقامته في القاهرة صلات واسعة بمراكز العلم والبارزين من رجالها ، وتعمقت مكانته لدى العدد الكبير من العراقيين الذين كانوا يقيمون في القاهرة او يدرسون فيها .

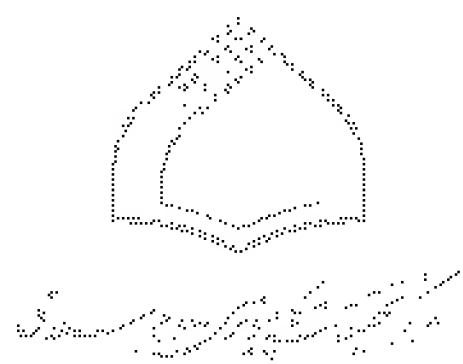
ثم عاد الى العراق فدرس في دار المعلمين العالية اللغة والأدب والبلاغة ، واستفاد من علمه وأدبه العدد الكبير من طلابه الذين يحفظون له في قلوبهم مكانة خاصة كونها علمه العزيز ، وأدبه الجم ، وحبه الصادق للخير . ونشر كتاب البصائر والدخائر ، وكتاب الوجيز في القرآن العزيز ، وشارك في تأليف جملة كتب مدرسية ، كما نشر عدداً كبيراً من المقالات في ميادين الأدب والحياة العامة .

لم ترض له نفسه الكبيرة ان يستكن معتزلاً بالبرج العاجي ، وإنما شارك في التفكير في أمور البلد ، وكان يبدي آراءه صريحة في بعض ما يشغل الناس ، وناله من صدق عقيدته العربية الاسلامية كثيراً من الأذى في السجن والنفي ، فتحمل ذلك بجلد وصبر ، ولم يتزعزع إيمانه ، ولم تضعف نفسه ، وإنما ازداد انغماراً في التفكير في الأمور العامة والعمل على توجيهها بما يؤمن الحفاظ على عروبتها واسلامها . وجره ذلك الى العمل السياسي ، فاشغل منصب الوزارة عدة سنوات ، وشارك في عدد من المؤتمرات ، وكان له دور في تنظيم ما كان يتخذ في سبيل تحقيق الوحدة العربية .

غير ان كل ذلك لم يشغله عن العلم والأدب ، فظل يتابعه في التدريس والاشراف على إعداد الرسائل ومناقشتها ، واختير عضواً في المجمع العلمي العراقي في سنة ١٩٦٣ ، ثم انتخب رئيساً له في سنة ١٩٦٦ ، وظل في رئاسته الى سنة ١٩٧٨ حين أعيد تشكيل المجمع العلمي العراقي ، وقد تم اختياره خلال ذلك عضواً في مجامع القاهرة ودمشق والاردن ، كما اختير عضواً في عسدد من الجمعيات الأدبية في داخل القطر العراقي وخارجه .

وقد أظهر حرصاً بالغاً على العمل المجمع ، وكان يقدمه على كافة الأعمال الأخرى ، وكرس له كثيراً من وقته في أعمال لجانه ، وتوجيه دراساته ، وتعزيز مكانته . وكانت السمة البارزة لعمله في المجمع العناية بالعربية وتعزيز مكانتها وتيسير مواكبتها للتطور الفكري ، والتعاون الصادق مع كافة المؤسسات التي تعمل على تحقيق هذا الغرض .

رحم الله أبا زهير ، لقد أدى رسالته ، ووفى أمانته وخلد ذكره ، وانتقل من الدار الفانية الى الدار الآخرة بعد ان خلف ما يذكره قومه والأجيال خير ذكر . وانا لله وانا اليه راجعون .



رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٦٧٦ لسنة ١٩٨٢

مطبعة المجمع العلمي العراقي ٤٠٠٠ / ١٩٨٢

JOURNAL
of the
IRAQ ACADEMY

VOLUME 33

Part (4)

PUBLISHED BY
THE IRAQ ACADEMY

BAGHDAD

1982